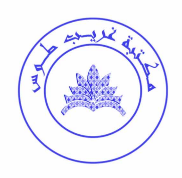
شمس وراء السحاب

بقلم:
جمال محمد



شمس وراء السحاب

بقلم:
جمال محمد

صالح، جمال محمّد.
شمس وراء السحاب / به قلم جمال محمّد. ــ قم: مسجد مقدّس جمكران، ۱۴۲۶ق = ۱۳۸۴.
ISBN: 964-8484-46-5
۲۹۸ ص.
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه به صورت زير نويس.
۱. مهدويت ــ پرسش‌ها و پاسخ‌ها ۲. مهدويت ــ ادبيات نوجوانان.
۳. محمّد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ ق. الف. مسجد جمكران.
ب.عنوان.
۸ش۲ص /۲۲۴/۲/ BP
۲۹۷ / ۴۶۲[ج]
كتابخانه ملى ايران
۳۰۵۱۷ ـ ۸۴ م



■ الكتاب: شمس وراء السحاب □
■ المؤلف: السيّد جمال محمّد صالح □
■ الناشر: مسجد جمكران المقدّس □
■ الطبعة: الأولى ۱۴۲۷هـ □
■ المطبعة: السرور □
■ عدد المطبوع ۵۰۰۰ نسخة □
■ ردمك: ۹۶۴ ـ ۸۴۸۴ ـ ۴۶ ـ ۵ □

■ مركز النشر: ايران ـ قم المقدسة ـ مسجد جمكران المقدّس □
■ الهاتف: ۷۲۵۳۷۰۰ ، ۷۲۵۳۳۴۰ ـ ۲۵۱ ـ ۰۹۸ □
■ قم ـ صندوق البريد: ۶۱۷ □

شمس وراء السحاب

رواية علمية معاصرة تحكي قـصّة
شـابٍّ أراد البحث عن اهدافـه فـوجد
مـن الضـرورة ان يـبحث اولاً عـن
إمـامه ليـصل بـعدها الى اهـدافـه
التـي يـطمح الوصـول اليـها



(١)

جلس حامد الى جانب المدفأة، كان يتوقع ان يدق جرس الهاتف، في الدقيقة قبل الاخرى . . الا انه شعر بالسأم والملل حالما انقضى وقت ليس باليسير على الموعد . . واذا ما نفد صبره وآثر النهوض والخروج من المنزل . . كان للهاتف ان يعلن له عن موعده . .

ــ أين أنت يا هذا ؟ ! انتظرتك وقتاً كثيراً . .

ــ بدلا من السلام عليكم . . الم تسمع ان الغائب عذره واياه .. لم استطع ان اتلفن .. لانه ليس من هاتف هنا .. حتى اذا ما اهتدينا الى واحد اعلنا لك عن وفائنا بالموعد سريعاً .

ــ تقول اهتدينا واعلنّا ؟ !

ــ اجل انا وافكاري المتزاحمة ..

ــ هه .. لديك وقت للمزاح .

ـ أين ألتقي بك ؟

ـ في نفس المكان .

ـ بجانب المنتزه .

ـ طيب .

✿ ✿ ✿

☞ (٢)

ـ ما الذي صنعته ؟

ـ بصدد ماذا ؟

ـ واذن، فلماذا اجتمعنا ؟

ـ انتظر يا هذا، اني لم اطرح المسألة على ابي .

ـ ولِمَ لم تقل لي هذا في التلفون ؟

ـ لاني لم احبب ان اتعجل الاحداث ؟

ـ تتعجل الاحداث !

ـ ان ابي سوف لا يستطيع التأثير على والدك ومساعيه في منعك من مواصلة الدراسة الجامعية .. فانّا الان على ابواب التخرج من الدراسة الاعدادية .. اليس كذلك .. وانت بالنسبة اليه تمثل كل آماله وثمرة ايامه .. وهو يعتمد عليك في كل صغيرة وكبيرة ..

يقاطعه :

ــ ماذا ؟

ــ اقصد انه يريد ان يسند اليك كل مشاريعه المستقبلية، وذلك بعد ان تنتهي من دراستك الاعدادية، وبذلك لا يدعك تفرغ لمواصلة دراستك الجامعية وبالتالي ان تتواصل مع ما تحب وتشتهي من آمال واهداف شخصية .. فأبوك يرى نفسه فيك .. لانه يعيش ذهنية التاجر الذكي، ومفعم بروحية الحرفة والصنعة . لذا، فهو يرى فيك كذلك كل ما ضيّعه في أمسه من مشاريع وعقود تجارية ومغامرات صفقاتية .. وما عليه الان الا ان يشرع بعدم تفويت الفرصة .. خاصة انك الولد الوحيد له .. ان نحن لم نحسب اخواتك الكريمات في الحسبان ..

ــ وعليه ؟

ــ اني لم اطرح الموضوع على ابي، لاني اريد ان نتوصل نحن انفسنا الى حل يرضي الطرفين ..

ــ الطرفين ؟

ــ انت وابوك .

تنهد حامد، نفث في الهواء انفاساً متعبة، مثقلة بالاحباط، نكس رأسه حيناً، ثم اعتدل في جلسته ونهض بعدما كان جالساً

على مصطبة بجوار المنتزه .. نظر الى زميل دراسته وربيب طفولته سالم .. سالم الذي كان بيتهم بجوار بيت حامد، ولذاكان الاثنان جارين قبل ان يكونا صديقا طفولة وصاحبا لحن خاص، يمكن ان تعزف عليه ذكريات الصبا احلى الحان تلك الايام الخوالي من عمر الطفولة المنقضية . قال له :

ــ انك قد نكثت عهدك ...

نهض سالم وهو يوزع ابتسامة مثقلة بهموم من نوع خاص :

ــ اني لم ارد ان اضيّع الفرصة .. لان ابي لو يطرح المسألة على ابيك، فان اباك سوف يستعد لك من الان فصاعداً، وماكان منه الا ان يعد لك كل العدة اللازمة .. وبذلك ماكان منك الا ان تنزل صاغراً على مطامح ابيك .. لانه اباك وهو الذي رباك وانشأك، وهو الذي تعب من اجلك .. وهو لا يرى لك الا الخير ..

ــ الا الخير ؟

ــ حسب وجهة نظره .. ومن ثم فاني لا اعتقد ان ابي سيقبل بان يطرح مثل هذه القضية على ابيك .. لانك تعلم ان اباك انسان صعب وليس هو بالرجل الذي يمكن ان ينعت بسهل الانقياد او لين المطاوعة .. بل انه ربما تعاند معك، وفتش عن سبل لاغوائك هي ادهى ... ولربما لجأ الى اللجاجة والعنف البالغين .. وهذا هو

ليس بصالحك ابداً .. في الوقت الذي لا ارى ايما مصلحة في معرفة والدك برفضك لمشاريعه .. وضرورة تخليك عن مواصلة الدراسة .. هـه، بالمناسبة، احب ان اسائلك .. هل طرحت عليه مشروع امتناعك لقراره ؟

ــ لا، ومن يجرأ على مثل هذا ؟

ــ الم يجالسك، ويسألك ماذا تحب ان تكون في المستقبل ؟

ــ نتجالس كثيراً .. لكنه لا يتحدث الا عن التجارة .. وايام صباه وشبابه وتوجهاته الشخصية .. هذا اذا لم يغب عن بالي بانه هو الذي يتحدث فقط ..

ــ وانت ؟

ــ امتحنته مرة واحدة .. فعرجت الى نفسي، واحببت ان اطلعه على حقيقة توجهاتي الشخصية .. وما اطمح الى ان اكونه، فاستشعرت في عينيه غضباً مبهماً، وبين حاجبيه شرارات من ثورة تكاد تشتعل اللحظة .. حتى اذا ما هممت، اسدلت ستارة، واشحت عن الموضوع حتى طفقت ابحث عن قصد اخر لكل ما سلكته من حديث، عندها وجدته يبتسم، وذلك لما انتحيت من الكلام جانب العمل والمشروع التجاريين .. عندها

ــ ؟!

ــ عندها ربت على كتفي وقال : ابن ابيه والله ان هذا الشبل لهو من هذا الاسد .. تعالى يا ام حامد وانظري اي فتىً قد اعطاه الله لنا !

وعندها، كأنما طرأت في ذهن سالم التماعة حادة، فابتدره :

ــ اقول، لماذا لا تطرح عليه مواصلة الدراسة والالتزام بمشاريعه التجارية جنباً الى جنب .. وامنحه ثقتك حتى تجعله يمنحك هو الاخر ثقته ويطمئن الى ما تبديه من رأي، وتعزم عليه.

ــ انك تسلّي نفسك بهذا الحديث، لقد طرقت مختلف الابواب، وتطرقت الى العديد من هذه الاساليب والعروض بل لجأت الى الكثير من هذه الاقتراحات، الا انه كان يلوي رأسه ويهزه حتى يصلني بعتابه ، ويشدد عليّ قوس الحصار ليرميني بعدها بعبارات ابسط ما يكون فيها : هه، عدنا ثانية، رجعنا الى مضغة العناد ولجاجة الشباب ..

ــ طيب، واذن فالامر على ما تراه انت بنفسك، وتطالبني بعد كل هذا ، أن افاتح الوالدكيما يجاذبه الحديث في هذا الامر، هه ؟

ــ والاكثر، انه يعود الي، فيقول : بانكم يا معاشر الشبان، اقصد انتم الذين تثقفتم في اخر الزمان، لتحتقرون المهنة العملية، وتمتهنون التجارة الى الحد الذي تستنقصون قدرها، وتحطّون من شأنها الى الدرجة التي تهون عليكم فيها العمل بها، او مزاولة

شؤونها حتى تصل بكم الحال الى ان تهوّنون من صعوباتها وفنونها اللازمة، فتصادرون على طبيعية درجها الى جانب جدول يتضمن سلسلة من الاعمال المشتركة، الدراسة والتحصيل الى جانب التجارة، او العكس ! وانتم لا تشعرون بان التجارة وحدها تحتاج الف ممارسة وممارسة، والف خبرة واخرى .. والتفرغ لها يقتضي نبذ كل ما دونها من غيرها لاجل التوصل الى ابلغ درجات النجاح والموفقية في مساعيها ومناكبها ..

فقال سالم :

ـ وغير هذا الكلام ؟

ـ انه ليقول لي : اني لأعرف ان حرارة الشباب وسعرات الانبعاث والهيجان في نفوسكم أيها الفتيان، هي لتستعر في صدوركم، وتغلي في دواخلكم، الا أن ما يمكنني ان ألفت نظرك اليه، هو ان من يكبرك بسنة يعرف أكثر منك بسنة ! فاني أنا الاخر لي تجاربي التي ارى لزاماً عليّ، بل من واجبي الابوي ان افيدك بها، وان لا ادعك تدرج على هذه الوتيرة التي ليس من ورائها خير يرتجى .. فما توده من الشهادات استحصله لك بالمال، وما تطمح لان تضيعه من السنوات في الدرس والتحصيل، اجمعه لك في ليلة وضحاها ..

عاد بعدها سالم الى الحديث، وهو يحاول التفنن في انتقاء الكلمات :

ــ ولذلك، فاني اقول لك علينا ان نبحث عن منفذ آخر .. بل خلاص جديدٍ من نوعه ..

ــ واين هو يوم الخلاص، بل اين هو المخلّص والمنقذ ؟

٭ ٭ ٭

☜ (٣)

وفي الفصل، كان المدرّس يشرح بعض المسائل المعاصرة، حينما بادره احدهم بالتطرق الى سياسة المنقذ .. منقذ ومخلص البشرية، عندها أجزله الاستاذ بالكلام وكل من كان حاضراً في الصف، كان له اذناً صاغية بما فيهم سالم وحامد :

ــ اعتقد المسلمون منذ فجر الرسالة الاسلامية وإلىٰ اليوم بصحة مابشّر به النبيّ الاعظمﷺ من ظهور رجل من أهل بيتهعليهم السلام في آخر الزمان ـ يسمىٰ المهدي ـ يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً . وعلىٰ ذلك كان ترقب المؤمنين وانتظارهم مهدي أهل البيتعليهم السلام قرناً فقرناً ، ولم يشذ عنهم إلا شرذمة قليلة من دعاة التجديد والتحضّر ، نتيجة لتأثرهم بالدراسات والبحوث الاستشراقية غير الموضوعية من أمثال ما كتبه فان فلوتن، ودونالدسن ، وجولدزيهر، وغيرهم من

المستشرقين الذين حاولوا ـ بتطرفهم المعهود في التحليل والاستنتاج بخصوص مايتصل بعقائد المسلمين ـ إنكار ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان .

كان الجمع قد اهتم بهذا الموضوع، حتى جعلت اذهانهم تحوك صوراً خاصة حول هذا المخلّص .. بينما كان الاستاذ يواصل حديثه بكل سرور، وكأنه كان ينتظر مثل هذه الفرصة للتعبير عما يلوج في صدره من رؤىً تتجلى في مقاطيع مصاديقها التي كان وحي كلامه يدلل على انه قد لمس هذه الاخيرات بوحي قلبه وبأم عقله :

ــ وقد يكون بعض من اغترّ بمناهجهم حَسَن النيّة في الدعوة إلىٰ التجديد في فهم القضايا الاسلامية ومحاولة إبراز توافقها وانسجامها مع المفاهيم الحضارية التي فرضتها المدنية المعاصرة..

اعترضه احدهم بالسؤال، وهو يقول :

ــ استاذ، كيف يمكن ان يكون كذلك ؟

ــ بكل بساطة، فلما رأىٰ أنّ في إنكار فكرة ظهور الإمام المهدي ردّاً حاسماً علىٰ الدعوات الصليبية ـ المقنّعة بقناع الاستشراق ـ التي استهدفت الإسلام فصورته ـ ببحوثها وكتاباتها ـ آلة جامدة لاتنبض بالحياة .

ــ واذن، فكذلك كان لهذه الدراسات ان تنعكس على ..

ــ .. بكل تأكيد، وهكذا انعكست آثار بعض الدراسات الاستشراقية علىٰ ثقافة البعض منّا، مما أسهم في إيجاد خرق من الداخل ، ترىٰ من خلاله تأويل بعض الثوابت الدينية، والتشكيك بقسم منها كقضية ظهور الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان ..

عندها المح سالم بالكلام مقاطعاً استاذه :

ــ التشكيك .. وهل هي مسألة تقبل التشكيك ؟

ــ ادلة التشكيك، هي لا تصمد امام المنطق العقلي، ولربما قد تسمع الترديد المملّ لأقوال المستشرقين إزاء مسألة الظهور، وما كان هذا ليتم لولا التفاعل اللاّمدروس مع تلك الثقافات المحمومة، والتأثر بها لدرجة الاعتقاد بأنّها حقائق مسلّمة علىٰ الرغم مما فيها من خبث ودهاء وتطرّف في التحليل والاستنتاج، وكيد بالاسلام والمسلمين، وكيف لا، وهذا جولدزيهر، ودي بوير، ومكدونالد، وبندلي جوزي يصرّحون

ــ من هؤلاء ؟

ــ هؤلاء جمع من المستشرقين .. فهم يصرحون بتناقض القرآن الكريم حتى كان للدكتور عبدالجبار شرارة، أن يقوم بتفنيد مزاعم هؤلاء المستشرقين وأقوالهم بتناقض القرآن الكريم، واحبط جميع مفترياتهم، وذلك بعد ان عرض لما يقولونه . واذن !

فلا غرابة أن نجد ـ في حركات التبشير الصليبي ـ من يطعن بعقيدة المسلمين بظهور المهدي ، هذا مع أنّ فكرة الظهور لم تكن حكراً علىٰ المسلمين وحدهم .

فسأله عندها حامد، وهو يقول :

ــ استاذ، ماذا تقصد .. اتعني عالمية هذه الفكرة ؟!

ــ إنّ فكرة ظهور المنقذ العظيم الذي سينشر العدل والرخاء بظهوره في آخر الزمان ، ويقضي علىٰ الظلم والاضطهاد في أرجاء العالم، ويحقق العدل والمساواة في دولته الكريمة، فكرة آمن بها أهل الأديان الثلاثة ، واعتنقتها معظم الشعوب .

ابتدره احدهم :

ــ واذن، فاليهود كذلك كانوا قد آمنوا بظهور مثل هذا المنقذ؟

ــ اجل . فقد آمن اليهود بها، كما آمن النصارىٰ بعودة عيسىٰ عليه السلام، وصدّق بها الزرادشتيون بانتظارهم عودة بهرام شاه، واعتنقها مسيحيو الأحباش بترقّبهم عودة ملكهم تيودور كمهديٍّ في آخر الزمان، وكذلك الهنود اعتقدوا بعودة فيشنو، ومثلهم المجوس إزاء مايعتقدونه من حياة أُوشيدر .

بينما حلقت في فضاء الدرس الوان من امارات التعجب وايات الانبهار ،كان للاستاذ ان يستطرد في كلامه :

ـ وهكذا نجد البوذيين ينتظرون ظهور بوذا ، كما ينتظر الأسبان ملكهم روذريق ، والمغول قائدهم جنگيزخان . وقد وجد هذا المعتقد عند قدامیٰ المصريين، كما وجد في القديم من كتب الصينيين .

في حين اصر الاستاذ على مواصلة حديثه، وهو يقول :

ـ وإلىٰ جانب هذا نجد التصريح من عباقرة الغرب وفلاسفته بأنَّ العالم في انتظار المصلح العظيم الذي سيأخذ بزمام الأُمور ويوحّد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحد منهم : الفيلسوف الانجليزي الشهير برتراند راسل .

ـ ترى، ما الذي يمكن ان يخبرنا به هذا الفيلسوف ؟

ساءله احدهم، فأجابه :

ـ لقد قال : إنّ العالم في انتظار مصلح يوحّد العالم تحت عَلَمٍ واحد وشعار واحد .

ـ وغيره ؟

ـ من مثل العلاّمة آينشتاين صاحب النظرية النسبية، حيث قال : إنّ اليوم الذي يسود العالم كلّه الصلح والصفاء، ويكون الناس متحابّين متآخين ليس ببعيد .

سكت قليلا، بعدها واصل اطروحته :

ــ والأكثر من هذاكلّه هو ما جاء به الفيلسوف الانكليزي الشهير برناردشو . .

ــ برناردشو . . ؟ !

هكذا توالت التساؤلات من قبل البعض ..

ــ نعم برناردشو، هذا الاسم المشهور، حيث بشّر بمجيء المصلح في كتابه : الانسان والسوبرمان . وفي ذلك يقول الاستاذ المصري الكبير عباس محمود العقاد في كتابه : برناردشو معلّقاً : يلوح لنا أنّ سوبرمان شو ليس بالمستحيل ، وأنّ دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة .

ابتدره سالم :

ــ والمسلمون ؟

ــ أما عن المسلمين فهم علىٰ اختلاف مذاهبهم وفرقهم، يعتقدون بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان، وعلىٰ طبق ما بشّر به النبيﷺ، ولا يختص هذا الاعتقاد بمذهب دون آخر، ولا فرقة دون أُخرىٰ . وما أكثر المصرّحين من علماء أهل السنة ابتداءً من القرن الثالث الهجري وإلىٰ اليوم بأنّ فكرة الظهور محلّ اتّفاقهم، بل ومن عقيدتهم أجمع ، والأكثر من هذا إفتاء الفقهاء منهم : بوجوب قتل من أنكر ظهور المهدي ، وبعضهم قال : بوجوب

تأديبه بالضرب الموجع والاهانة حتىٰ يعود إلىٰ الحقّ والصواب علىٰ رغم أنفه ـ علىٰ حدّ تعبيرهم.

كان الاستاذ ينظر في ساعته، حينما تابع القول :

ـ ولهذا قال ابن خلدون في الجزء الاول من تاريخه، معبّراً عن عقيدة المسلمين بظهور المهدي : اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام علىٰ ممرّ الأعصار : أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويُظهر العدل ، ويتبعه المسلمون، ويستولي علىٰ الممالك الاسلامية، ويسمىٰ المهدي.

ـ وهل وافقه على ما يدّعيه احد ؟

ـ لقد وافقه علىٰ ذلك الأُستاذ أحمد أمين الأزهري المصري ـ علىٰ الرغم مما عرف عنه من تطرّف إزاء هذه العقيدة ـ فقال معبّراً عن رأي أهل السُنّة بها، وذلك في كتابه المهدي والمهدوية: فأما أهل السُنّة فقد آمنوا بها أيضاً، ثم ذكر نصّ ماذكره ابن خلدون . ثم قال : وقد أحصىٰ ابن حجر الأحاديث المروية في المهدي فوجدها نحو الخمسين . ثم ذكر ماقرأه من كتب أهل السنة حول المهدي فقال : قرأت رسالة للأُستاذ أحمد بن محمد بن الصديق في الردّ علىٰ ابن خلدون سماها : إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، وقد فندكلام ابن خلدون في طعنه علىٰ

الأحاديث الواردة في المهدي وأثبت صحة الأحاديث، وقال : إنّها بلغت التواتر .

في حين استدرك الاستاذ كلامه بالقول :

ــ وقال في موضع آخر : قرأتُ رسالة أُخرىٰ في هذا الموضوع عنوانها : الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، لأبي الطيب بن أبي أحمد بن أبي الحسن الحسني . وقال أيضاً : قد كتب الإمام الشوكاني كتاباً في صحة ذلك سماه : التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح .

رفع رأسه حامد، وكان قد حناه تملياً وتفكراً في امر هذا المحكي عنه ، حتى قال :

ــ إذن استاذ، فانه لا فرق ثمة بين الشيعة وأهل السنّة من حيث الايمان بظهور المنقذ ما دام أهل السنّة قد وجدوا في ذلك خمسين حديثاً من طرقهم ، وعدّوا ظهور المهدي من أشراط الساعة ، وأثبتوا بطلان كلام ابن خلدون في تضعيفه لبعض الأحاديث الواردة في ذلك ، وأنّهم ألّفوا في الرد أو القول بالتواتر كتباً ورسائل ؟!

ــ بالتأكيد، بل انه لا فرق بين جميع المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان والشعوب الأُخرىٰ من حيث الايمان بأصل

الفكرة وإن اختلفوا في مصداقها، مع اتّفاق المسلمين علىٰ أنّ اسمه : محمد، كإسم النبيﷺ، ولقبه عندهم هو : المهدي .

فقال سالم :

استاذ، ومن هنا يعلم أنّ اتّفاق أهل الأديان السابقة ومعظم الشعوب والقوميات وعباقرة الغرب وفلاسفته ـ مع تعدد الأديان، وتباين المعتقدات ، واختلاف الأفكار والآراء والعادات ـ علىٰ أصل الفكرة ، لايمكن أبداً أن يكون بلا مستند لاستحالة تحقّق مثل هذا الاتّفاق جزافاً .

في حين اكد كلامه تلميذ اخر، وهو يستدرك حديث سالم :

ـ فإذا أضفنا استاذ إلىٰ ذلك اتّفاق المذاهب الاسلامية جميعاً علىٰ صحة الاعتقاد بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان وأنّه من أهل البيتعليهم‌السلام علم أنّ اتّفاقهم هذا لا بد وأن يكون معبّراً عن إجماع هذه الأُمة التي لاتجتمع علىٰ ضلالة علىٰ ماهو مقرر في محلّه، وحينئذٍ فلا يضرّ باعتقادهم بظهور مهدي أهل البيتعليهم‌السلام اختلاف تشخيصه عند من سبقهم من أهل الأديان والشعوب . .

تابع كلامه ثالث :

ـ إذ بالامكان معرفته حق معرفته من خلال مصادر المسلمين المعتمدة لما عُرِف عنهم من اتّباع منهج النقل عن طريق السماع

والتحديث شفةً عن شفة وصولاً إلىٰ مصدر التشريع، وبما لا نظير له في حضارات العالم أجمع .

عاد الاستاذ بعدها :

ـ ومع هذا نقول : إنّ اعتقاد أهل الكتاب بظهور المنقذ في آخر الزمان لا يبعد أن يكون من تبشير أديانهم بمهدي أهل البيتعليهم السلام كتبشيرها بنبوّة نبيناصلى الله عليه وآله إلّا أنّهم أخفوا ذلك عناداً وتكبّراً إلّا من آمن منهم بالله واتّقىٰ .

ـ وما الذي يدلل على ذلك ؟

ـ ويدلّ علىٰ ذلك وجود مايشير في أسفار التوراة إلىٰ ظهور المهدي في آخر الزمان ،كما في النصّ الذي نقله الكاتب أبو محمد الأُردني من : سفر أرميا، ونصّه : اصعدي أيتها الخيل وهيّجي المركبات، ولتخرج الأبطال :كوش وقوط القابضان المجنّ، واللوديُّون القابضون القوس، فهذا اليوم للسيد ربِّ الجنود، يوم نقمة للانتقام من مبغضيه، فيأكل السيف ويشبع... لأن للسيد ربِّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات .

ـ وهل هناك ما هو أوضح من هذا ؟

ـ اجل ! فهناك اوضح من هذا بكثير جداً، فقد قال الباحث السنّي سعيد أيوب في كتابه الموسوم بالمسيح الدجال : ويقول

كعب : مكتوب في أسفار الأنبياء : المهدي مافي عمله عيب . ثمّ علّق علىٰ هذا النصّ بقوله : وأشهد أنني وجدته كذلك في كتب أهل الكتاب، لقد تتبع أهل الكتاب أخبار المهدي كما تتبعوا أخبار جده ﷺ، فدلت أخبار سفر الرؤيا إلىٰ إمرأة يخرج من صلبها اثنا عشر رجلاً، ثمّ أشار إلىٰ امرأة أُخرىٰ، أي : التي تلد الرجل الأخير الذي هو من صُلب جدته، وقال السفر : إنَّ هذه المرأة الأخيرة ستحيط بها المخاطر، ورمز للمخاطر باسم : التنّين، وقال : والتنّين وقفَ أمام المرأة العتيدة حتىٰ تلد يبتلع ولدها متىٰ ولدت .

ـ هذا في اسفار اليهود ؟

ـ في سفر الرؤيا ١٢، أي : أنَّ السلطة كانت تريد قتل هذا الغلام، ولكن بعد ولادة الطفل .

ـ وهل يفسر هذا احدهم ؟

ـ يقول باركلي في تفسيره : عندما هجمت عليها المخاطر اختطف الله ولدها وحفظه .

ـ اختطف الله ولدها ؟ !

تعالت التساؤلات المثيرة والهمسات الممزوجة بابتسامات فكهة . بينما علق الاستاذ وهو يواصل حديثه :

والنص : واختطف الله ولدها . هو جاء في سفر الرؤيا ١٢، أي:

أنَّ الله غيّب هذا الطفل كما يقول باركلي .

سكت الاستاذ قليلا، وهو يقلب طرفه ما بين تلامذته الذين كان قد راق لهم الخوض في هذا الموضوع .. مع ان درس الاستاذ كان درس التاريخ الذي يعني بالاحداث المعاصرة من غير هذا الموضوع، الا انه كان يحبّذ، لو كان درسه يضّمن الغوص في العرض لهذه القضية، ولقد كان له ان يضحيّ بالوقت من درسه، ما شاء ان يضحيه تلامذته من هذه المادّة وباتفاق الاكثرية . فافاض بعدها ومن جديد :

ــ حيث ذكر السّفر، اقصد سفر الرؤيا : أنّ غيبة الغلام ستكون ألفاً ومئتين وستين يوماً، وهي مدة لها رموزها عند أهل الكتاب، ثم قال باركلي عن نسل المرأة عموماً : إنّ التنّين سيعمل حرباً شرسة مع نسل المرأة كما قال السفر : فغضب التنّين على المرأة، وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله .

ــ استاذ، من تعرض لذكر كل هذا ؟

ــ سعيد ايوب في كتابه : المسيح الدجال . وكما تعلمون فان المهدي عند الشيعة هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت وأولهم علي بن أبي طالبعليه السلام والحديث القائل : المهدي حق وهو من ولد فاطمة . مقطوع بصحته ومصرح بتواتره عند أهل السنة،

وهو عند الشيعة المولود الثاني عشر لفاطمةعليها السلام : ثلاثة بالمباشرة، وهم : الحسنان ومحسن، وتسعة بدونها وهم الأئمة من ولد الحسينعليهم السلام، واما عن أولاد الحسنعليه السلام فهم كذلك من بني فاطمةعليها السلام إلّا أنهم أُخرجوا من مجموع الاثني عشر لكونهم ليسوا بأئمة، ولا يرد مثل هذا علىٰ ما لم يكن إماماً وهو محسن، لأنّ ولادته من فاطمةعليها السلام بالمباشرة، ولهذا قال الاستاذ سعيد أيوب : هذه هي أوصاف المهدي، وهي نفس أوصافه عند الشيعة الامامية الاثني عشرية . ثم علق عليه في هامش صفحته بما يدلّ علىٰ تقارب الأوصاف ..

ـ هل يمكن ان يثير ذلك ان اعتقاد الشيعة واهل السنّة كان بفعل تأثرهم بما وجدوه لدى اهل الكتاب ؟

ـ ان تقارب الاوصاف هذا، وإن كان ممكناً، غير أنّ اعتقاد الشيعة وغيرهم بظهور المهدي في آخر الزمان لم يكن علىٰ أساس الاستدلال بما في كتب العهدين كما سنبينه مفصّلاً في هذا الكتاب .

وهذا وإن لم يصحّ لمسلم الاحتجاج به لما مُنيت به كتب العهدين من تحريف وتبديل، إلّا أنّه يدلّ وبوضوح علىٰ معرفة أهل الكتاب بالمهدي، ثم اختلافهم فيما بعد في تشخيصه، إذ ليس

كلّ ما جاء به الإسلام قد تفرّد به عن الأديان السابقة، فكثير من الأُمور الكلِّية التي جاء بها الإسلام كانت في الشرائع السابقة قبله .
قال الشاطبي المالكي في كتابه الموافقات : وكثير من الآيات أُخبر فيها بأحكام كلّية كانت في الشرائع المتقدمة وهي في شريعتنا، ولا فرق بينهما

ــ وإذا تقرر هذا ؟

ــ واذا تقرر هذا، فلا يضرُّ اعتقاد المسلم بصحة مابشّر به النبيﷺ من ظهور رجل من أهل بيته في آخر الزمان، أن يكون هذا المعتقد موجوداً عند أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، أو عند غيرهم ممن سبق الإسلام ، ولا يخرج هذا المعتقد عن إطاره الاسلامي بعد أن بشّر به النبيﷺ وبعد الايمان بأنهﷺ : وما يَنطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إن هوَ إلاّ وحيٌ يُوحىٰ .

بينما قال سالٰم :

ــ واعتقادات الشعوب الاخرى ؟

ــ وأما عن اعتقادات الشعوب المختلفة بأصل هذه الفكرة كما اعربنا عن ذلك، فيمكن تفسيرها علىٰ أساس أنّ فكرة ظهور المنقذ لا تتعارض مع فطرة الانسان وطموحاته وتطلّعاته، ولو فكّر الانسان قليلاً في اشتراك معظم الشعوب بأصل الفكرة لأدرك أنّ

وراء هذا الكون حكمة بالغة في التدبير، يستمد الانسان من خلالها قوّته في الصمود إزاء ما يرىٰ من انحراف وظلم وطغيان ، ولا يُترك فريسة يأسه دون أن يزوّد بخيوط الأمل والرجاء بأنّ العدل لا بدّ له أن يسود .

ــ واسم المنقذ والمصلح، فهل اختُلِف في تشخيص اسمه ؟

ــ أما عن اختلاف اسم المخلّص، فان أهل الأديان السابقة والشعوب كانوا قد اختلفوا في تشخيص اسم المنقذ المنتظر، وهذا لا علاقة له في إنكار ما بشّر به النبيﷺ، وليس هناك ما يدعو إلىٰ بيان فساد تشخيصهم لاسم المنقذ، مادام الإسلام قد تصدىٰ بنفسه لهذه المهمة فبيّن اسمه، وحسبه، ونسبه، وأوصافه، وسيرته ، وعلامات ظهوره، وطريقة حكمه، حتىٰ تواترت بذلك الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها من طرق أهل السنّة،كما صرّح بذلك أعلامهم وحفّاظهم وفقهاؤهم ومحدثوهم، وقد روىٰ تلك الأخبار عن النبيﷺ ما يزيد علىٰ خمسين صحابياً .

سأله عندها حامد، فقال :

ــ وهل ثمة اختلاف للمسلمين فيما بينهم فيما يتعلق باسم المهدي ؟

ــ وأما عن اختلافنا نحن المسلمين، وذلك من حيث

تشخيص اسم المهدي كما هو معلوم بيننا نحن أهل السنة والشيعة، فليس فيه أدنىٰ حجة للمستشرقين ومن سار في ركبهم، بل هو - علىٰ العكس - من الأدلّة القاطعة عليه .

ـ كيف يمكن ان يتضح ذلك ؟

ـ لأنّ هذا هو من قبيل الاختلاف في تفاصيل شيء متحقق الوجود، كاختلافهم في القرآن الكريم بين القول بقِدَمِه وحدوثه من الله تعالىٰ، مع اتّفاقهم علىٰ تكفير منكره، وقس عليه سائر اختلافاتهم الأُخرىٰ في تفاصيل بعض العقائد دون أُصولها .

۞ ۞ ۞

☜ (٤)

في نفس اليوم، التقى حامد بسالم وذلك من بعد ظهيرة نهاره، وفي ظل حوار دار بينهما عرج سالم الى حديث استاذهما في الفصل، فقال وهو يستحضر نتائج تلك المناقشات :

ــ إنّ النتيجة المنطقية لما شرحه وتقدم به الاستاذ قاضية بتفاهة ومزاعم المستشرقين ومن وافقهم بأُسطورية فكرة ظهور المهدي في آخر الزمان ..

ــ ماذا تقصد ؟

ــ انما اقصد ضحالة وتفاهة ما له ان يدور من تهافت القول بأُسطورية فكرة الظهور .

ــ ؟!

ــ ذلك لأنّ الأُسطورة التي ينتشر الايمان بها بمثل هذه الصورة ، لا شك أنّها سلبت عقول المؤمنين بها ، وصنعت لهم

تاريخاً، ولكن التاريخ لا يعرف أُمّة خلقت تاريخها أُسطورة ..

قال حامد يحدث نفسه :

ــ اسطورة تخلق تاريخ أمّة ..

بينما كان سالم يتحدث :

ــ فكيف الحال مع أمّة هي من أرقى أمم العالم حضارة في القرون الوسطى باعتراف المستشرقين أنفسهم .

وكأن افكار حامد كانت تتحرك في مجال اوسع، بل غير هذا الذي تسير به ذهنية سالم، وعلى اقل تقدير، في تلك اللحظات بالذات :

ــ والعجيب، أنّ القائلين بهذا يعترفون برقيّ الحضارة الاسلامية وسموّها بين الحضارات العالمية كافة، ولا ينكرون دور الإسلام في تهذيب نفوس المؤمنين من سائر البدع والخرافات والعادات البالية التي تمجّها النفوس، وتستنكرها العقول، ولم يلتفتوا إلى أنّ أُمة كهذه لا يمكن اتّفاقها على الاعتقاد بأُسطورة ..

التفت سالم الى صاحبه، وهو يحدثه :

ــ هه، اظنني كنت اتكلم ..، اعتقد بانني احادثك يا صاح !

ــ هه، اجل !

ــ .. وأغلب الظنّ أنَّ هؤلاء المستشرقين لمّا وجدوا عقائد

أسلافهم ملأىٰ بالخرافات والأساطير والضلالات، كبُر عليهم أن يكتبوا عن الإسلام الذي هو أنقىٰ من الذهب الابريز، ومن دون أن يُضفوا عليه شيئاً من أحقادهم، ولهذا وصفوا ماتواتر نقله عن النبي الأعظمﷺ بشأن ظهور المهدي في آخر الزمان بأنّه من الأساطير .

ـ والمصيبة !

قالها حامد، ومن دون ان يعي سالم فحواها على وجه الضرورة، الا انها كانت على غالب الامر، قد نبّهته الى واضحٍ من المسائل الاخريات ، حتى اسهمت في نتاج جمل جديدة، استفاضها سالم، كأنما استرفدها من رفيقه الذي رفده بها على غير قصد :

ـ والمصيبة ليست هنا، لأنّا نعلم أنَّ القوم كانت قد :كَبُرَت كَلِمَةً تَخرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِم إن يَقُولُونَ إلاكَذِباً، بل المصيبة تكمن في كتابات من تقمّصوا لباس السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده . .

ـ السيد جمال الدين، والشيخ محمد عبده ؟ !

غمغم حامد بهدوء . . بينما كان يتواصل سالم مع نظرات زميله التي جعلت مساراتها تحلق في اطوار واوطار اخرى :

ـ . . ونظائرهما من قادة الاصلاح، مما ساعد علىٰ إخفاء حقيقتها وواقعها الذي لم يكن غير الاستظلال بفيء الخصوم، وطلب الهداية ممن غرق في بحر الضلال، من دون تروٍ مطلوب، ولا التفات مسؤول إلىٰ مايهدّد تراث الإسلام الخالد، ويستهدف أُصوله الشامخة.

عندها كانت ذهنية رفيق المتحدث تصحو على بقية كلام الاخير:

ـ ومن هنا وجب التحذير من هؤلاء وأُولئك، والاحتراز عن كل مايُنفَث ، أو يُبَثّ، قبل بيان الدليل القاطع علىٰ عقيدة المسلمين بالمهدي في فصول هذا البحث.

٭ ٭ ٭

(٥)

بعد مضي عدة ايام، كان حامد وابوه قد دُعيا الى حفل عشاء، نظمه احد التجار، فما كان من ابي حامد الا ان اصطحب واياه ولده حامد، واذا ما كان الصخب قد عم اجواء الحفل، وتناوبت اصداء الحديث جولاتها وهي تترى حول اسعار السوق، وهبوط العملات، واسباب ذلك، وحوار انثار في معظم قضايا التجارة العالمية، والاستيراد والتصدير، كان فكر حامد يدور في فلك اخر.. كان يحلم فيما يرغب اليه، لم يكن ليهتم بسوى اماله التي رسمها له عقله، بل كان يشعر بان عواطفه تسابق الى ما يحلم الحصول عليه، قبل ان تعدو اليه فتات عقله ، إن لم تكن اصوله، ذلك ان كان لبواعث عقلية دور رئيسي في مثل هذه التوجهات .

وعند العودة، سأله ابوه وهو يقود سيارته :

ـ كيف كان الحفل، اعجبك .. هه ! اني اريدك دوماً الى جانبي، كي تخبر السوق وتعاملاته، بل تفهم لغة العمل الرسمية، ولغة

العمل غير الرسمية .

اثارت مثل هذه النبرة ذهنية حامد، سأله :

ــ رسمية وغير رسمية ؟!

ــ اعني علاقات رسمية، وعلاقات اخوية ..كما هو الحال في دوائر الدولة، فكثير من المعاملات تمضى في مثل هذه السهرات، بينما لا تحل ابسطها وليس اعوصها في ردهات وغرف دوائر الدولة حينما تراجع وتقف مكتوف الايدي صاغراً امام الموظف الذي يود امضاء وتمشية معاملتك .. بينما في مثل هذه الحفلات، لا تحتاج معها الى مستندات ووثائق مع انها ضرورية، الا ان قصدي انه لا تحتاج فيها الى تودد، ومطالبة والحاح وتوضيح، فالصداقة والعلاقة لها اثرها في ايقاع انطباع السهولة والسلاسة في استحصال ما تريد نيله !كذلك الحفلات الخاصة بمحافل التجار، فاغلب المعاملات تبرم عقودها في مثل هذه السهرات والامسيات .. الا تدرك سعادة مثل هذه المشاعر التي يمكن ان يحملها رواد مثل هذه التقاربات، فضلا عن الملتبين لمثل هذه الدعوات الساهرة .

ــ اقول، هل يفكر التجار بمسائل الدين مثلما يفكرون بمسائل الدنيا .. اقصد معاملاتهم التجارية ؟

ــ لا افهم ما تعني ؟

ــ اقول هل يفهمون قضية المهدي .. اعني منجي البشرية ؟

ــ المــهدي .. مــنجي البشــرية .. هـل تـدرسون هـذا فـي مناهجكم؟

ــ هذا ليس بمهم ..

ــ اقصد هل يوضح لكم معلّموكم مثل هذه المسائل ؟

ــ يتعرضون لمثلها !

ــ واذن، فكلٌ منّا في فلك سائرون، هه (ضحك الاب) مثل هذه الافلاك .. فما لقيصر اعطه لقيصر، فاعط الخبر لخبازه يـعني الطبيب يعالج المرضى والفلاح يزرع الارض والمهندس يـخطط للبناء والتجار يسهمون في انعاش مصالح العباد ويوفرون لهم مـا يحتاجونه ..

ــ ان كل هذا من المسلمات وهو اصح من الصحيح . الا انه هل يمكن ان ينسى الاب المهندس ابناءه، او يتخلى الطبيب الاخ عن اخيه ، او يترك الفلاح امه تتردى فـي مـرضها مـن دون اسـعافها لتلقيها العلاج، كذلك الدين فهل يمكن للتاجر أن يتخلى عنه فـي معاملاته، أو لا يصال نفسه الى حقيقة العبادة .

ــ يا هذا، ماذا تتصورنا نحن التجار، او ماذا تتصور اباك .. هل تخالنا كفاراً ! ام لا تبصرنا كذلك حينما نتخلى عن اعمالنا ونصير نشحذ ونتكفكف ايدي الناس ونسأل الرائح والجائي، فنعيش على الكدية والاستنداء .. وكل ذلك من اجل التفرغ للعبادة .. الا ترى ان

ذلك هو لا يرضاه الله نفسه، وقد ذم الرسول الكثير ممن كانوا يعتكفون في المساجد ويذرون البيع والشراء والتجارة .. فلا نحن من الذين نترك الدين لاجل التجارة حتى ينفضوا عن الرسول ومن حوله، ولا نحن ممن يتخلى عن الدنيا لاجل الدين، لانه ليس منّا من ترك دنياه لدينه .. والا فما فائدة العيش، وما هي الغاية اذن من خلق الله للعباد والناس ؟!

ــ انا لا اقصد هذا .. بل ادرك ان الحقائق ..

وغابت كلماته في ظل ابواق السيارات التي اجتمعت خلف بعضها البعض حينما اصبح الطريق مزدحماً .. حتى تعجب الاب ونسي حديث ولده الذي كف عن الكلام .. لان الساعة الان هي الحادية عشرة ليلا. ومن الطبيعي ان لا تتعرض الشوارع والطرقات الى اي نوع من الازدحام .. ولقد كان ثمة حادث تعرضت فيه ثلاث سيارات الى الاصطدام مع بعضها .. فاضطرت قوافل السيارات المتفرقة الى التوقف مما دعتها الظروف الى ان تشكّل جمعاً مزدحماً من العجلات المارّة.

٭ ٭ ٭

(٦)

ـ لا يخفىٰ أنّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة صنوان لمشرّع واحد . وعقيدة المسلمين بالمهدي المتواترة عن النبيﷺ بلا شك ولا شبهة قد أيدها القرآن الكريم بجملة من الآيات المباركة التي حملها الكثير من المفسرين علىٰ المهدي المبشَّر بظهوره في آخر الزمان .

كان المتحدث هو إحد المختصين في الدراسات السياسية في الجامعة يتحدث الى سالم وحامد، حيث كان هذا الشخص هو جار لكليهما .. مما دعتهما الحاجة الى ان يطرحا عليه مثل هذا الموضوع حتى صار يضيف قائلا :

ـ وإذا ما تواتر شيء عن النبيﷺ، فلا بد من التسليم بأنّ القرآن الكريم لم يهمله بالمرّة وإن لم تدركه عقولنا . إذن فان استجلاء هذه العقيدة من الآيات المباركة منوط بمن يفهم القرآن حق فهمه، ولا شك بأنّ أهل البيتعليهم السلام هم عدل القرآن بنصّ حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين، وعليه فإنّ ما ثبت

تفسيره عنهمﷺ من الآيات بالمهدي لا بد من الاذعان إليه والتصديق به .

ــ وكيف يمكن الاحتجاج بهذه الاخبار ؟

سأله حامد، اجابه قائلا :

ــ وفي هذا الصدد قد وقف المحدثين علىٰ الكثير من أحاديث أهل البيتﷺ المفسرة لعدد من الآيات المباركة بالامام المهدي . وما على المحاجج أن يتعرض إلّا الى ماكان مؤيداً بما في تفاسير أصحاب المذاهب الأُخرىٰ ورواياتهم . وذلك وفقاً لقاعدة الزام الطرف الاخر بما لديه من كتب ومصادر يقر بها هو نفسه ويعتقد !

وبينما هم كذلك اذ اشترك معهم شخص رابع في المناقشة .. حتى اذا احتدم النقاش وثارت قضاياه، كان لهذا المضاف عليهم، ان يدركهم بشيء مما يحفظ من ايات القرآن المدلّلة على ذلك، حتى اذعنوا له بالصمت والاصغاء صاغرين، فأنشأ يحدثهم وهو يقول :

ــ فمنها انّ أعداء هذا الدين من أهل الكتاب والمنافقين والمشركين ومن والاهم : يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبىٰ اللهُ إلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ .

ــ وما الذي تبينه لنا هذه الاية ؟

قال ذلك حامد، اجابه :

ــ فهذه الآية العجيبة بينت لنا أنّ حال هؤلاء كحال من يريد بنفخة فم إطفاء نور عظيم منبثّ في الآفاق، ويـريد الله تـعالىٰ أن يزيده ويُبلِغَهُ الغاية القُصوىٰ في الاشـراق والاضـاءة . وفـي هـذا منتهىٰ التصغير لهم والتحقير لشأنـهم والتـضعيف لكـيدهم ؛ لانَّ نفخة الفم القادرة علىٰ إطفاء النور الضعيف ـكنور الفـانوس ـلن تقدر علىٰ إطفاء نور الإسلام العظيم الساطع .

ــ جميل جدا .

قالها استاذ السياسة . بينما استطرد الرابع قائلا :

ــ وهذا من عجائب التعبير القرآني، ومـن دقـائق التـصوير الالٰهي، لما فيه من تمثيل فنّي رائع بلغ القمة في البيان، ولن تجد له نظيراً قط في غير القرآن . ثم تابع القرآن الكريم ليبين لنـا بـعد هذا المثال، إرادة الله عزَّ وجل الظهور التام لهذا الدين رغم أنوفهم، فقال تعالىٰ : هُوَ الَّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدىٰ وَدِينِ الحَـقِّ لِـيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ . والمراد بدين الحق هو ديـن الإسلام بالضرورة . ولقوله تعالىٰ : وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ .

ــ وغير ذلك ؟

ــ قوله تعالىٰ : ليُظهِرَهُ عَلىٰ الّدينِ كُلِّه، أي : لينصره علىٰ جميع

الأديان ، والضمير في قوله تعالىٰ : لِيُظهِرَهُ، راجع إلىٰ دين الحق عند معظم المفسرين وأشهرهم، وجعلوه هو المتبادر من لفظ الآية

ــ ان الاية تتحدث عن الإسلام وحسب ؟ !

ــ ان هذه بشرىٰ عظيمة من الله تعالىٰ لرسوله ﷺ بنصرة هذا الدين وإعلاء كلمته، وقد اقترنت هذه البشرىٰ بالتأكيد علىٰ أنّ إرادة أعداء الدين إطفاء نور الإسلام سوف لن تغلب إرادته تعالىٰ وهي إظهار دينه القويم علىٰ سائر الأديان، ولو كره المشركون . .

ــ وبالتالي، لم تفدنا الاية بحقيقة ما نريد الاستدلال عليه !

ــ اصبر قليلا (قالها لحامد) . . والاظهار في الآية لا يراد به غير الغلبة والاستيلاء .. قال الرازي في تفسيره الكبير : واعلم أنّ ظهور الشيء علىٰ غيره قد يكون بالحجّة، وقد يكون بالكثرة والوفور، وقد يكون بالغلبة والاستيلاء . ومعلوم أنّه تعالىٰ بشّر بذلك، ولا يجوز أن يبشّر إلّا بأمر مستقبل غير حاصل، وظهور هذا الدين بالحجة مقرر معلوم، فالواجب حمله علىٰ الظهور بالغلبة.

ــ الظهور بالغلبة ؟

سأله سالم، فقال مستطرداً :

ــ فلا يخفىٰ بأنّ تلك الغلبة علىٰ الأديان الأُخرىٰ، قد تحققت في عهد النبي ﷺ وخير دليل علىٰ ذلك أنّهم دفعوا الجزية

للمسلمين عن يدٍ وهم صاغرون، ولا يخفىٰ أيضاً أنّ تلك الغلبة والنصرة كانت بما يتناسب وصيرورة الإسلام ديناً قوياً مهاب الجانب وذا شوكة.

ـ واذن ؟!

ـ واذن، فان واقعنا اليوم لمّا كان هو الاخر ليس كذلك .. فالذين دفعوا لنا الجزية بالأمس قد سيطروا اليوم علىٰ مقدساتنا، والعدو أحاط بنا، وغُزِينا في عقر ديارنا، مع ما يلاحظ من نشاط التبشير بأديان أهل الكتاب علىٰ قدمٍ وساق. وإذاكنا نعتقد حقاً بأنّ القرآن الكريم صالح ليومه وغده؛ فهل يكون معنىٰ ظهور الدين علىٰ سائر الأديان منطبقاً علىٰ واقع الإسلام اليوم الذي يكاد يكون مطوقاً بأنظمة المسلمين وسياساتهم ؟ وهل لتلك البشرىٰ من مصداق واقعي غير كثرة من ينتمي إلىٰ الإسلام مع ما في هذه الكثرة من تضاد وتناقض واختلاف في العقائد والأحكام ؟!

ـ ؟!

ـ هذا مع أنّ ثمة ما هو مروي عن قتادة في قوله تعالىٰ: لِيُظهِرَهُ عَلىٰ الّدينِ كُلِّه، حيث قال : هو الأديان الستة : الذين آمنوا، والذين هادوا، والصابئين ، والنصارىٰ، والمجوس، والذين أشركوا. فالأديان كلّها تدخل في دين الإسلام، والإسلام يدخل في شيء منها، فإنّ الله قضىٰ بما حكم وأنزل أن يُظهر دينه علىٰ الدين

كلّه ولو كره المشركون. كما انه قد ورد في تفسير ابن جزّي: وإظهاره: جعله أعلىٰ الأديان واقواها، حتىٰ يعم المشارق والمغارب. وهذا هو المروي عن أبي هريرة كما نصَّ عليه جملة من المفسرين.

وماكان المتحدث الرابع الا استاذ في كلية الاداب، مدرس في علوم القرآن والحديث واللغة في الجامعة، فابتدره عالم السياسة الذي كان له المام هو الاخر في الاخبار، فقال له:

ــ الا ان ثمة ما جاء في الاخبار في قوله تعالىٰ: لِيُظهِرَهُ عَلىٰ الّدينِ كُلِّه، انه قيل: لا يكون ذاك حتىٰ لا يبقىٰ يهودي ولا نصراني صاحب ملّة إلاّ الإسلام. وعن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لايبقىٰ علىٰ ظهر الأرض بيت مدر ولاوبر إلّا أدخله كلمة الإسلام، إما بعزٍّ عزيز ، وإما بذلٍ ذليل. إما يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزّوا به، وإما يُذلّهم فيدينون له. ومن هنا ورد في الأثر عن الإمام الباقر عليه السلام أن الآية مبشّرة بظهور المهدي في آخر الزمان، وأنه ـ بتأييد من الله تعالىٰ ـ سيُظهر دين جده ﷺ علىٰ سائر الأديان حتىٰ لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض مشرك. وهو قول السدّي المفسّر. بينما قال القرطبي: وقال السدّي: ذاك عند خروج المهدي، لايبقىٰ أحد إلّا دخل في الإسلام.

بينما عاد استاذ علوم القرآن والحديث في كلية الاداب ليقول:

ـ كما ثمة قوله تعالىٰ: وَلو تَرىٰ إذ فَزِعُوا فلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِن مكانٍ قريب . حيث أخرج الطبري في تفسيره، عن حذيفة بن اليمان تفسيرها في الجيش الذي يُخسف به، وسيأتي مايدلّ علىٰ أنّ ذلك الخسف لم يحصل إلىٰ الآن علىٰ الرغم من روايته في كتب الصحاح والمسانيد المعتبرة، وأنه من أشراط الساعة المقترنة بظهور المهدي بلا خلاف. وما أخرجه الطبري ذكره القرطبي في التذكرة مرسلاً عن حذيفة بن اليمان، وبه صرّح آخرون في تفاسيرهم. كذلك قوله تعالىٰ: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذا صِراطٌ مُستَقيمٌ. فقد صرّح كثير من المفسرين بأن الآية تختص بنزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام في آخر الزمان . وقد أوّلها مجاهد في تفسيره، وهو من رؤوس التابعين ومشاهيرهم في التفسير ، بنزول عيسىٰ عليه السلام أيضاً[1] .

بينما قال المختص بالعلوم السياسة:

ـ وأما قوله عز وجل: وإنّه لَعلمٌ للساعة، فهو المهدي عليه السلام، يكون في آخر الزمان، وبعد خروجه يكون قيام الساعة وأمارتها . ومثل هذا التصريح تجده عند كثير من المفسرين والمحدثين من مثل ابن حجر الهيثمي، والشبلنجي الشافعي، والسفاريني الحنبلي والقندوزي الحنفي، والشيخ الصبّان . ولا

(١) تفسير مجاهد ٢ : ٥٨٣.

خلاف بين هؤلاء وأولئك لأنّ نزول عيسىٰ سيكون مقارناً لظهور المهدي كما في صحيحي البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث الأُخرىٰ . ويؤيدّه الكثير حيث يؤيدون أنها في نزول عيسىٰ بن مريم مع التصريح بوجود الإمام المهدي وقت نزول عيسىٰ بن مريم، وأنه يصلّي خلف المهدي عليه السلام .

ـ !!

ـ وقوله تعالىٰ : فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ * الجَوارِ الكُنَّسِ، فقد ورد في الأثر عن الإمام الباقر٧ أنه قال : إمام يخنُس سنةَ ستين ومائتين ، ثم يظهر كالشهاب يتوقّد في الليلة الظلماء، فإن أدركت زمانه قرّتْ عينك . ولا يخفىٰ أن هذا من الاخبار المعجز الذي علمه أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي تلقّاه من الوحي عن الله جلّ شأنه .

سأله حامد، فقال :

ـ هل ان أحاديث المهدي الواردة في كتب المسلمين تكفي للجزم بتواترها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون أدنىٰ تردّد .

ـ ان نظرة واحدة في ذلك كله هي لتكفي وذلك من بعد التأكد من مسانيدها ورجالها وما الى ذلك .

ـ هل يمكن ان نعتمد على اولئك الذين اخرجوا أحاديث المهدي؟

ـ لا يبعد القول بأنّه ما من محدّث من محدّثي الإسلام[١] إلّا

---

(١) من مثل ابن سعد صاحب الطبقات الكبرىٰ (ت/ ٢٣٠ هـ)، وابن أبي شيبة (ت/٢٣٥ هـ)، وأحمد بن حنبل (ت/ ٢٤١ هـ)، والبخاري (ت/٢٥٦ هـ) ذكر المهدي بالوصف دون الاسم، ومثله فعل مسلم (ت/ ٢٦١ هـ) في صحيحه كما سنبينه في الفصل الثالث من هذا البحث، وأبو بكر الاسكافي (ت/ ٢٦٠ هـ)، وابن ماجة (ت/٢٧٣ هـ)، وأبو داود (ت/٢٧٥ هـ)، وابن قتيبة الدينوري (ت/ ٢٧٦ هـ)، والترمذي (ت/٢٧٩ هـ)، والبزار (ت/٢٩٢ هـ)، وأبو يعلى الموصلي (ت/٣٠٧ هـ) ، والطبري (ت/ ٣١٠ هـ)، والعقيلي (ت/٣٢٢ هـ)، ونعيم بن حماد (ت/٣٢٨ هـ)، وشيخ الحنابلة في وقته البربهاري (ت/٣٢٩ هـ) في كتابه (شرح السنّة)، وابن حبان البستي (ت/٣٥٤ هـ)، والمقدسي (ت/٣٥٥ هـ)، والطبراني (ت/ ٣٦٠هـ)، وأبو الحسن الآبري (ت/٣٦٣ هـ)، والدارقطني (ت/٣٨٥هـ)، والخطابي (ت/٣٨٨ هـ)، والحاكم النيسابوري (ت/٤٠٥ هـ)، وأبو نعيم الاصبهاني (ت/ ٤٣٠هـ)، وأبو عمرو الداني (ت/ ٤٤٤ هـ)، والبيهقي (ت/٤٥٨ هـ) ، والخطيب البغدادي (ت/٤٦٣ هـ) ، وابن عبد البر المالكي (ت/٤٦٣ هـ) ، والديلمي (ت/٥٠٩ هـ) ، والبغوي (ت/ ٥١٠ أو ٥١٦ هـ) ، والقاضي عياض (ت/٥٤٤ هـ) ، والخوارزمي الحنفي (ت/٥٦٨ هـ) ، وابن عساكر (ت/ ٥٧١ هـ) ، وابن الجوزي (ت/٥٩٧ هـ) ، وابن الجزري (ت/٦٠٦ هـ) ، وابن العربي (ت/٦٣٨ هـ) ، ومحمد بن طلحة الشافعي (ت/٦٥٢ هـ) ، والعلّامة سبط ابن الجوزي (ت/٦٥٤ هـ)، وابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي (ت/٦٥٥ هـ) ، والمنذري (ت/٦٥٦ هـ)، والكنجي الشافعي (ت/٦٥٨ هـ) ، والقرطبي المالكي (ت/٦٧١ هـ)، وابن خلكان (ت/ ٦٨١ هـ) ، ومحب الدين الطبري (ت/٦٩٤ هـ)، والعلّامة ابن منظور (ت/٧١١ هـ) (في مادة هـدِيَ من لسان العرب)، وابن تيمية (ت/٧٢٨ هـ) ، والجويني الشافعي (ت/ ٧٣٠ هـ) ، وعلاء الدين بن بلبان (ت/٧٣٩ هـ) ، وولي الدين التبريزي (ت/بعد سنة ٧٤١ هـ) ، والمزي (ت/٧٣٩ هـ) ، والذهبي (ت/٧٤٨هـ) ، وابن الوردي (ت/٧٤٩ هـ) ، والزرندي الحنفي (ت/ ٧٥٠ هـ) ، وابن قيم الجوزية (ت/٧٥١ هـ) ، وابن كثير (ت/٧٧٤ هـ)، وسعد الدين التفتازاني (ت/٧٩٣ هـ) ، ونور الدين الهيثمي (ت/٨٠٧ هـ)، وابن خلدون المغربي (ت/٨٠٨ هـ) الذي صحح أربعة ←

وقد أخرج بعض الأحاديث المبشّرة بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان، وقد أفردوا كتباً كثيرة في الإمام المهدي خاصة.

← أحاديث من أحاديث المهدي على الرغم من موقفه المعروف والذي سيأتيك بيانه في الفصل الثالث، والشيخ محمد الجزري الدمشقي الشافعي (ت/٨٣٣ هـ)، وأبو بكر البوصيري (ت/٨٤٠هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢ هـ)، والسخاوي (ت/٩٠٢هـ)، والسيوطي (ت/٩١١ هـ)، والشعراني (ت/٩٧٣ هـ)، وابن حجر الهيتمي (ت/٩٧٤ هـ)، والمتقي الهندي (ت/٩٧٥ هـ) إلى غير ذلك من المتأخرين كالشيخ مرعي الحنبلي (ت/١٠٣٣ هـ)، ومحمد رسول البرزنجي (ت/١١٠٣ هـ)، والزرقاني (ت/١١٢٢هـ)، ومحمد بن قاسم الفقيه المالكي (ت/١١٨٢ هـ)، وأبي العلاء العراقي المغربي (ت/١١٨٣هـ)، والسفاريني الحنبلي (ت/١١٨٨ هـ)، والزبيدي الحنفي (ت/١٢٠٥هـ) في كتاب (تاج العروس) مادة: هدي، والشيخ الصبّان (ت/١٢٠٦ هـ)، ومحمد أمين السويدي (ت/١٢٤٦ هـ)، والشوكاني (ت/١٢٥٠ هـ)، ومؤمن الشبلنجي (ت/١٢٩١هـ)، وأحمد زيني دحلان الفقيه والمحدث الشافعي (ت/١٣٠٤ هـ)، والسيد محمد صديق القنوجي البخاري (ت/١٣٠٧هـ)، وشهاب الدين الحلواني الشافعي (ت/١٣٠٨ هـ)، وأبي البركات الآلوسي الحنفي (ت/١٣١٧هـ)، وأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (ت/١٣٢٩ هـ)، والكتاني المالكي (ت/١٣٤٥ هـ)، والمباركفوري (ت/١٣٥٣هـ)، والشيخ منصور علي ناصف (ت/ بعد سنة ١٣٧١ هـ)، والشيخ محمد الخضر حسين المصري (ت/١٣٧٧ هـ)، وأبي الفيض الغماري الشافعي (ت/١٣٨٠ هـ)، وفقيه القصيم بنجد الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (ت/١٣٨٥ هـ)، والشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (ت/١٣٨٨ هـ)، وأبي الاعلى المودودي، وناصر الدين الالباني إلى ماشاء الله من المعاصرين، واذا مااضفنا اليهم أعلام المفسرين من أهل السنة أيضاً فلك ان تقدر حجم الاتفاق على رواية احاديث المهدي، والاحتجاج بها.

واما عن أعلام الشيعة ومحدثيهم ومفسريهم الذين أوردوا أحاديث المهدي فقد يسمج التعرض لبيان اسمائهم؛ لكون الايمان المطلق بظهور المهدي عندهم من أصول عقائدهم.

بينما توجه سالم الى استاذ علوم القرآن والحديث قائلا :

ـ والصحابة، انت يا استاذنا، ترى ما يمكنك القول بصددهم؟!

قال :

ـ إنّ الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عن رسول الله ﷺ أو الذين كانت أحاديثهم موقوفة عليهم ولها حكم الرفع إلىٰ النبي ﷺ ـ إذ لا يعقل اجتهادهم في مثل هذا ـ كثيرون جداً، ولو ثبت النقل عن عُشرهم لثبت التواتر بلا شك ولا شبهة، كما في مصادر أهل السنة وحدهم مثلا[1].

---

(١) من مثل فاطمة الزهراء٣ (ت/١١ هـ)، ومعاذ بن جبل (ت/١٨ هـ)، وقتادة بن النعمان (ت/٢٣ هـ)، وعمر بن الخطاب (ت/٢٣ هـ)، وأبو ذر الغفاري (ت/٣٢ هـ)، وعبد الرحمن بن عوف (ت/٣٢هـ)، وعبدالله بن مسعود (ت/٣٢هـ)، والعباس بن عبد المطلب (ت/٣٢ هـ)، وعثمان بن عفان (ت/٣٥ هـ)، وسلمان الفارسي (ت/٣٦ هـ)، وطلحة بن عبدالله (ت/٣٦ هـ)، وعمار بن ياسر (ت/٣٧ هـ)، والإمام علي٧ (ت/٤٠ هـ)، والإمام الحسن السبط٧ (ت / ٥٠ هـ)، وتميم الداري (ت/٥٠ هـ)، وعبد الرحمن بن سمرة (ت/٥٠ هـ)، ومجمع بن جارية (ت/٥٠ هـ)، وعمران بن حصين (ت/٥٢ هـ)، وأبو أيوب الانصاري (ت/٥٢ هـ)، وثوبان مولى النبي٦ (ت/٥٤ هـ)، وعائشة (ت/٥٨ هـ)، وأبو هريرة (ت/٥٩ هـ)، والإمام الحسين السبط الشهيد٧ (استشهد سنة ٦١ هـ)، وأم سلمة (ت/٦٢ هـ)، وعبدالله بن عمر بن الخطاب (ت/٦٥ هـ)، وعبدالله بن عمرو ابن العاص (ت/٦٥ هـ)، وعبدالله بن عباس (ت/٦٨ هـ)، وزيد بن أرقم (ت/٦٨ هـ)، وعوف بن مالك (ت/٧٣ هـ)، وأبو سعيد الخدري (ت/٧٤ هـ)، وجابر بن سمرة (ت/٧٤هـ)، وجابر بن عبدالله الانصاري (ت/٧٨ هـ)، وعبدالله بن جعفر الطيار (ت/٨٠هـ)، وأبو أمامة الباهلي (ت/٨١ هـ)، وبشر ←

بينما كان لحامد ان يهتم بكتب اهل السنة اكثر لان امه هي سنية وكانت قد استبصرت فيما مضى من السنين، ومن قبل على يد ابيها الذي كان قد تشيع سلفاً ، فقال عندها حامد :

ــ هل يمكن ان تطلعنا على طرق أحاديث المهدي في كتب السنة إجمالاً ؟

ــ لقد أجاد وأفاد الاستاذ الازهري السيد أحمد بن محمد بن الصديق ، أبو الفيض الغماري الحسني الشافعي المغربي (ت/١٣٨٠ هـ) في كتابه الرائع : (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) حيث أثبت فيه تواتر أحاديث الإمام المهدي ﷺ بما لم يسبقه أحد إليه من قبل، وذلك تفنيداً لتضعيفات ابن خلدون التي تذرع بها بعض معاصريه كأحمد أمين المصري ومحمد فريد وجدي وغيرهما . ولقد تعرض لايراد العديد من طرق أحاديث المهدي في كتب السنّة، حتى عبّر عن مقدرة فائقة في تتبع طرق

← بن المنذر بن الجارود (ت/٨٣هـ) وقد اختلفوا فيه فقيل الراوي هو جده الجارود بن عمرو (ت/٢٠ هـ)، وعبدالله بن الحارث ابن جزء الزبيدي (ت/٨٦هـ)، وسهل بن سعد الساعدي (ت/٩١ هـ) ، وانس بن مالك (ت/٩٣ هـ) ، وأبو الطفيل (ت/١٠٠ هـ) . وغيرهم ممن لم اقف على تاريخ وفياتهم كأُم حبيبة، وأبي الجحّاف، وأبي سلمى راعي رسول الله٦ ، وأبي ليلى ، وأبي وائل ، وحذيفة بن اسيد ، وحذيفة بن اليمان، والحرث بن الربيع أبي قتادة ، وزر بن عبدالله ، وزرارة بن عبدالله ، وعبدالله بن أبي أوفى ، والعلاء ، وعلقمة بن عبدالله ، وعلي الهلالي ، وقرة بن أياس .

وأسانيد أحاديث الإمام المهدي في كتب أهل السنّة ابتداءً من طبقة الصحابة ثمّ التابعين ثمّ تابعي التابعين وصولاً إلىٰ من أخرج هذه الأحاديث من المحدثين.

بينما توجه استاذ علوم السياسة اليه بالقول:

ـ انه مما لا يخفىٰ على اللبيب أن العادة قاضية باستحالة تواطىء جماعة يبلغ عددهم ثلاثين نفساً فأزيد في جميع الطبقات[١]، وذلك فيما بلغنا وأمكننا الوقوف عليه في الحال، فقد وجدنا خبر المهدي وارداً من طريق الكثير من اهل الحديث[٢]. ولو تتبعنا ذلك لحصلنا منه على العدد الوافر، ولكن في المرفوع[٣] منه الكفاية. كما انه كان قد فات البعض ذكر جميع أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الإمام المهدي، لان عددهم هو أكثر مما

---

(١) طبقات المحدثين:

(٢) حديث أبي سعيد الخدري، وعبدالله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأُم سلمة، وثوبان، وعبدالله بن جزء بن حارث الزبيدي، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وجابر بن عبدالله الانصاري، وقرة بن أياس المزني، وابن عباس، وأُم حبيبة، وأبي أُمامة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعمار بن ياسر، والعباس بن عبدالمطلب، والحسين بن علي، وتميم الداري، وعبد الرحمن بن عوف، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وطلحة، وعلي الهلالي، وعمران بن حصين، وعمرو بن مرة الجهني ومعاذ بن جبل، ومن مرسل شهر بن حوشب، وهذا في المرفوعات دون الموقوفات والمقاطيع التي هي في مثل هذا الباب من قبيل المرفوع.

(٣) الحديث المرفوع:

ذكروه ، ولم يذكروا صحابة اخرين[1]. ولو رجعت إلىٰ تاريخ ابن خلدون لوجدته لم يعرف أغلب هذه الطرق[2] إذ لم يذكر من طرق حديث أبي سعيد إلّا القليل، فضلاً عما تركه من أحايث الصحابة الآخرين . ولا يخفىٰ أنّ القدر المشترك في جميع هذه الطرق إلىٰ حديث أبي سعيد الخدري[3] فقط دون سواه هو ظهور الإمام المهديعليه السلام في آخر الزمان ، ولاشك أن النظر إلىٰ جميع الطرق التي وردت بها أحاديث المهدي عن جميع الصحابة يقطع بتواتر ما بشّر به النبيصلى الله عليه وآله، بل حتىٰ لو افترضنا وجود طريق واحد فقط لكل صحابي ذُكر فهو يكفي للاذعان بالتواتر، وقد مرّ أنّ عددهم يزيد علىٰ الخمسين صحابياً .

---

(۱) وهم ثمانية وعشرون صحابياً آخر وهم : أبو أيوب الانصاري، وأبو الجحّاف، وأبو ذر الغفاري، وأبو سلمىٰ راعي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأبو وائل، وجابر بن سمرة، والجارود بن المنذر العبدي، وحذيفة بن اسيد، وحذيفة بن اليمان، والحرث بن الربيع، والإمام السبط الحسن، وزر بن عبدالله، وزرارة بن عبدالله، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وسعد بن مالك، وسلمان الفارسي، وسهل بن سعد الساعدي، وعبد الرحمن بن سمرة، وعبدالله ابن أبي أوفىٰ، وعبدالله بن جعفر الطيار ، وعثمان بن عثمان، والعلاء، وعلقمة بن عبدالله، وعمر بن الخطاب، وعوف بن مالك، ومجمع بن جارية، ومعاذ بن جبل وهو من أوائل الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي فقد مات معاذ سنة ۱۸ هـ في معجم أحاديث الإمام المهدي (خمس مجلدات) احصاء دقيق لجميع روايات الصحابة في المهدي مع بيان مصادرها عند أهل السنة والشيعة الامامية.

(۲) طرق الحديث :

(۳) ابو سعيد الخدري :

٭ ٭ ٭

(٧)

وذات ليلة نهض حامد وسالم، واغلب اهل المحلة على اصوات فزعة ذعرة، انطلقت في قلب الليل، كان ثمة حريق ضعيف قد شب في احد المنازل، فهب الجميع لنجدة اهل تلك الدار المنكوبة، ولقد كانت احدى الصغيرات قد دفعت بقدمها وهي نائمة احد القناديل التي اشعلتها الى جانبها حباً في رؤية ومطالعة الوان نيران القنديل، فما كان منه الا ان انسفح نفطه وامتدت النيران لتلتهم ما حولها من البُسط والافرشة لولا ان ستر الله على سكان الدار حينما تنبهت الام وبسرعة الى الحريق، فاحتضنت صغيرتها وانطلقت بها الى خارج الدار حتى هرع اليها الناس بعد صياح وعويل، استفزعتهم بهما . ولقد كانت هي الاخرى قد هبّت لاطفاء واحتواء مساحات ذلك الحريق .. وبعد ان انقضى وقت على القضاء على تلك النيران .. كان لحامد ان يطالع

وجه استاذ علوم القرآن والحديث في ضمن من هبّوا لاغاثة المرأة واطفاء النيران . حتى اذا ما انفض الناس وهدأ الليل، وعادت انسام الصمت تداعب الفضاء، كان لحامد والاستاذ ان يسيرا جنباً الى بعض، يتحدثان عن الجامعة وازماتها ومشكلات الدرس والتحصيل فيها .. حتى انقادا للحديث عن صحة ما ورد من أحاديث المهدي، وذلك حينما تطرقا الى الجامعات في زمان ظهور الحجة، فقال الاستاذ :

ـ ان ممن صرح بصحة أحاديث المهدي عليه السلام من أعلام أهل السنة حسبما وقفت عليهم في مؤلفاتهم، اخص بالذكر منهم : الإمام الترمذي ، قال عن ثلاثة أحاديث في الإمام المهدي : هذا حديث حسن صحيح . وقال عن حديث رابع : هذا حديث حسن . كذلك الحافظ أبو جعفر العقيلي، أورد حديثاً ضعيفاً في الإمام المهدي ثم قال : وفي المهدي أحاديث جياد من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ . كما ان الحاكم النيسابوري كان قد قال عن أربعة أحاديث : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وعن ثلاثة أحاديث : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه . وعن ثمانية أحاديث : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) . والإمام البيهقي، هو الاخر كان قد قال : والاحاديث على خروج

المهدي أصح إسناداً . والإمام البغوي، أخرج حديثاً في المـهدي في فصل الصحاح وخمسة أحاديث فيه أيضاً في فصل الحسان من كتابه مصابيح السنة .

ــ وغير هؤلاء ؟ !

ــ كذلك كان لابن الأثير نصيب في ذكر مثل هذا . كما حصل نفس الشيء للقرطبي المالكي، وهو من القـائلين بـالتواتـر . ومـا يهمنا هنا انه قال عن حديث ابن ماجة في المهدي : اسناده صحيح، مصرحاً بأنّ حديث : المهدي من عـترتي مـن ولد فـاطمة، هـو أصح من غيره . كذلك ابن تيمية، حيث قال في كتابه منهاج السنة : إن الاحاديث التي يحتج بها ـ يعني : العلاّمة الحلي ـ علىٰ خـروج المهدي، أحاديث صـحيحة . كـذلك الحـافظ الذهـبي، والكـنجي الشافعي حيث اخبر عن حديث : المهدي حق وهو من ولد فاطمة، بالقول : هذا حديث حسن صحيح ! هذا فضلا عما قاله غيرهم في هذا الصدد من مثل الحافظ ابن القيم، وابن كثير، والتفتازاني، ونور الدين الهيثمي، والسيوطي، والشوكاني، وناصر الدين الالباني .

ــ وهل صرح العلماء بتواتر أحاديث المهدي ؟

ــ لقد صرّح علماء الدراية وجملة من ذوي الاختصاص بعلوم الحديث دراسة وتدريساً بتواتر أحاديث المهدي الواردة في كتب

أهل السنة من الصحاح والمسانيد وغيرها، ولكثرتهم لا يمكنني حصرهم ..وبعد دردشات ومجاذبات في الكـلام، تـبادلا السـلام والتحيات، وودع كل منهما الاخر، وذهبا الى منزلهما .

۞ ۞ ۞

(٨)

رقد حامد في فراشه، كان المذياع الى جانبه، جعل يستمع ويصغي اليه، واذا ما انقضت دقائق، اغلقه، وأغمض عينيه حتى أخلد الى النوم ، واستغرق في سباته حتى كان له ان يطوف في عالم هو مزيج من عالم المشاهدة والرؤيا، فجعل ذهنه يستغرق في امواج متصاعدة من اسماء المحدثين من اهل الخبر، وكأن وحي نفسه قد انشأ يسائل قرارة ذاته :

ــ لِمَ يبحث عن رواة احاديث صاحب الزمان، لِمَ يفتش عن هذه الدقائق ليتأكد من صحة هذا الاعتقاد الجازم به قلبه قبل لسانه وعقله .. حتى كان له ان يخترق غابة من الغابة، تتعانق فيها الاغصان، وتتأرجح عبرها رؤوس مطالعها واذا ما انتهى الى كوخ وجد نفسه قد انتهى من الغابة وخرج منها واذا به يلتقي بناس، جعلوا يعرّفون انفسهم اليه من دون ان يسألهم، فاذا ما مرّ بالاول،

وكأنه كان يفتش حرساً جمهورياً، فلقيه هذا ليطلق زمام لسانه ويخبره قائلا :

ـ انا البربهاري شيخ الحنابلة وكبيرهم في عصري انا المتوفى في سنة ٣٢٩ للهجرة . نقل عنّي الشيخ حمود التويجري في كتابه : الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر ص ٢٨ انه قال في كتابه : شرح السنة : (الايمان بنزول عيسىٰ بن مريمﷺ: ينزل .. ويصلي خلف القائم من آل محمد صلىٰ الله عليه وسلم . ولا يخفىٰ ان الايمان يعني : الاعتقاد، والاعتقاد لا يبنىٰ علىٰ خبر الآحاد .

واذا ما انتهى من الاول، وهو ينظر اليه بتعجب والمام، طالعه محيّا الثاني مبادراً اياه كسابقه، وهو يقول :

ـ أنا محمد بن الحسين الآبري الشافعي، أنا هو المتوفى سنة ٣٦٣ للهجرة .كنت قد تحدّثت في كتابي : مناقب الشافعي : قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته صلىٰ الله عليه وسلم وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلاً، وانه يخرج مع عيسىٰ فيساعده علىٰ قتل الدجال . وقد نقل عني القرطبي المالكي في التذكرة : ٧١ والمزني في تهذيب الكمال ٢٥ : ١٤٦ / ١٨١٥ في ترجمة محمد بن خالد الجندي، وابن القيّم في المنار المنيف : ١٤٢

/ ٣٢٧ وغيرهم .

واذا ما عبره، ابتدره الثالث، ليقول :

ــ أنا القرطبي المالكي، توفيت في عام ٦٧١ للهجرة، نقل قولي الآبري المتقدم، وأيده بتصحيح ما أوردته من أحاديث المهدي ولقد احتججت بقول الإمام الحافظ الحاكم النيسابوري : والاحاديث عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في التنصيص علىٰ خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة، ثابتة . ولقد قلت فى تفسيري : الجامع لاحكام القرآن ، وذلك فى تفسير الآية ٣٣ من سورة التوبة : الاخبار الصحاح قد تواترت علىٰ ان المهدي من عترة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم .

بينما طفق الرابع يعرّف اليه نفسه :

ــ أنا الحافظ المتقن جمال الدين المزي، المتوفى عام ٧٤٢، احتججت بقول الآبري المتقدم في تواتر أحاديث الإمام المهدي، ولم أتعرض له بشيء، بل أطلقته إطلاق المسلّمات .

في حين قفز الخامس أمامه، ليقول :

ــ أما انا فانا الذي ادعى بابن القيّم، توفيت في سنة ٧٥١ للهجرة، أيّدت قول الآبري أيضاً، وذلك بتقسيم أحاديث الإمام المهدي إلىٰ أربعة أقسام : الصحاح، والحسان، والغرائب ،

والموضوعة، ولا يخفىٰ بأن مجموع الصحاح والحسان مما يبلغ التواتر لكثرته واستفاضته .

وحال السادس بين حامد وبين مواصلة مسيره :

ــ وانا ! انا الذي يسمى بابن حجر العسقلاني، لقد توفاني الله في عام ٨٥٢ للهجرة . نقلت القول بالتواتر عن غيري ، وأيدته بقولي : وفي صلاة عيسىٰ ﷺ خلف رجل من هذه الأُمّة ـ مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة ـ دلالة للصحيح من الأقوال : إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة .

ــ أما أنا، فشمس الدين السخاوي، الذي أماته الله في عام ٩٠٢ للهجرة، صرح غير واحد من العلماء بأنّي من المصرّحين بتواتر أحاديث المهدي، منهم : العلاّمة الشيخ محمد العربي الفاسي في كتابه المقاصد، والمحقق أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في مبهج القاصد، علىٰ ما نقله عنهما أبو الفيض الغماري . ومنهم أبو عبدالله محمد بن جعفر الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر .

ــ حتى اذا ماكان لحامد ان ينبهر بهذه اللقاءات، فاجأه الثامن، كأنما يتحداه ليخاطبه بالقول :

ــ وانا الثامن، انا السيوطي، وسنة وفاتي ٩١١ للهجرة،

صرحتُ بتواتر أحاديث المهدي في الفوائد المتكاثرة في الاحاديث المتواترة، وفي أختصاري المسمىٰ بالازهار المتناثرة، وغيرها من كتبي .

ــ وانا من يطلق عليه : ابن حجر الهيتمي المتوفى في ٩٧٤ للهجرة . دافعت عن عقيدة المسلمين بظهور الإمام المهدي كثيراً مصرحاً بتواترها .

ــ وأنا المتقي الهندي عام رحيلي كان ٩٧٥ للهجرة، ألّفت كنز العمال، دافعت عن عقيدة الإمام المهدي ﷺ دفاعاً مدعوماً بالحجة والبرهان، وذلك في كتابي : البرهان في علامات مهدي آخر الزمان . ولعل أهم ما في هذا الكتاب هو الفتاوىٰ الاربع المذكورة فيه بخصوص من أنكر ظهور المهدي وهي : فتوىٰ ابن حجر الهيثمي الشافعي ، وفتوىٰ الشيخ أحمد أبي السرور بن الصبا الحنفي، وفتوىٰ الشيخ محمد بن محمد الخطابي المالكي، وفتوىٰ الشيخ يحيىٰ بن محمد الحنبلي . وقد نصصتُ علىٰ أن هؤلاء هم علماء أهل مكة وفقهاء المسلمين علىٰ المذاهب الأربعة، ومن راجع فتاواهم عَلِمَ علم اليقين أنهم متفقون علىٰ تواتر أحاديث المهدي، وأن منكرها يجب أن ينال جزاءه، وصرّحوا : بوجوب ضربه وتأديبه وإهانته حتىٰ يرجع إلىٰ الحق علىٰ رغم أنفه ـ علىٰ

حد تعبيرهم ـ وإلاّ فيهدر دمه .

كان الظلام قد اخذ يلف اجواء الحلم، وكأن روحاً من الضباب اخذت تاكل في الوانه لينقلب كطيف مشبع بنكهة من الخيال، واذا بحامد يرتاع لانقلاب احدهم امامه، وكأنه قفز اليه من شتى الامكنة المتوقعة :

ـ وأنا، فإن كنت لا تعرفني، فاعرفني، اني محمد رسول البرزنجي المتوفى عام ١١٠٣ للهجرة، صرحت بتواتر أحاديث المهدي فقلت : أحاديث وجود المهدي، وخروجه آخر الزمان، وأنه من عترة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ومن ولد فاطمة رضي الله عنها . بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنىٰ لانكارها .

وابتدره الثاني عشر، فقال له :

ـ انا الشيخ محمد بن قاسم بن محمد جسوس، متُّ في سنة ١١٨٢ للهجرة، نقل الكتاني عنّي تصريحي بالتواتر وذلك في نظم المتناثر من الحديث المتواتر .

وجاء دور الثالث عشر، فشرع يحكي لون عرفه :

ـ انا أبو العلاء العراقي الفاسي، توفيت في سنة ١١٨٣ للهجرة، لي تأليف في الإمام المهدي، وقد نقل في نظم المتناثر تصريحي بالتواتر .

ـ اما انا، فانا الشيخ السفاريني الحنبلي، انتقلت الى جوار ربي في السنة ١١٨٨ من الهجرة . نقل القنوجي عنّي أني من القائلين بتواتر أحاديث المهدي، وذلك في كتابه اللوائح .

في خين برز اليه عالم اخر من علماء الدراية، يحمل الرقم ١٥، حيث قال :

ـ أعرّفك بنفسي، انا الشيخ محمد بن علي الصبان، سنة موتي كانت ١٢٠٦ من الهجرة، نقلت القول بالتواتر عن ابن حجر في الصواعق وغيره . واحتججت به، ولم أتعقّبه بشيء، فدللت علىٰ أنه قولي أيضاً .

ـ أما انا فالشوكاني، الشوكاني ذلك العبد الذي وافاه الاجل في العام ١٢٥٠ من الهجرة، ويكفي لاثبات قولي بتواتر أحاديث المهدي كتابي الشهير، والموسوم بالتوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح .

ـ أما الرقم السابع عشر، فانه يحمله هذا الذي يقف بين يديك : مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، لقد رحلت الى جوار ربي في العام ١٢٩١ من الهجرة، صرحت بتواتر أخبار المهدي مؤكداً علىٰ انه من أهل البيت عليهم السلام .

عندها طفق اخر :

ـ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية، توفّيت عـام ١٣٠٤ هـ)، وصفت أحاديث المهدي بالكَثْرَة وقلت : وكثرة مخرجيها يقوّي بعضها بعضاً حتىٰ صارت تفيد القطع . ولا يخفىٰ أن درجة القطع في الأخبار تحصل بالتواتر .

أما المحدث التاسع عشر، فكان قد وقف امـام حـامد، وهـو يخبره :

ـ وانا السيد محمد صديق حسـن القـنوجي البـخارى، سـنة وفاتي١٣٠٧ للهجرة، قلت عن أحاديث المهدي عليه السلام : والاحاديث الواردة فيه علىٰ اختلاف رواياتهاكثيرة جداً تبلغ حد التواتر .

وكان اخرهم ممن احتملهم منامه، وقوي على اشباع احداثـه بهم، فكان يحاول ان يمتطي صهوة الكلام، ويحادث حامد الذي شعر بضيق متواصل من مداومة هذه الرؤيا، الا انـه لم يكـن مـن مناص :

أحمل رقم ٢٠، فأنا أبـو عـبدالله مـحمد بـن جـعفر الكـتاني المالكي، توفيت في سنة ١٣٤٥ للهجرة . نقلت القول بالتواتر عن جملة ممن التقيت بهم هنا ـإلىٰ أن قلت : والحاصل : ان الاحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة .

ولكن ! في لحظة واحـدة لمـح حـامد احـدهم مـمن تـصرّح

سيماؤه بانه خارج عن دائرة التعريف والاخبار، تقدم اليه فقال له:

ــ إلىٰ غير هؤلاء مما لا تتّسع هذه الرؤيا وهذا المنام لاستيفائه، وإيراد أقوالهم كلّهم، وقد تتبعهم بعض الباحثين ابتداءً من القرن الثالث الهجري وإلىٰ الوقت الحاضر .

عندها وجد حامد في نفسه، شيئاً من الشجاعة، واستبسل في الحديث والتعبير عما يريد التصريح به، فقال :

ــ وهل ثمة من كلمة اخيرة ؟

اجابه الرجل الذي ماكان يلبس الا مثلما يلبس حامد، لان كل من قابلهم كانوا يرتدون ملابس تعود بالمرء الى عهود بائدة قديمة . فقال له :

ــ وهنا لا بدّ من تسجيل كلمة مهمة للاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي . وهو من أفاضل علماء أهل السنة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، حيث قال : ليس في الدنيا قاطبة عصبة متساندة نبيلة شريفة ترقىٰ إلىٰ شرف آل البيت ومنزلتهم، وليس فيها قبيلة متوافقة ترقىٰ إلىٰ اتفاق قبيلة آل البيت، وليس فيها مجتمع أو جماعة منورة أنور من مجتمع آل البيت وجماعتهم . نعم . . (والكلام له) . . إنَّ آل البيت الذين غُذّوا بروح الحقيقة القرآنية، وارتضعوا من منبعها، وتنوّروا بنور الايمان وشرف الإسلام،

فعرجوا إلىٰ الكمالات، وأنجبوا مئات الأبطال الأفذاذ، وقدّموا أُلوف القُوّاد المعنويين لقيادة الأُمّة . لا بد أنهم يُظهِرون للدنيا العدالة التامة لقائدهم الاعظم المهدي الاكبر، وحقّانيته بإحياء الشريعة المحمدية، والحقيقة الفرقانية ، والسنّة الأحمدية، وتطبيقها، وإجراءاتها .

قال حامد، وكأنه قد ضاق ذرعاً بهذا الاخر :

ــ هل انتهى ؟!

ــ لا يضيق صدرك يا فتى، انما اردف كلامه اخيراً بالقول : وهذا الأمر في غاية المعقولية، فضلاً عن أنّه في غاية اللزوم والضرورة، بل هو مقتضىٰ دساتير الحياة الاجتماعية .

✪ ✪ ✪

☜ (٩)

ــ من هو الإمام المهدي ؟!

سألته امرأة بنبرة استنكار ساهية، وليس بنبرة استيضاح سائلة . لم يجبها، لانه كان غارقاً في افكاره، وحينما شعر بوجودها التفت اليها، فلم يجدها الا انه حدق في المرآة التي كانت الى جانبه فكان قد احس بظل قد غادر الغرفة وللتو .. لحق به .. وجدها امه .كيف لم يحس بها .. قالت له :

ــ كنت تحدث نفسك في المرآة .. ثم تعود الى وضعك .. فلما وجدتك كذلك اعدت عليك نفس سؤالك وكأني كنت اعجب لسؤالك .

قال لها :

ــ حقاً اماه، انك قد درستِ في المعهد الاداري الا انك لم ترغبي في العمل والتعيين ؟

ـ ليس الامر كذلك، بل اباك هو الذي فرض علي ترك التفكير بمثل هذا الامر .. وذلك منذ زمن بعيد . . ولكن ما الغرض من سؤالك ؟

ـ انما عنيت ان اسألك عن شيء ربما عنى به المثقفين به اكثر من غيرهم .

ـ وربما لمس حقيقته بسطاء الناس .

ـ بكل تأكيد . ولكن هل يمكن .. الا تجلسين ..

وعندها جلست . ولما كان قد بقي على حاله، قالت له :

ـ وانت الاخر الا تجلس الى جانب من دعوته الى الجلوس..

ـ هه ! اجل .. (جلس وهو يحدق في وجهها) اقول .. هل يمكن لنا ان نتعرف على الإمام المهدي من جديد ..

ـ ماذا تقصد ؟

ـ يعني نعاود التعرف عليه بين الحين والاخر .. وكأن مثل ذلك له ان يتجدد بتجدد الزمان والمكان ...

عندها اعتدلت الام في جلستها وكأنها تريد ان تستمد العون من مطالعاتها ايام استبصارها .. وحينما شعر الابن بذلك من حيث تطلع اليها وهي تهمهم بكلمات :

ـ ارجعتني الى الوراء .. الى ماض عتيق، تاه في لجة الموج

حتى استقى فيض قراحه من معين لم تشبّ يراعات ايامه الا تحت انوار مياه عبقت بلون فضي، ما زال ينغمس في مساماته كل الدجى المعتّق حتى كأني أخاله ينبوع شلال، بوسع المرء ان يشتار منه عسل الزمان المخفي وراء خطوط مياه الشلالات المتساقطة، والتي تستتر كما تختفي اكثر الغيران والكوات خلف اعمدة مياهها المتلاحقة .

قال حامد :

ـ حقاً اماه، انك لم تحدثيني عن كيفية استبصارك .. وهل كان للزواج قصب التأثير الاول ..

ـ لا !

بادرته بعنف وسرعة حتى شعر حامد بشيء من التأسف لهذا التسرع في القاء التهم .. قالت :

ـ اني لاصدح بالقول وبكل جرأة وبسالة .. اني ما تشيعت لاجل اني قرنت باحد الشيعة .. وكان من اللائق ان اماشيه حتى في مذهبه الذي يعتقد به .. وبصورة اخرى .. اني لاعتقادي بزوجي استبصرت.. لاني اثق به، فوثقت وبالتبع بما يعتقد، فصرت مثله ومن دون اي امعان او تبصر بلون الحقيقة .. ومعية سبلها التي تفرع عنها وتنصب فيها . بل كنت عنيدة للغاية .. حتى انه تركني برهة

من الزمان .. ظن فيها انه لا يطيق ان يجعل مني شيعية، أو يصنع مني امرأة تصادق على ما يصادق هو .. تؤمن بما تأكد منه هو .. اقصد ابوك .. فماكان مني بعد فترة الا ان اطلع عليه بزي شيعية تؤمن بما يؤمن به الشيعة .. فراعه الامر، فاخبرته، باني استطلعت الامر بنفسي ونقّبت عن حقائقه بعقلي وحدي حتى تأكد لي ما كنت تزعمه حقيقة ثابتة تركتم الى جانب حقائق اخرى دامغات .. لا يخال التاريخ الصفح عنها ولا يظن الزمان انه بقادر على ان يبقيها بعيدة عن انظار الباحثين وطلاب الحقيقة !

بعدها استرسلت في حديثها، وهي تنظر الى حامد الذي شعرت به يمتلىء حباً واعجاباً بها ولاكثر من الاول . سعدت بمثل هذه اللحظات حتى استشعرت بضرورة الاستطراد في القول:

ـ لقدكان للبحث عن بعض المسائل المتعلقة بامام الزمان الدور الرئيس في انتقالي من مذهب السنة الى مذهب الشيعة ..

ـ كيف ؟

ـ لقد اتفق المسلمون على الايمان بظهور الإمام المهدي المبشر به في الاخبار المتواترة عن النبي ﷺ، عندها ساءلت نفسي : وهنا لا بدّ للمسلم ان يسأل نفسه ويقول : إذاكانت أخبار المهدي المبشر بظهوره في آخر الزمان بهذه الدرجة والوضوح عند علماء

الإسلام حتىٰ قطعوا بصحتها، وصرّحوا بتواترها ، فلماذا اختلفت بعض الروايات الواردة في نسب المهدي، وربما وصل بعضها إلىٰ درجة التناقض والتضاد ؟ ومِن ثم، فمن هو الإمام المهدي؟ وهل يمكننا ـ في خضم هذه الاختلافات ـ تشخيصه، بحيث لا تكون هناك أدنىٰ شبهة في صرف لقب (المهدي) عن مسمّاه في الواقع ؟ وذلك لمشاهدتي وجه اختلاف المسلمين بعضهم مع البعض الاخر في مجمل الاصول والفروع .

وبعد دراسات ومتابعات ومساءلات ومناظرات، استطعت ان اقنع نفسي بما يمكن ان احول به بينها وبين ان تتردى في حفيرة ليس يطال الخروج منها الا من خبر الزمان واضحى لا يصمه ايما عار من لكنة لسان قد يلثغ اثرها ببعض الحروف .. فكيف وهذه الحروف اساس حياتنا وعمدة بناءات وجودنا وهي عقيدتنا التي نحيا بها ونعيش ومن ثم نموت عليها .. وعندها قلت لنفسي : وللاجابة عن ذلك لا بدّ من بيان نوعية المعوقات التي تعترض البعض في تشخيص نسب الإمام المهدي علىٰ الرغم من اعتقاده بظهوره في آخر الزمان، ولكن يجب التأكيد ـ قبل بيان تلك المعوقات ـ علىٰ أن من يعتقد بظهور الإمام المهدي بنحو قاطع، ولم يتعين له من هو المهدي علىٰ طبق الواقع، فمثله كمثل من يعلم

يقينا بوجوب الصلاة ولكنه يجهل أركانها ، ومن كان كذلك فهو لا يسمىٰ مصلّيا ، فكذلك الحال في من ينتظر مهدياً لا يعرفه، هل هو سني ام شيعي؟!

بينما عدت بعدها وفي هذه المرة الى الانصات بدلا من ان افوه بشيء من الكلام، كانت نفسي هي التي تجاذبني اطراف المقال : وعلىٰ أية حال فإن علاج أية مسألة تعترض تشخيص نسب المهدي قد تكفلت بها كتب الاخبار والروايات، ونهض بها المنطق والعقل السليمين، واذا ما واصل الباحث الشوط إلىٰ آخره ، سيدرك قسطاً وافراً من الاجابة علىٰ سؤال : من هو المهدي الموعود المنتظر ؟ ونعاهده بأننا سنتجرد عن قناعاتنا السابقة حتىٰ لا تكون حاكمة علىٰ الدليل ما دام الهدف هو الوصول إلىٰ الحق سواء كان الحق معنا أو علينا ، والعاقل هو من لم يكن بينه وبين الحق عداء ، وإن تأمّل في كلامنا هذا فإنه سيشهد لنا بالصدق علىٰ ما نقوله في علاج معوقات التشخيص

ـ ساءلتها كما كنت اسائل احدى صاحباتي عبر الهاتف وانا اقول لها :

ـ وما الذي يمكن ان نعني بمعوقات التشخيص الحديثية

قالت :

ـ هي تلك الاحاديث التي تبدو متضاربة بعضها ببعض، مما قد يصعب علىٰ كثير من الناس ـ لا سيما أُولئك الذين ليسوا علىٰ اتصال مباشر بعلوم الحديث الشريف ـ معالجتها، مما يُسهّل ـ إلىٰ حد بعيد ـ وقوع ضعيف الايمان منهم في شراك اللامهدويين سواء كانوا من المتسمّين بالاسلام أو من المعلنين العداء لهذا الدين .

سألها حامد وهو يقول

ـ من كانت، اقصد صاحبتك تلك ؟

ـ انها لم تدرس علوم الحديث، ولم تتفنن في الحصول على اي من شهادات العلوم الدينية، بل كان لها ولع بـمطالعة المسـائل المتعلقة باخبار اخر الزمان حتى كان لها ان تقع على ما اردته منها.

ـ وهل استبصرت ؟

ـ انهاكانت شيعية منذ الاصل !

بينما تتابع كلام الام بعد ان تخلت عنه حينما نـادتها صـافرة القدر البخاري حتى اذا ما عادت من المطبخ، جلست وهي لا تلوي على شيء سوى مواصلة الحديث ..كأنما شغف غير مبهم بالنسبة لها، ولع تليد، قد جذبها وبالرغم منها الى عدم الكف عن مثل هذه المحادثات او حتى التسليم الى التكاسل عنها وسأمها . قالت :

ـ لقد اخبرتني بعدها ان الاحاديث الصحيحة الواردة في بيان

نسب الإمام المهدي عليه السلام هي على طوائف وجميعها مؤتلفة غير مختلفة، ولا تشكّل عائقاً في تشخيص نسب الإمام المهدي فهو: كناني، قرشي، هاشمي. فسألتها من اين استقيت كل ذلك ؟ قالت لي: جمعت عدة مصادر حول ذلك[١] ..

قال حامد:

ـ كيف توصلت الى جمع المصادر ؟

كانت قد دونتها. وذهبت يوماً الى بيتها فجلسنا مع بعض نتكلم .. من بعد ان علمت مقدار ولع زوجي بضرورة استبصاري وذلك عن قناعة .. فقالت أخرج ذلك الحديث[٢] فلان وفلان ..

الا اني وبدلا من ان استثقل سماع مثل هذه الاسماء، او استهجن مواصلة مثل هذه الابحاث والتنقيب عن خرائدها التي ابحث عن منابعها واصولها .. وبدلا من كل هذا،كنت قد ولعت في

(١) أورد المقدسي الشافعي في عقد الدرر، ومثله الحاكم في المستدرك حديثاً ينسب الإمام المهدي إلى كنانة، ثم إلى قريش، ثم إلى بني هاشم، وهو من رواية قتادة عن سعيد بن المسيب، قال: قلت لسعيد بن المسيب: (المهدي حق ؟ قال: حق. قلت: ممن ؟ قال: من كنانة. قلت: ثمّ ممن ؟ قال: من قريش. قلت: ثمّ ممن ؟ قال: من بني هاشم... الحديث).

(٢) الإمام أبو عمر عثمان بن سعيد المقري في سننه. وأورده بلفظ آخر قريب من الأول عن قتادة عن سعيد بن المسيب أيضاً. وقال: أخرجه الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر المناوي، وأخرجه الإمام أبو عبدالله نعيم بن حماد كما في عقد الدرر: ٤٢ ـ ٤٤ الباب الأول، وانظر مستدرك الحاكم ٤: ٥٥٣، ومجمع الزوائد ٧: ١١٥.

تعقيب اثار مثل هذه الاسماء الى الحد الذي كانت تملّ معه صديقتي هي نفسها من مواصلة التطرق الى هذا الموضوع . بينما كنت اقول لنفسي انه قد يُتصور أن الحديث يتناقض مع نفسه ! إذ جمع في نسب الإمام المهدي أنه من كنانة تارة، ومن قريش أُخرىٰ، ومن بني هاشم ثالثة . والجواب : لا فرق في ذلك كلّه، فإن كل هاشمي هو من قريش، وكل قرشي هو من كنانة لأنَّ قريش هو النضر بن كنانة باتفاق أهل الانساب .

ـ بينما قالت صديقتي وهي تردف الكلام : أما حديث المهدي من أولاد عبد المطلب : فكان قد رواه ابن ماجة وغيره بالاسناد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة : أنا ، وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي[1] . وأورده في عقد الدرر بلفظ : «نحن سبعة بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة : أنا، وأخي علي، وعمي حمزة، وجعفر، والحسن، والحسين ، والمهدي[2] .

---

(١) وهو ما ورد في سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٨ باب خروج المهدي، ومستدرك الحاكم ٣: ٢١١ وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي : ١١٣ وجمع الجوامع للسيوطي ١ : ٨٥١

(٢) ثم قال : أخرجه جماعة من أئمة الحديث في كتبهم، منهم : الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه ، وأبو القاسم الطبراني في معجمه، والحافظ أبو نعيم الاصبهاني وغيرهم من مثل عقد الدرر : ١٩٥ الباب السابع

ثم عادت الى القول، بعد ان شعرت هذه المرة بتضارب المعلومات واختلاط الاخبار في رأسي وثقل هذه الاسماء التي ما كنت لاستثقلها في بادىء الامر، الا انه لصعوبة المبحث في مسائل الاسناد .. كانت تلم بي نوعاً من تلك الهواجس التي يمكن ان ترمي بالباحث بعيداً عن مرماه الذي يعني التوغل الى واقعياته عبر النفاذ من خلال احراشه واوجار تعج بها منعرجاته ومنحنياته.. ففاهت بالكلام، بعد ان ساءلتها : هل يعارض هذا .. فقاطعتني وكأنها علمت بعلامات ابهامي، فقالت : وهذا الحديث لا يعارض ماتقدم بل يقيّد ما قبله. فقلت لها : يقيد ما قبلها ؟ ! قالت : المراد بالتقييد هنا : حصر نسب المهدي بأولاد عبدالمطلب بعد ان كان النسب إلىٰ قريش مطلقاً . إذ لا خلاف في كون عبد المطلب جد النبي ﷺ ابناً لهاشم ، فأبناء عبد المطلب هاشميون بالضرورة . فالمهدي اذن من أولاد عبد المطلب بن هاشم القرشي الكناني .

وبعد ايام كانت قد وعدتني بمتابعة الحديث، فجمعت لي لمم من الاخبار، وطلعت علي بالقول : لقد حصلت على حديث المهدي من ولد أبي طالب . قلت لها : المهدي من ولد أبي طالب؟ قالت : اجل[1]، والحديث من رواية سيف بن عميرة قال : كنت

---

(١) فهذا الحديث أخرجه المقدسي الشافعي في عقد الدرر، ص ١٤٩ الباب الرابع . وقال

عند أبي جعفر المنصور فقال لي ابتداءً : (يا سيف بن عميرة، لا بدّ من منادٍ ينادي من السماء باسم رجل من ولد أبي طالب ، فقلت جعلت فداك يا أمير المؤمنين تروي هذا ؟ قال : أي والذي نفسي بيدهِ لسماع أُذُني له . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الحديث ما سمعته قبل وقتي هذا ! فقال : يا سيف إنّه لَحَقٌّ، وإذاكان فنحن أوّل من يجيبه، أمَا إنَّ النداء إلىٰ رجل من بني عمّنا. فقلت : رجل من ولد فاطمة ؟ فقال : نعم يا سيف، لولا أنني سمعت من أبي جعفر محمد بن علي يحدّثني به، وحدّثني به أهل الأرض كلهم ما قبلته منهم، ولكنه محمد بن علي) .

وكنت قد تقدمت في مقارنات الخبر، حتى استظهرت مثل ذلك وظنّت اني احفظ مثل هذه المسائل عن ظهر قلب، الا اني اخبرتها بان لاصراري على المكوث لصق هذه الدراسات، وحذاء مثل هذه المطالعات قد جعلني اشوق الى التعرف على الحقيقة .. مهماكان ثمنها مرتفع ومسرف في الغلو .. والتعب والملل . فابتدرتها قائلة : وهذا الحديث يقيّد ما قبله أيضاً لأنَّ كل من انتسب إلىٰ أبي طالب بالولادة لا شك في انتسابه إلىٰ أبيه عبد المطلب . فقالت : وبغض النظر عن التصريح الوارد في هذا

--- أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن .

الحديث بكون المهدي من أولاد فاطمة، ستكون النتيجة إلىٰ هنا هو أن المهدي المبشر بظهوره في آخر الزمان إنّما هو من أولاد أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الكناني .

الا اني كنت قد عدت ومن بعد يومين او اكثر مضيا على زمان هذه المناقشة لاخبرها اني قد عثرت على احاديث تخبر انها أحاديث (المهدي من ولد العباس) .

ــ اين عثرتِ عليها ؟

ــ كنت قد اشتركت في المكتبة المركزية، ولذلك كنت اغتنم بعض الوقت للذهاب هناك .. وكان ابوك قد وافقني لقضاء الوقت والانشغال بالمطالعة .

ــ لطيف !

فقالت :

ــ قلت لها : انه مما لا شك به ان هذه الطائفة من الاحاديث تشكل عائقاً في تشخيص نسب المهدى بدقة . فقالت :كيف وجدتيها .. (ثم اعقبت) اراك قد صرت استاذة في هذا المضمار بل هذه المضامير ! لم اجبها عن سؤالها، ولم اكن قد التفتّ وقتها الى اطرائها حتى صرت اليها بالقول : لأن أولاد العباس غير أولاد أبي طالب، ولهذا لا بدّ من دراسة هذه الطائفة من الاحاديث،

وعندها لنا ان نقول : انه يمكن تقسيم الاحاديث الواردة في هذا الشأن إلىٰ قسمين وهما : أولاً : الأحاديث المجملة في هذا المعنىٰ .كانت تسمع لي برغبة، فواصلت الحديث : وهي منحصرة بأحاديث الرايات . عندها انتبهت قائلة : احاديث الرايات ؟ قلت : نعم، انظري ما دوّنته، فمنها : ما أخرجه أحمد في مسنده ٥ : ٢٧٧، عن ثوبان عن رسول الله ﷺ انه قال : اذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً علىٰ الثلج ، فان فيها خليفة الله المهدي وقريب منه حديث آخر[١]، وذلك عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ انه قال : تخرج من خراسان رايات سود ، فلا يردها شيء حتىٰ تنصب بإيلياء . فقالت : لم يصرح في هذه الاحاديث انه من ولد العباس ؟ قلت لها : ان هذه الاحاديث وان لم يصرح فيها بكون المهدي من ولد العباس لكنه قد يستفيد البعض منها دلالتها عليه ، بتقريب أن تلك الرايات السود ، يحتمل ان تكون هي الرايات التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني من خراسان فوطّد بها دولة بني العباس ، فتكون تلك الاحاديث ناظرة إلىٰ المهدي العباسي ! قالت : الا ان هذه الاحاديث المجملة هي تتسم

---

(١) ذكره ابن ماجة في سننه ٢ : ١٣٣٦ / ٤٠٨٢ .كما روىٰ الترمذي بسنده في سننه ٤ : ٥٣١ / ٢٢٦٩ .

بضعفها مع عدم دلالتها علىٰ نسب المهدي . فقلت لها :كيف ؟ عندها ابتسمت واشعرتني بأنّا قد بلغنا كلانا مبلغاً من العلمية ـ لم اوافقها عليه ـ ذلك أنّا صرنا نجر ونبحث في دراسات عتيدة .. مدعومة بالاسانيد والهويات .. قالت: إن حديث مسند أحمد، وسنن ابن ماجة كان ضعفهما غير واحد من العلماء ، هذا ما كنت قد طالعته من قبل ، ولم ارد ان ادهمك في اول تصريحك حول بني العباس، واخبرك بضعف ما توصلت اليه، لاني كنت الاخرى قد توصلت اليه من قبل وطبقاً للدراسات التي وقعت على تشريح اصحابها لمثل هذه الاخبار .. فلقد ضعفها البعض[1] ثم قال : وهذا ـ أي : حديث ابن ماجة ـ والذي قبله لم يكن فيه دليل علىٰ ان المهدي الذي تولّىٰ من بني العباس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان . ومما يدل علىٰ ذلك هو ان المهدي العباسي قد مات سنة (١٦٩ هـ)، وقد شهد عصره تدخّل النساء في شؤون دولته، فقد ذكر الطبري تدخل الخيزران زوجة الخليفة المهدي العباسي بشؤون دولته، وانها استولت علىٰ زمام الأُمور في عهد ابنه الهادي طبقاً لما ورد في تاريخ الطبري ٣ : ٤٦٦، ومن يكون هذا شأنه فكيف يسمىٰ بخليفة الله في أرضه ؟ ! هذا، زيادة علىٰ أن المهدي

(١) من مثل ابن القيم في المنار المنيف : ١٣٧ ـ ١٣٨ / ذيل الحديثين : ٣٣٨ و ٣٣٩ .

العباسي، بل خلفاء بني العباس كلهم لم يكونوا في آخر الزمان ولم يحث المال حثواً أحد منهم، ولم يبايعوا بين الركن والمقام، ولم يقتلوا الدجال، ولم ينزل نبي الله عيسىٰ ﷺ ليصلي خلف مهديهم، ولم تخسف البيداء في عهدهم، ولم تظهر أدنىٰ علامة من علامات ظهور المهدي في سائر عصورهم. بينما اردفت القول: وأما عن حديث الترمذي فقد وصفه ابن كثير بأنّه حديث غريب ثم قال: (وهذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أُمية في سنة ثنتين وثلاثين ومائة، بل رايات سود أُخر تأتي بصحبة المهدي.. والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق[1] .

كان حامد يطالع كلمات امه بنظرات هاملة. فكانت تسرد عليه لوناً من مذكراتها، فقالت مستطردة:

ــ عندها قلت لها بعد ان تنبهت الى امر آخر: هل تريدين القول انه مما لا يستبعد استغلال دعاة العباسيين لمثل هذه الاحاديث ترويجاً لأمرهم، حتى دل عليه ـ وبنظر هؤلاء ـ وضعهم لاحاديث صريحة في هذا المعنىٰ. فقالت: بالضبط، وإلّا فمن

(١) النهاية في الفتن والملاحم / ابن كثير ١: ٥٥.

الصعب جداً إنكار حديث الرايات السود الذي لا يدل علىٰ أكثر من خروج الجيش المؤيد للمهدي من جهة المشرق، لروايته بطرق كثيرة[١]. بينما ابتدرتها بالسؤال فجأة : اووه، تذكرت، فانت لم تسمعي بعد القسم الثاني من الاحاديث الدالة على ما اشرت اليه. فقلت : نعم اما الثاني فهو الأحاديث المصرّحة بهذا المعنىٰ من مثل : حديث : المهدي من ولد العباس عمي . اجابتني وبسرعة : انه حديث ضعيف[٢] بما انطوى عليه من اسناد[٣] . فقلت لها : اذن اسمعي الثاني . قالت : اتليهم علي . قلت : حديث ابن عمر، يقول فيه : رجل يخرج من ولد العباس[٤]، وحديث ابن عباس عن

---

(١) صحّح الحاكم بعضها على شرط البخاري ومسلم كما في مستدرك الحاكم ٤ : ٥٠٢. .

(٢) الحديث الضعيف :

(٣) فقد أورده السيوطي في الجامع الصغير، وقال : (حديث ضعيف) كما ورد في الجامع الصغير ٢ : ٦٧٢ / ٩٢٤٢. وقال المناوي الشافعي في فيض القدير : (رواه الدارقطني في الافراد . قال ابن الجوزي : فيه محمد بن الوليد المقري ، قال ابن عدي يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلب الأسانيد والمتون . وقال ابن أبي معشر : هو كذاب، وقال السمهودي : ما بعده وما قبله أصح منه، وأما هذا ففيه محمد بن الوليد، وضّاع) كما جاء في فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦ : ٢٧٨ / ٩٢٤٢. وضعفه السيوطي في الحاوي، وابن حجر في صواعقه، والصبان في إسعافه ، وأبو الفيض في إبراز الوهم المكنون، وأوردوا كلمات كثيرة تصرح بوضعه . أُنظر : الحاوي للفتاوى ٢ : ٨٥، والصواعق المحرقة : ١٦٦، واسعاف الراغبين : ١٥١، وابراز الوهم المكنون : ٥٦٣ .

(٤) فقد رواه ابن الوردي في خريدة العجائب : ١٩٩ ـ مرسلاً عن ابن عمر وهو من الموقوف

النبيﷺ انه قال لعمه العباس : إنَّ الله ابتدأ بي الإسلام وسيختمه بغلام من ولدك وهو الذي يتقدم عيسىٰ بن مريم[١]. وحديث أُم الفضل، عن النبيﷺ : يا عباس اذاكانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي[٢]. قاطعتني بالقول : لقد أشار (الذهبي) بهذا إلىٰ جهل واضع الحديث[٣] في وضع الحديث لان حكم العباسيين لم يبدأ بسنة / ١٣٥ هـ وإنّما بدأ حكمهم سنة / ١٣٢ هـ بالاتفاق ، وهذا من علامات جهل واضعه بابتداء حكم بني العباس . بينما قلت : ونظير هذا الحديث كثير[٤] فقالت : هذه الاحاديث هي من جملة

← عليه (الحديث الموقوف عليه : هو الحديث) وهو زيادة على إرساله المُسقِط لحجيته لم يصرّح فيه بالمهدي ، فالأولىٰ إلحاقه بالقسم الأول المجمل وإن صرّح فيه باسم العباس .

(١) فقد رواه الخطيب البغدادي في تاريخه وفي إسناده محمد بن مخلد كما في تاريخ بغداد ٣ : ٣٢٣ و ٤ : ١١٧.ابن مخلد هذا ضعفه الذهبي وتعجّب من عدم تضعيف الخطيب لابن مخلد فقال : (رواه عن محمد بن مخلد العطار ، فهو آفته ، والعجب أن الخطيب ذكره في تاريخه ولم يضعفه، وكأنّه سكت عنه لانتهاك حاله . ميزان الاعتدال ١ : ٨٩ / ٣٢٨ .

(٢) وهذا الحديث أخرجه الخطيب أيضاً وابن عساكر عن أُم الفضل . تاريخ بغداد ١ : ٦٣، وتاريخ دمشق ٤ : ١٧٨ . قال الذهبي عنه : وفي السند أحمد بن راشد الهلالي ، عن سعيد بن خيثم، بخبر باطل في ذكر بني العباس من رواية خيثم ، عن حنظلة ـ إلىٰ ان قال عن أحمد بن راشد ـ فهو الذي اختلقه بجهل . ميزان الاعتدال ١ : ٩٧ .

(٣) وهو أحمد بن راشد .

(٤) ما أخرجه السيوطي عن ابن عباس في كتابه اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ←

الاحاديث التي قد يغتر بها البعض فيتصور كونها عائقاً حقيقياً أمام تشخيص نسب الإمام المهدي . وقد اتضح أن النتيجة الاخيرة في نسب الإمام المهدي عليه السلام وهي كونه من أولاد أبي طالب صحيحة، لوضع أحاديث كون المهدي من ولد العباس، مع عدم دلالة حديث الرايات على شيء يخالف تلك النتيجة. وثمة ما يقطع بأنّ المهدي ليس من ولد العباس جزماً .

(١٠)

ومن بعد ان انتهى العرض السينمائي، اخذ سالم وحامد

← وقال : (موضوع ، المتهم به : الفلابي) . اللآلي المصنوعة ١ : ٤٣٤ ـ ٤٣٥ . وأورده ابن كثير في البداية والنهاية من رواية الضحاك ، عن ابن عباس وقال : وهذا إسناد ضعيف ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح ، فهو منقطع . البداية والنهاية ٦ : ٢٤٦ .كما أخرجه الحاكم عن طريق آخر وقع فيه اسماعيل بن ابراهيم المهاجر . مستدرك الحاكم ٤ : ٥١٤ . وقد حكى أبو الفيض الغماري الشافعي عن الذهبي ، أن اسماعيل مجمع على ضعفه ، وأباه ليس بذلك . ابراز الوهم المكنون : ٥٤٣ .

طريقهما الى خارج صالة العرض ..كانا قد شاهدا هذا الفيلم من قبل، وهذه مرتهما الثانية .. استحسناه كثيراً حتى كان لسالم ان يقول :

ــ ولو اشاهد هذا الفيلم عشرات المرات، فاني لا اضجر من التفرج عليه قط .. لشدماكان جذاباً وجميلا، هل انتبهت الى ..

غاص في شرح مشاهد الفيلم، والتعرض لأطرفها واشد اللقطات اثارة وروعة .. بينماكان حامد يطوف في عالم اخر .. نظر اليه سالم :

ــ التجارة والتحصيل من جديد .

ــ وما الذي يمكن فعله .

ــ قلت لك .. دع الامور للزمان وتوكل على الله، وحاول قدر الامكان ان تتوسل باهل بيت الرسول، فهم المخلص الوحيد من المشكلات .

عندها طفق حامد يقول :

ــ اووه، نبهتني، لقد وجدت هذا الحديث ..

ــ اي حديث ؟

ــ حديث المهدي من ولد عليعليه السلام .

فقال سالم :

ــ نعم، لان ثمة حديث اخر هو حديث المهدي من ولد أبي

طالب . .

كان حامد يذكر حديثه مع امه، وتعرضها لهذا الحديث . بينما كان سالم يسترسل في القول :

ـ . . فلمّا كان لأبي طالب أكثر من ولد، فقد وردت أحاديث عينت المراد وقيّدت هذا الاطلاق بولده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ليكون المهدي من أولاده عليهم السلام، وفي ذلك وردت جملة من الاخبار .

ـ مثل ماذا ؟

ـ منها : قول علي عليه السلام : هو رجل منّي[1] .

ـ رجل مني ؟ !

ـ انه غير خافٍ علىٰ أحد أنَّ لأمير المؤمنين عليه السلام أكثر من ولد وتشخيص نسب المهدي بهذا الاطلاق متعذر، ولكنّ أمره في غاية السهولة ؛ لأنّ من جملة أحاديث نسب المهدي المصرح بصحتها وتواتر نقلها هي تلك الاحاديث الناصة تارة علىٰ كون المهدي من أهل البيت، وأُخرىٰ : علىٰ أنه من العترة، وثالثة : علىٰ أنه من النبي.

ـ اتعني الحصر ؟

---

(١) الفتن / نعيم بن حماد ١ : ٣٦٩ / ١٠٨٤، التشريف بالمنن / السيد ابن طاووس : ١٧٦ / ٢٣٨ باب ١٩ .

ــ مما لا ريب فيه، هو انحصار أهل البيت، والعترة، وولد النبيﷺ بأولاد أمير المؤمنينؑ من جهة فاطمة الزهراءؑ

ــ هل تحفظ شيئاً من هذه الاحاديث ؟

ــ وكيف لا ! . . اليك نموذجاً من تلك الأحاديث التي تدلل على الكثير من المعاني، اما احدها فان المهدي ماكان ليكون الا من أهل البيتمن قبيل حديث : لا تنقضي الايام، ولا يذهب الدهر، حتىٰ يملك العرب رجل من أهل بيتي، اسمه يواطيء اسمي[1] وحديث : لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلاً من أهل البيت يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً[2] . وحديث : لا تقوم

(١) وهذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده، عن ابن مسعود من عدة طرق، وأخرجه أيضاً أبو داود في سننه ، والطبراني في المعجم الكبير، وصححه الترمذي، والكنجي الشافعي، وعدّه البغوي من الأحاديث الحسان . مسند أحمد ١ : ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٤٣٠ و ٤٤٨، سنن أبي داود ٤ : ١٠٧ / ٤٢٨٣ ، المعجم الكبير للطبراني ١٠ : ١٦٤ ـ ١٦٥ / ١٠٢١٨، سنن الترمذي ٤ : ٥٠٥ / ٢٢٣٠، البيان في أخبار صاحب الزمان : ٤٨١ باب ١، مصابيح السنة ٣ : ٤٩٢ / ٤٢١٠ .

(٢) وهذا الحديث هو المروي عن علي، عن رسول الله ، أخرجه أحمد في مسنده، وابن أبي شيبة ، وأبو داود، والبيهقي ، وأشار الطبرسي في مجمع البيان إلى اتفاق المسلمين من الشيعة والسنة على روايته (مسند أحمد ١ : ٩٩، المصنف لابن أبي شيبة ١٥ : ١٩٨ / ١٩٤٩٤، سنن أبي داود ٤ : ١٠٧ / ٤٢٨٣، الاعتقاد للبيهقي : ١٧٣، مجمع البيان ٧ : ٦٧) . وقال أبو الفيض الغماري عن هذا الحديث : هو صحيح بلا شك ولا شبهة . (ابراز الوهم المكنون : ٤٩٥) .

الساعة حتىٰ يلي رجل من أهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي[1].

كذلك حديث: المهدي منا أهل البيت أشم الأنف، أجلىٰ الجبهة، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلما[2].

كان حامد يتفرس وجه صاحبه الذي ما جعل يضن على رفيقه في ان يطلعه على ما لديه، حتى واصل الكلام وهو يقول:

ـ أما الاحاديث التي تنص على ان المهدي من العترة، فانها كثيرة جداً وهي نظير حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: لا تقوم الساعة حتىٰ تمتلأ الارض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي ـ الترديد من الراوي ـ يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً[3]. في حين ان أحاديث

---

(١) وهذا الحديث رواه ابن مسعود، عن النبي وأخرجه عن ابن مسعود: أحمد، والترمذي، والطبراني من عدة طرق، والكنجي وصححه، والشيخ الطوسي. وأخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده عن أبي هريرة (مسند أحمد ١ : ٣٧٦، سنن الترمذي ٤ : ٥٠٥ / ٢٢٣١، المعجم الكبير للطبراني ١٠ : ١٦٥ / ١٠٢٢٠ و ١٠٢٢١، ١٠ : ١٦٧ / ١٠٢٢٧، البيان للكنجي : ٤٨١، كتاب الغيبة للشيخ الطوسي : ١١٣، مسند أبي يعلىٰ الموصلي ١٢ : ١٩ / ٦٦٦٥) ، وقال في الدر المنثور : وأخرجه الترمذي وصححه عن أبي هريرة (الدر المنثور ٦ : ٥٨) .

(٢) وهذا من حديث أبي سعيد الخدري ، عن النبي ٦ ، وأخرجه عنه عبد الرزاق ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، وأورده الأربلي في كشف الغمة (المصنف / عبد الرزاق ١١ : ٣٧٢ / ٢٠٧٧٣، مستدرك الحاكم ٤ : ٥٥٧، كشف الغمة ٣ : ٢٥٩) .

(٣) أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححه على شرط الشيخين ، وأورده الصافي في

المهدي التي تنص على انه من ولد النبي ﷺ هي عديدة جداً .

ــ هل تذكر منها ؟

ــ من مثل ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ : المهدي مني أجلىٰ الجبهة، أقنىٰ الأنف، يملؤ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا ، يملك سبع سنين[1] . وحديث أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال : المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأُمم ، يأتي بذخيرة الانبياء عليهم السلام ،

← منتخب الأثر (مسند أحمد ٣: ٣٦، صحيح ابن صبان ٨: ٢٩٠ / ٦٢٨٤، مستدرك الحاكم ٤: ٥٥٧، منتخب الاثر : ١٤٨ / ١٩) . وقال أبو الفيض الغماري الشافعي ـ بعد دراسة وافية لطرق الحديث وتتبع حال رواته ـ : (الحديث صحيح على شرط الشيخين كما قال الحاكم . (ابراز الوهم المكنون : ٥١٥) .

(١) وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط مسلم،كما صححه الكنجي الشافعي، والسيوطي، والشيخ منصور علي ناصف في التاج الجامع للأُصول ، وأبو الفيض (مستدرك الحاكم ٤ : ٥٥٧، البيان للكنجي : ٥٠٠، الجامع الصغير ٢ : ٦٧٢ / ٩٢٤٤، التاج الجامع للأُصول ٥ : ٣٤٣، ابراز الوهم : ٥٠٨ .)، وعدّه البغوي من الحسان، وحكم ابن القيّم بجودة إسناده () مصابيح السنة ٣: ٤٩٢ / ٤٢١٢، المنار المنيف لابن القيم : ١٤٤ / ٣٣٠) . وأخرجه عن أبي سعيد : أبو داود ، وعبد الرزاق، والخطابي في معالم السنن ، ومن الشيعة السيد ابن طاووس ، وابن بطريق (سنن أبي داود ٤ : ١٠٧ / ٤٣٨٥، المصنف لعبد الرزاق ١١ : ٣٧٢/ ٢٠٧٧٣، معالم السنن ٤ : ٣٤٤، التشريف بالمنن : ١٥٣ / ١٨٩ و ١٩٠ باب ١٥٩ أخرجه عن ابن حماد في الفتن ١ : ٣٦٤ / ١٠٦٣ و ١٠٦٤ ، العُمدة لابن بطريق الحلي : ٤٣٣ / ٩١٠) .

فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً[١] .

واذا ماكانا قد اجتازا باحدى المقاهي .. دعا المتحدث صاحبه الى الجلوس ثمّتَ حتى اذا ما طلع عليهما وجه النادل بقدحين من الشاي كان لسالم ان يتبع كلامه بما بقي منه في جعبته، فقال لحامد:

ــ وبهذا القدر يتضح أنّ المهدي لا بدّ وأن يكون من ولد علي ﷺ من جهة فاطمة الزهراء ﷺ . وقد ورد التصريح بهذا أيضاً

ــ اين ورد ؟

ــ وذلك كما في حديث المهدي من ولد فاطمة ﷺ وهو من رواية أُم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال : المهدي حق وهو من ولد فاطمة[٢] وقد أخرج نعيم بن حماد بسنده عن علي ﷺ انه قال :

---

(١) اخرج هذا الحديث الشيخ الصدوق في كمال الدين، واحتج به الجويني الشافي في فرائد السمطين ، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة (كمال الدين ١ : ٢٨٧ / ٥ باب ٢٥، فرائد السمطين ٢ : ٣٣٥ / ٥٨٧، ينابيع المودة : ٣ باب ٩٤) .

(٢) أخرجه عن أُم سلمة : أبو داود، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم من طريقين وقد أخرجه أربعة من علماء أهل السنة عن صحيح مسلم (سنن أبي داوود ٤ : ١٠٧ / ٤٢٨٤، سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٨ / ٤٠٨٦، المعجم الكبير للطبراني ٢٣ : ٢٦٧ / ٥٦٦، مستدرك الحاكم ٤ : ٥٥٧ وأخرجه عن صحيح مسلم كل من : ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة : ١٦٣ باب ١١ من الفصل الأول ، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٤ : ٢٦٤ / ٣٨٦٦٢، والشيخ محمد بن علي الصبان في اسعاف الراغبين ص : ١٤٥، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي

المهدي رجل منّا من ولد فاطمة[١]كما اخرج عن الزهري انه قال: المهدي من ولد فاطمة[٢]، وعن كعب مثله أيضاً[٣] . هذا، وقد ورد حديث جامع لمعظم الاخبار المتقدمة، وهو المروي عن قتادة ، قال : قلت لسعيد : أحقٌّ المهدي ؟ قال : نعم هو حق . قلت : ممن هو ؟ قال : من قريش، قلت : من أي قريش ؟ قال : من بني هاشم . قلت : من أي بني هاشم ؟ قال : من ولد عبد المطلب . قلت : من أي ولد عبدالمطلب ؟ قال : من أولاد فاطمة[٤] .

← المالكي في مشارق الانوار ص : ١١٢، فهؤلاء الأربعة اتفقت كلمتهم على وجود الحديث في صحيح مسلم، ولكن لا وجود له اليوم في نسخه المطبوعة !) ، واعترف آخرون بصحته وجَوْدَة اسناده، بل وصرح بعضهم بتواتره (حكم الكنجي في البيان : ٤٨٦ ب ٢ بصحة الحديث، وجزم بصحته السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٦٧٢ / ٩٢٤١، ومثله في هامش التاج الجامع للأُصول ٥ : ٣٤٣،كما عدّه البغوي من الحسان في مصابيح السنّة ٣ : ٤٩٢ / ٤٢١١، وقد حقق أبو الفيض في ابراز الوهم : ٥٠٠ سند الحديث . وانتهى إلى القول بأنّه حديث صحيح وان رجاله كلهم عدول اثبات، واعترف الالباني بجودة اسناده كما في عقيدة أهل السنّة، والاثر في المهدي المنتظر للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ص : ١٨، وقد مر القول بتواتره عن القرطبي وغيره، فراجع) .

(١) الفتن لنعيم بن حماد ١ : ٣٧٥ / ١١١٧، وعنه في كنز العمال ١٤ : ٥٩١ / ٣٩٦٧٥ .

(٢) الفتن لنعيم بن حماد ١ : ٣٧٥ / ١١١٤ وعنه في التشريف بالمنن : ١٧٦ / ٢٣٧ باب ١٨٩.

(٣) الفتن لنعيم بن حماد ١ : ٣٧٤ / ١١١٢، وعنه في التشريف بالمنن : ١٥٧ / ٢٠٢ باب ١٦٣ .

(٤) عقد الدرر : ٤٤ من الباب الاول، والفتن لنعيم بن حماد ١ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩ / ١٠٨٢، وعنه السيد ابن طاووس في التشريف بالمنن : ١٥٧ / ٢٠١ باب ١٦٣.

فقال حامد :

ـ وعلىٰ الرغم من الاقتراب بهذه النتيجة من جواب السؤال : مَنْ هو المهدي الموعود المنتظر ؟ إلّا أنَّ العائق ما يزال موجوداً في تشخيص نسبه الشريف بنحو لايقبل الترديد بين أولاد فاطمةعليها‌السلام، لوضوح أنّ هذا النسب ـ بهذا الاطلاق ـ ينتهي إلىٰ السبطين الحسن والحسينعليهما‌السلام .

عندها قال سالم :

ـ ولهذا فنحن أمام احتمالات ثلاثة وهي : الأول : أن يكون المهدي من أولاد الإمام الحسن السبطعليه‌السلام . والثاني : أن يكون من أولاد الإمام الحسين السبط عليه‌السلام. والثالث : أن يكون من أولاد السبطين معاً.

ـ واني ما ارى الاحتمال الثالث انه يحتاج في قبوله أو ردّه الى أكثر من النظر في نتائج البحث في الاخبار المؤيدة للاحتمالين الأولين.

فقال سالم :

ـ نعم، بكل تأكيد .

ـ وهل ثمة احتمال اخر ؟ اقصد من اولاد غير السبطين ؟

ـ أما فرض احتمال رابع، وهو :كون المهدي من أولاد غير

السبطين، فهو باطل بالضرورة وغير معقول في نفسه؛ لثبوت صحة أحاديث المهدي وتواترها بخصوص كونه من أهل البيت عليهم السلام، ومن ولد فاطمة عليها السلام .

ــ اذن لم يبقَ سوىٰ التحقيق في مثبتات الاحتمالين الأولين . ويجب التنبيه قبل ذلك إلىٰ أنه : لو ثبت كذب ما يؤيد الاحتمال الأول ، فلا نحتاج أصلاً إلىٰ التحقيق في مثبتات الاحتمال الثاني، اذ سيصدق بالضرورة، ويكون هو المتيقن، المقطوع بـه، المـطابق للواقع، وذلك لاستحالة كذب الاحتمالين معاً

عندها شرع حامد يستوضح سالم عن مسألة اخرى، قال :

ــ وهل يمكن ان ينسب المهدى الى الإمام الحسن المجتى ؟

انتبه سالم اليه، فقال :

ــ أما وجود حديث يصرح بان المهدي هو من ولد الإمام الحسن السبط عليه السلام، فاني وحسب اطلاعي لم أجد ما يدل علىٰ ان المهدي الموعود المنتظر هو من ولد الإمام الحسن عليه السلام في كتب أهل السنة غير حديث واحد فقط، وهذا ما اكده لي احد الذين يشار اليهم بالبَنان .. وربما لا يوجد في تراث الإسلام حديث غيره[1] .

---

(١) وهو ما أخرجه أبو داود السجستاني في سننه .

واليك نصه: قال[١]: قال علي ﷺ ـ ونظر إلىٰ ابنه الحسن ـ فقال: إنّ ابني هذا سيد كما سماه النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمىٰ باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق. ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلاً)[٢] .

ـ وكيف يمكن ابطال هذا الحديث او الرد عليه ؟

ـ وهذا ماكنت قد سألت به هذا المتبحر الذى اشرت اليه بالقول، فقال: فعند دراسة سند الحديث ومتنه، ومقارنة ذلك بأحاديث كون المهدي من ولد الحسين ﷺ، فان الباحث ليطمئن بوضعه، وذلك من سبعة وجوه

ـ سبعة وجوه ؟ !

ـ اجل، وهي اختلاف النقل عن أبي داود في هذا الحديث، فقد أورد الجزري الشافعي (ت/٨٣٣ هـ) هذا الحديث بسنده عن أبي داود نفسه وفيه اسم: (الحسين) مكان (الحسن)، فقال: (والأصح انه من ذرية الحسين بن علي لنصّ أمير المؤمنين علي

---

(١) حُدِّثْتُ عن هارون بن المغيرة، قال: حدثنا عمر بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال:

(٢) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ / ٤٢٩٠، وأخرجه عنه في جامع الأصول ١١: ٤٩ ـ ٥٠ / ٧٨١٤، وكنز العمال ١٣: ٦٤٧ / ٣٧٦٣٦، كما أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن ١: ٣٧٤ ـ ٣٧٥ / ١١١٣.

علىٰ ذلك، فيما أخبرنا به شيخنا المسند رحلة زمانه عمر بن الحسن الرّقي قراءة عليه، قال : أنبأنا أبو الحسن بن البخاري . .[١] قال علي عليه السلام ـ ونظر إلىٰ ابنه الحسين ـ فقال : إنّ ابني هذا سيد كما سماه النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وسيخرج من صلبه رجل يسمىٰ باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق، ولا يشبهه في الخَلْق» . ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً .

هكذا رواه أبو داود في سننه وسكت عنه[٢] .

قال حامد :

ــ واذن، فما الذي يستنبط من هذا الاختلاف ؟

قال سالم :

ــ ان هذا الاختلاف ينفي الوثوق بترجيح أحد الاسمين ما لم يعتضد بدليل من خارج الحديث، وهو مفقود في ترجيح (الحسن)

(١) أنبأنا عمر بن محمد الدارقزي، أنبأنا أبو البدر الكرخي، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو عمر الهاشمي، أنبأنا أبو علي اللؤلؤي، أنبأنا أبو داود الحافظ قال : حُدِّثْتُ عن هارون بن المغيرة، قال : حدثنا عمر بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي اسحاق قال :

(٢) اسمىٰ المناقب في تهذيب اسنىٰ المطالب / الجزري الدمشقي الشافعي : ١٦٥ ـ ١٦٨ / ٦١. وأخرجه المقدسي الشافعي في عقد الدرر ص ٤٥ من الباب الأول، وفيه اسم : (الحسن)، وأشار محققه في هامشه إلىٰ نسخة باسم : (الحسين) ويؤيد وجود هذه النسخة نقل السيد صدر الدين الصدر عنها إذ أورد الحديث عن عقد الدرر وفيه اسم : الحسين . (كتاب المهدي، السيد صدر الدين الصدر: ٦٨) .

ومتوفر في (الحسين) . وأما الوجه الثاني، فانه يصرح بان سند الحديث منقطع لأنّ من رواه عن علي عليه السلام هو أبو إسحاق والمراد به السبيعي، وهو ممن لم تثبت له رواية واحدة سماعاً عن علي عليه السلام كما صرح بهذا المنذري في شرح هذا الحديث[1]، وقدكان عمره يوم شهادة أمير المؤمنين عليه السلام سبع سنين ؛ لأنّه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان في قول ابن حجر[2] . في حين ان سند الحديث هو الاخر يعد مجهولا، لأن أبا داود قال : (حُدِّثت عن هارون بن المغيرة) ولا يُعْلَم من الذي حدّثه، ولا عِبرة في الحديث المجهول اتفاقاً . غير ان الدليل الرابع يقول : ان الحديث المذكور أخرجه أبو صالح السليلي ـ وهو من أعلام أهل السنة ـ بسنده عن الإمام موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد الصادق، عن جده علي بن الحسين، عن جده علي بن أبي طالب عليهم السلام ..، وفيه اسم : (الحسين) لا : (الحسن) عليهما السلام [3] . كذلك : فان الحديث معارض باحاديث كثيرة من طرق أهل السنة تصرح بأنّ المهدي من ولد الإمام الحسين .

---

(١) مختصر سنن أبي داود / المنذري ٦ : ١٦٢ / ٤١٢١.

(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ٥٦ / ١٠٠.

(٣) التشريف بالمنن للسيد ابن طاووس : ٢٨٥ / ٤١٣ ب ٧٦، أخرجه عن فتن السليلي باختلاف يسير .

ـ من مثل ماذا ؟

ـ من مثل حديث حذيفة بن اليمان قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكرنا بما هو كائن، ثم قال : لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد ، لطول الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتىٰ يبعث فيه رجلاً من ولدي، اسمه اسمي . فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! من أي ولدك؟ قال : من ولدي هذا، وضرب بيده علىٰ الحسين[1] .

هذا في الوقت الذي يضاف الى هذه الوجوه والادلة، وجهاً سادساً، وهو ما ينص على احتمال التصحيف في الاسم من الحسين إلىٰ الحسن في حديث أبي داود غير مستبعد بقرينة اختلاف النقل ،

---

(١) المنار المنيف لابن القيم : ١٤٨ / ٣٢٩ فصل / ٥٠، عن الطبراني في الاوسط، عقد الدرر : ٤٥ من الباب الأول وفيه : (أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي)، ذخائر العقبى / المحب الطبري : ١٣٦، وفيه : (فيحمل ماورد مطلقاً فيما تقدم على هذا المقيد)، فرائد السمطين ٢ : ٣٢٥ / ٥٧٥ باب / ٦١، القول المختصر لابن حجر : ٧ / ٣٧ باب / ١، فرائد فوائد الفكر : ٢ باب / ١، السيرة الحلبية ١ : ١٩٣، ينابيع المودة ٣ : ٦٣ باب / ٩٤، وهناك أحاديث أُخرىٰ بهذا الخصوص في مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي الحنفي ١: ١٩٦، وفرائد السمطين ٢ : ٣١٠ ـ ٣١٥ / الاحاديث ٥٦١ ـ ٥٦٩، وينابيع المودة ٣: ١٧٠ / ٢١٢ باب ٩٣ وباب ٩٤.

ومن مصادر الشيعة أُنظر :كشف الغمة ٣: ٢٥٩، وكشف اليقين : ١١٧، واثبات الهداة ٣ : ٦١٧ / ١٧٤ باب ٣٢، وحلية الابرار ٢ : ٧٠١/ ٥٤ باب / ٤١، وغاية المرام : ٦٩٤ / ١٧ باب/ ١٤١، وفي منتخب الأثر الشيء الكثير من تلك الاحاديث المخرجه من طرق الطرفين، فراجع .

ومع عكس الاحتمال فإنه خبر واحد لا يقاوم المتواتر .

واذا ما سكت سالم وانصرف عن القول وكف عن الكلام، بادره حامد مذكراً اياه :

ـ والسابع ؟

ـ السابع .. اووه نسيته .. لا، انتظر، هه ولكأنه يحضر في بالي الساعة، نعم تذكرت، انه ليحتمل قوياً وضع الحديث لما فيه من العلل المتقدمة، ويؤيد هذا الاحتمال أن الحسنيين وأتباعهم وأنصارهم زعموا مهدوية محمد بن عبدالله بن الحسن المثنىٰ بن الإمام الحسن السبط ﷺ، الذي قتل سنة (١٤٥ هـ) في زمن المنصور العباسي ، نظير ما حصل ـ بعد ذلك من قبل العباسيين وأتباعهم في ادعاء مهدوية محمد بن عبدالله المنصور الخليفة العباسي الملقب بالمهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) لما في ذلك من تحقيق اهداف ومصالح سياسية كبيرة لا يمكن الوصول اليها بسهولة من غير هذا الطريق المختصر .

وفي لحظة واحدة المع حامد الى سالم بمسألة مهمة، فقال :

ـ أقول : هل لمثل هذا الحديث ـ وذلك فيما لو صح وصودر عليه ـ القدرة على معارضة غيره من الاحاديث ؟

قال سالم متعجباً اشد التعجب :

ــ لقد طرحت نفس السؤال على ذلك الرجل، الله اكبر، لشدما تجمعنا حالة توارد الافكار وتشاكل الخواطر ... اجل! فأجابني: انه ومع فرض صحة الحديث ـ علىٰ الرغم من المؤاخذات المفروغ منها عليه ـ فإنّه لا تعارض بينه وبين الاحاديث الأُخرىٰ المصرحة بكون المهدي من ولد الإمام الحسين عليه السلام ويمكن الجمع بينه وبينها، بأن يكون الإمام المهدي عليه السلام حسيني الأب حسني الأُم؛ وذلك لأنّ زوجة الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أُم الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام هي فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام. وعلىٰ هذا يكون الإمام الباقر عليه السلام حسيني الأب حسني الأُم، وذريته تكون من ذرية السبطين حقيقة.

ــ وكأني بهذا الجمع له ما يؤيده من القرآن الكريم

قال سالم:

ــ كيف؟

ــ قال تعالىٰ: ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان... وعيسىٰ وإلياس كل من الصالحين. الانعام: ٦ / ٨٤ ـ ٨٥. فعيسىٰ عليه السلام أُلحق بذراري الانبياء من جهة مريم عليها السلام، فلا مانع اذن في ان تُلحق ذرية الباقر بالامام الحسن السبط من جهة الأُم كما أُلحق السبطان برسول الله صلى الله عليه وآله من

جهة فاطمة الزهراء عليها السلام .

بينما اردف سالم :

ـ جميل هي توصلاتك التحليلية، بل طريفة حقاً ! .. كما ان هذا الجمع بين الاخبار لا ينبغي الشك فيه مع افتراض صحة حديث أبي داود وان كان مخالفاً للصحة من كل وجه كما تقدم .

ـ واذن، فانه ليتضح لنا بأن الاحتمال الثاني ـ أعني كون الإمام المهدي من ولد الإمام الحسين عليه السلام ـ لم يكن مجرد احتمال، وإنما هو الواقع بعينه، سواء قلنا بصحة حديث كون المهدي من ولد الإمام الحسن السبط عليه السلام أو لم نقل بذلك .

بينما عاد سالم الى القول :

ـ أمّا مع فرض القول بصحة الحديث، فلا تعارض بينه وبين أحاديث كون المهدي من ولد الإمام الحسين عليه السلام، بل هو مؤيد لها كما رأيت . وأمّا مع القول بعدم صحته ـ وهو الحق لما تقدم في الوجوه السبعة ـ فالحال أوضح من أن يحتاج إلىٰ بيان ؛ لما قلناه سابقاً من أن إثبات بطلان أحد الاحتمالين يعني القطع بمطابقة الآخر للواقع لاستحالة بطلانهما معاً ، إذ المتيقن هو كون المهدي الموعود من ولد فاطمة عليها السلام حقاً .

۞ ۞ ۞

(١١)

ولماكان للغد ان يحل،كان لمسائه ان يحل كذلك ضيفاً يغادر سراعاً كلما زايلته الوان الافق الشفافة عند خمول ناعس لم تفق منه سكرات السماء الزرقاء حتى اذا ما حطت اوراده فوق انوائه جاء ليل تنوس فوق اطراف افاقه وجنبات اديمها دياجي لها ان تغرق كل سكنة وحُبكة .. جلس الاب الى مائدة العشاء،كان يشاركه فيها زوجته وابنه حامد .. ومن قبل ان يفرغوا من تناول الطعام،كان للاب حديث مع ولده .. نظر اليه باطمئنان، ثم ارتشف من قدحه رشفات ماء متعددة، جال نظره الغرفة كانما راح يبحث عن شيء ما اضاعه، بعدها استقر نظره على ولده، الا انه عاد يسرّح الطرف فيما حوله، حتى طافت رؤاه تتوزع بين ملامح زوجته وبين قسمات ولده حامد .. اخيراً قرر ان يلقي ما لديه من كلمات، ادخرها لمثل هذه اللحظات .. وما ان عاين صدقاً في طرف ولده انه قد انتهى من

عشائه، وتأكد من زوجته انها هي الاخرى قد فرغت من طعامها .. عمد الى ان يوزع الفاكهة عليهما، فقال لولده حامد وهو يلقي الى ببرتقالة :

ـ اليك هذه، انها حلوة مثل العسل، بل اكثر حلاوة من العسل .. انها لك .. هي كعروسك الجديد ..

عندها اصطدمت الام بمثل هذه الكلمات، بل فزعت .. كذلك كان قد سبقها الى مثل هذا الاستغراب الهلع ابنها .. فلم يتمالك نفسه ان اجاب اباه قائلا

ـ عروس .. اية عروس ؟!

ـ انما اعتزمت ان تبقى هذه المسألة سراً احتكره .. وذلك لاني خشيت ان تلمّح لك امك بهذا الموضوع ولو من بعيد او قريب .. لذلك فان الموضوع هو جديد لكليكما .. الا انه ليس من حيث الظاهر .. لانّا كلّنا يعْلم انه لا بد ان يأتي اليوم الذي يجب فيه ان تختار لك شريكة حياتك، ويكون لك من الاولاد والبنات ما تفخر ونعتز بهم نحن كذلك من ورائك ..

ـ ولكن يا ابي ..

كانت الام ساكتة .. حائرة، لم تدر ماذا تقول .. فماكان منها الا ان شملت اعطاف الاجواء حولها بسيل من تنقلات النظر المبعثرة

وخطرات البصر المتقلقلة .. بينما جاءه الجواب صارماً، مشذوباً بشيء من التعاطف الذي لا يعرف مهادنة او مواربة :

ـ قضي الامر يا ولدي .. فانا الى متى يمكنني ان انتظر مثل هذا اليوم .. فليكن اليوم ساعة قبل اخرى والسنة .. اليوم قبل الغد ! اثمة ضير في ذلك .. اولاد الناس يحسدون اخوانهم على امتلاكهم لمثل هذه الحظوظ، وفوزهم بمثل هذه اللحظات السعيدة .. وانت تود مجادلتي .. لقد اتفقت مع احد التجار .. ان له ابنة متعلمة، مثقفة، حسناء ان لم اقل انها لا تقل جمالا عن اجمل فتيات الدنيا .. كذلك فان لهم من المال ما يضمن سعادتكم كلا كما.. فلتجتمع هذه الاموال الى اموالنا هنا، وتكون لكم الحظوة في الدنيا كما لا يمكنها ان تكون لغيركما . والذي ارجوه هو ان لا تروم مناقشتي في هذا الامر .. والا كنت احسبك عاقاً خيبت ظني .. والا فما ينقصك للزواج .. سنة الرسول ان يتزوج الابناء وهم في مثل عمرك .. ومن ناحية المال، فالوضع لا يقاس، والوظيفة، فانك تاجر ابن تاجر .. وما عليك الا ان تتهيأ لادارة الاموال والاملاك .. لان الزواج سيزجك في مثل هذه الاعمال شئت ام ابيت، لان عليك ان تقوم على أود اهلك وعيالك في المستقبل، وهذا سيجعلك تفكر في امور التجارة واعمالنا الادارية اكثر من ذي قبل .. حتى تراك منكباً على

مهنتك، تحترف شؤون عملها، وتقبض على منجافها كما يقبض الربان على منجاف[1] سفينته .. بل ان الزواج سيفتح لك ضرورات المشاركة الفعلية والجادة في الاعمال التجارية، وهذه بدورها ستبعث في نفسك انفاس الاعتماد على النفس والتوكل على الله اكثر فاكثر ..

بينما ساد الصمت .. في حين جعلت رائحة البرتقال تضوع في اجواء الغرفة، لتغرق زواياها بأريج طعم البرتقال . في حين جعل حامد ـ الذي كان يفكر كيف يتخلص من مشاكله العالقة .. ـ يفكر الان كيف يتخلص من مشكلاته الطارئة والجديدة والتي ما كان لها الا ان تزيد الطين بلة، وتضغط عليه لاكثر من الاول، وهو الذي تمنى في الوقت نفسه ان لو لم تطله سوى تلك الازمات السابقة، ولم يحل الزمان آذانه ولا في ايما يوم الى ان تصيخ السمع الى مثل هذه القرارات الشائكة والحادة !



(۱) المنجاف : سكّان السفينة .

(١٢)

وبعد عدة ايام كانت مراسيم عقد الزفاف تأخذ طريقها الى الاتمام ، حتى اذا ما فرغت اللحاظ من التفرس في جزئيات الحدث، كان له ان يجري مجرى سائر الاحداث .. وتولّي عنه كل الملابسات .. الا في قلب حامد .. حيث ما فتيء يشعر انه مسلوب الارادة، قد صودرت كافة حقوقه رغم انفه . الا انه ماكان لينسى ان اباه ماكان يفكر ـ وحسب منطوقه ـ الا لصالحه الذي لا تصب منافعه الا في هميانه .. غير انه كان يشعر ان والده قد استبق الاحداث من دون ان يأبه ولا حتى مقدار ذرة لرغبات ولده، او يسائله او حتى يمتحنه ! مع انه كان يشعر بانه يعيش تجربة فريدة من نوعها وهي زواج الشباب المبكر ! وهو انجع علاج لمشكلات الحياة التي يمكن ان يتعرض لها الشبان في مقتبل العمر .. وذلك اذا ما نبغوا في كيفية معالجة ازماتهم الانسانية وكبح غرائزهم البكر

.. وبشكل لا يتعارض مع دوام مسيرة العمل لديهم فضلا عن مواكبة ومواصلة كل خطى الابتكار والتقدم لا سيما الخلق والانسجام مع الواقع الاجتماعي وعدم التخلي عن ايما ساعة درس او تعلم في سبيل الحياة العائلية والعكس كذلك صحيح ! غير ان اليوم الذي اجترأ فيه حامد على كل ما شهده وعايشه، ماكان ليمنع وروده او تقاطره ايما يوم اخر .. او شخص ما .. فما ان سمع الاب بذلك حتى تناوش ابنه باللوم والتقريع بعد ان انفرد به في احدى الغرف في محل العمل . نظر اليه بهدوء، وذلك بعد ان تمالك اعصابه في فترة أعقبت فترة توتر متشنجة .. فقال له :

ــ أراك تجهل اباك، اراك تتمرد على كل حلو اريده لك .. بل تحاول ان تؤذيني وتسلبني فرصة تحقيق امنياتي التي ما اراها متجسدة الا فيك . اتفهم ما اقول .. ربما كانت هذه الاجراءات متعسفة بعض الشيء .. ربما حصل كل ما يحصل من دون ايما مراعاة لنظرك الشخصي، الا اني ماكنت اظن ان ما يحصل عنوة هو ليقع عن سوء قصد او عن نية سوء من قبل ابيك .. الزواج المبكر تجربة صعبة، الا ان ما يحل عقدتها، هو المشكلات المترتبة على تركها فيما لو اقلعت عنها انت ومن هم على شاكلتك من أربابك .. ولربما حالت المشكلات المادية دون تحقيق مثل هذا الهدف

المنشود ... الا انك ولله الحمد لا تعاني من ايما عقبات من هذا القبيل .. انها متذللة باذن الله .. وانا ما اريد لك الا الحصول على السعادة قدر ما يعينني الله عليها .

ولولا عناد حامد في تلك اللحظة لكان للامر ان يجري على عواهنه ، ولا يلقى بالحبل على غاربه، وكيفما شاء لها عنت الشباب وغضبتهم .. فكان من حامد ان ينتهز هذه الفرصة ليعلن لابيه عن رغباته :

ــ ابتاه، انا لا اعتزم الحياد عن تنفيذ اوامرك ..

قاطعه :

ــ انها رغبات اب صالحة الى ابعد مما تتصور .

ــ ولكني لا اطيق تحملها .. لا اريد الزواج الان .. لا اريد الانصراف عن مواصلة الدراسة .. ولا اريد الاشتغال بالتجارة .. ولا..

ــ كفى .. كفى .. ما الذي اذهب بعقلك، عليك الاذعان الى حقيقة ذهبية، وهي ضرورة توفير جلّ وقتك لمساهمات تجارية، انت حريّ بها ، فانت الرجل الثاني في هذه العائلة بل في شركة ابيك .. والا فعلى كل كل الاماني السلام .

ــ لكني يا ابي ..

ــ دعنا من هذا الهراء ..

ــ ابتاه، اني قد عقدت العزم على معارضتك هذه المرة .. اعذرني .. لا استطيع تحقيق هذه الاماني التي تسير عنوة من فوق جسدي، لتسحقه قهراً حتى اراني كالمقتول صبراً !

عندها تصاعدت الازمة وعلا صراخ الاب حتى مادت به الارض، وظن ان الساعة قد ازفت، اذ ما تبادر الى سمعه كل ذلك حتى شعر ان صدره يضيق عليه، وانفاسه كالتي صارت تختنق في داخله .. احس ان قلبه اضعف من ان يتحمل كل هذا الهصر والضغط، وكيف لو كان كل هذا الالم لا يأتيه الا من فلذة كبده وعنصر حياته .. بينما كانت عضلاته تاخذ طريقها الى التشنج كانت اصابع اكفه تتساقط فوق صدره، لتقبض كيفما اتفق على قلبه المتصدع ..

۞ ۞ ۞

(١٣)

صرخت في وجهه :

ــ كل القصور .. انا السبب فيه، لاني اخفيت عليك حقيقة اصابة ابيك بالجلطة القلبية . . وانه معرض لها في اي وقت كان .. ولكني حاولت ان ابدد ساعات الالم من امام طريقك .. ولكن الاقدار كان لها ان تلعب دورها متى شاءت ..

كان لامه ان تصرّح وبكل ما عندها لحامد الذي راح يجهش بالبكاء، لان الوقت قد كشف عن حاله عنوة، بينما جعل حامد وكلما لجأ الى الصمت، فيلوذ ببكاء حارق مخنوق، فيذرف دموعه الهاطلة ومن دون اي نشيج .. كان زمام الامر يفلت من بين قبضتيه ليخر راعداً من فرط المه حتى ينفجر بالبكاء ويعاود نوباته باقسى لحظاته .. غير ان امه كانت تطمئنه بان ثمة من الوقت ما هو كاف لتدارك واقع الحال . في حين كان عناق الاب ـ بعد تحسن حاله، وتجاوزه مرحلة الخطر ـ والابن مثالا يؤذن بقدوم تباشير جميلة ترفل بمستقبل رحيب .

☜ (١٤)

وتمضي الساعات، وتهب رياح الايام، حتى اذا ما مضت اشهر على الحادث .. كان للاوضاع ان تسير على خير ما يرام ..

وذات يوم جلس حامد الى جانب امرأته التي كانت تدعى سميرة. كان يفكر في دراسته وما ينتظره من أيام مستقبلية، وكيف له ان يتفرغ باحكام لمساعدة ابيه في تجارته وادارة اعماله، ومن حيث لا يلحق ايما ضرر بدراسته ولا بمصالح العائلة المادية ... سألته امرأته التي كانت تتمذهب بمذهب اهل السنة :

ــ سيمكنك ان تلتحق بقاعات الجامعة ومن دون ان يعيق ذلك مهام اعمالك التجارية ..

ــ ولكن .. كيف ؟

ــ سنتعاون كلانا .. ساساعدك انا في هذا الامر، وفي الوقت الذي تكون قد تفرغت للدرس والمطالعة، سأحتل مقعدك في

الشركة الى جانب ابيك ..

تطلع حامد الى زوجته ..كان يراها صفحة ناصعة من مستقبله الذي لم يكشف عن ابهى صوره الا الان !

✪ ✪ ✪

(١٥)

وذات أصيل، عندما كان للغسق ان ينطلي بالوانه الغامقة، ناولته قدحاً من شاي .. تملّى في وجهها .. قال لها :

ــ واذن، فانّا قد صادرنا على تأخير موعد قدوم خلفائنا في هذه الحياة .

ابتسمت وهمست له :

ــ هذا وبالرغم منّا، اليس كذلك .

ــ بكل تأكيد ! هذا ما شئناه .

ــ ولو شاء الله لما جبهت مشيئته بمشيئتنا .

ــ ماذا تعنين ؟

ــ اعني انا نخطو ونتحرك بعقليتنا .. الا ان حساب الله غير حسابنا.

ــ لم افهم .

ــ انما اردت القول انّا لو امتنعنا في الوقت الحاضر، الا انه لو

شاء الله لخلق من الظروف ما يتناسب مع ولادة ميمونة تكون ذخراً لنا في كل الاوقات .

ـ هذا مسلّم له .

ـ اجل .. غير ان المنطق السليم يوجب علينا كذلك ان نلتفت الى ظروفنا التي ربما لم تتسنى لغيرنا .. فنحن نتمتع بكل ما له ان يذلل المصاعب ويبدد المتاعب من خلال تهيئة الوسائل الكفيلة لانجاح مثل هذه المشاريع العائلية والمساعي الاجتماعية . ذلك انّا نمتلك ما يمكننا معه ان نوفره لوليدنا من رعاية وعناية خاصة .. ومن دون ان يعيق وجوده نشاطاتك الدراسية او فعالياتك التجارية . اليس كذلك ؟!

ـ هه .. اجل .. ولكن .. !

كان ينظر اليها .. يراها امرأة تجود بكل ما لديها من اجل ان تتوصل الى غاية سعيدة ترضي بها رفيق عمرها . غير انه كان يدرك ان النساء ربما ما وفين بما يقلن الا من حيث لا يفين بما وعدن . في حين انه ما زال يعقل انه قد فاز بتحفة اناله اياها الجليل من فوق سبع سماوات . وانه قد حظى بها كما لو استرقها خلسة من وحي آي الزمان وفيء ليالي الدهور التي ما اصطبرت عليه الا لتدفع اليه بمن توحي اليه ان يكون لها شأن من الشؤون !

✿ ✿ ✿

(١٦)

واذا ما عرض لهما الحديث في ذات يوم، كان لمناقشاتهما ان تذهب ابعد من حدودها المألوفة، والمتعارف عليها في كل يوم حتى اذا ما طرق موضوع خلافة العائلة والمولود الجديد، وانتظاره او عدمه .. ودراسة مثل هذه الظروف وتقصى الاوضاع المحيطة بها.. كان للبحث ان يرد مدخلا اخر .. تعين على كل منهما عدم تحاشيه، وهو خلافة الرسول من بعد وفاته، حتى اذا ما اجتازا مراحل مهمة .. صارت تعلن انها قد تأكدت من مسألة مهمة هي في غاية الاهمية فيما لو قدّر لها اثباتها بكل ما تذهب اليه .. لانها لو اثبتتها لكان بوسعها ان تدفع عنها سيل الدلائل والاثباتات التي اترع بها ذهنها زوجها حامد .. حتى قالت له :

ــ قد قرأت وطالعت، بل سمعت كذلك من مصادر موثقة ممن اعتقد بعلميتهم ان المهدي اعني المصلح المنتظر والمنقذ

المصطبر على فراقه هو ليس من أولاد الحسين بن علي، لانـه لم يولد بعد، وذلك حسب ما تزعمون اعـني حسـبما تـقوله الشـيعة الامامية !

التفت اليها حامد، وكأنه قد فوجىء بما لم تفجأه به ايما لحظة من اللحظات الآنفة .. والمزحومة بمختلف المناظرات المخضرمة والمجادلات العقائدية منها والفقهية، وذلك فـي بـعض المسـائل المصطبغة الوانها بأعلى صور الخلاف بين السنة والشـيعة . بـينما صار يلملم افكاره، وهو يكافح من اجل ان يلتقط كل مـا بـوسعه التقاطه .. الا ان معلوماته غير الكافية كانت قد خانته حـتى صـار ينصت بخشوع الى ما تقوله الزوجة الشابة، وذلك من بعد ان اوعز اليها، واشار لها بادلاء دلوها أولا :

ـ انه لا بدّ وأن يكون من أولاد الإمام الحسينعليه السلام، وقبل بيان مثبتات هذه النتيجة ـ التي يترتب عليها اعتقاد الشيعة الامامية بأنّ المهدي هو التاسع من صلب الإمام الحسينعليه السلام، وأنه قد وُلد حقاً وهو محمد بن الحسن العسكريعليه السلام، لا بدّ من التوقف برهة مع ما ورد معارضاً لذلك في لسان بعض الروايات ـ يعني من طرقكم .. اقصد من طريق أهل السنّة ـ

فما كان منها الا ان تقاطعه مردفة الكلام :

ــ . . اجل، والتي عيّنت اسم أبي المهدي بـ : (عبدالله)، مما نجم عنها اعتقاد بعضهم بأنّ المهدي هو محمد بن عبدالله، وأنه لم يولد بعد ، وإنما سيولد قبيل ظهوره في آخر الزمان .

عندها ادرك انه قد تزوج من امرأة مرست على النهل من مختلف العلوم، كما انه لا يمكن اقناعها طواعية الا من حيث لا يلتزم منحى التخلي عن مذهبه الا مطواعاً .

في حين عقّب على كلامها، كأنه يريد ان يثبت لها انه هو الاخر قد استنفد كل طاقاته في الموضوع :

ــ الا انه ولما كان التواتر حاصلاً لمهديٍّ واحد، فلابدّ وأن يكون أحد الفريقين ينتظر مهدياً لا واقع له، وهذا ما يستدعي وجوب مراجعة كل فريق لأدلّته بمنظار أنها خطأ يحتمل الصواب، والنظر لما عند الآخر باعتبار انه صواب يحتمل الخطأ، وهذا وإن عزّ، فلا يعدم عند من يسعىٰ لادراك الصواب ـ قبل فوات الأوان ـ أينما كان . ولأجل معرفة الصحيح في اسم أبي المهدي أهو : عبدالله ، أو الحسن ؟ علي ان استمع الى ما تقولين.. اقصد ما تأتينني به من ادلة .

قالت :

ــ أما الاحاديث، فمنها : «اسم أبيه اسم أبي» (عبدالله) .

قاطعها وقال لها :

ـ أودُّ الاشارة قبل دراسة هذه الأحاديث إلىٰ أنّ بعض علماء الشيعة أوردوا بعضها، لا إيمانا بها، لمخالفتها لأُصول مذهبهم، وإنما لأمانتهم في نقلها من كتب أهل السنة دون تحريف أو حذف؛ إمّا لامكان تأويلها بما لا يتعارض وأُصول المذهب، وإمّا للبرهنة علىٰ الأمانة في النقل، وإيقاف المسلمين علىٰ مناقشاتهم لها.

ـ جميل !

ـ . . الا اني اتساءل، كيف كان لك ان تتبحري في هذا الباب، وتلمّي بشتات هذا القال ؟

قالت :

ـ اني قد عقدت فصولا لدراسة هذه المسألة حين تقديمي بحثاً في المدرسة .. لقد تعمدت المدرّسة المختصة بالمادة ان تختار لي هذا الموضوع، عناية منها بي، اقول ذلك حسبما ادعته هي، وذلك اقحاماً لي في خضم هذه المناظرات الخطية، للاعراب عن حقيقة المشاركة بين السنة والشيعة، لبذل الجهد من قبل الطرفين للتوصل الى واقع يفصم عرى الخلاف ما بينهم وذلك عبر الاخذ بأطراف الحقيقة من تلابيبها الاصلية، وغذّ السير في مسار

تغذية مد الجسور ورتق كل فتق بين الاطراف المعنية، لانه ـ وحسب ما ادعته ـ متى ما اميط اللثام عن قطب الحقيقة كان لها ان تنحسر عن شعاعاتها التي ما فتئت تحيا بها القلوب .. ولولاها ما قرّ لروح مثوىً ولا حتى مآب . . الا بها !

ــ عظيم، ان هذه المدرّسة لربما كانت فيلسوفة .

ــ لا .. انها ليست كذلك . . فلقد ساءها ـ وحسب ما تصرف القول لي ـ اني قد انحدرت الى مهيع الحقيقة، ونهضت بوحي فطري صوب أنجاد الواقعية . الا اني لم أؤمن بما وعيت به او حصلت عليه .. بل قالت ـ هكذا ـ: والكلام بيني وبينك فقط .. اني لاراك كالعطشى التي في يديها جرة ماء، وهي ما تزال تحدث نفسها، اني ما زلت ابحث عن الماء، وما الذي بيدي الا جرة ماء لا تطفىء فورة ظمئي، ولا تخمد سَورة عطشي .

ــ اووه ! حقاً، ان المسألة قد بلغت وبالفعل مراحل متقدمة .

ــ أما الاحاديث التي أذكرها، اقصد التي كنت قد ادغمتها في بحثي، بعد ان اوليتها كل العناية، حتى دسستها فيه، فمنها : الحديث[1] الذي ورد عن النبي ﷺ أنه قال : لا تذهب الدنيا حتىٰ

---

(١) الذي أخرجه ابن أبي شيبة ، والطبراني ، والحاكم ،كلّهم من طريق عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن عبدالله بن مسعود ،

يبعث الله رجلاً يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي[١].
والحديث الذي[٢] قال فيه: لا تقوم الساعة حتىٰ يملك الناس رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي[٣]. اما الثالث، فهو[٤]: المهدي يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي[٥]. والرابع[٦] المهدي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي[٧].

ـ هذه هي الأحاديث التي جعلت مبرراً لاختيار (محمد بن

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١٥: ١٩٨ / ١٩٤٩٣، المعجم الكبير للطبراني ١٠: ١٦٣ / ١٠٢١٣ و ١٠: ١٦٦ / ١٠٢٢٢، مستدرك الحاكم ٤: ٤٤٢. وأورده من الشيعة المجلسي في بحار الانوار ٥١: ٨٢ / ٢١، عن كشف الغمة للاربلي ٣: ٢٦١، والاخير نقله عن كتاب الاربعين لابي نعيم.

(٢) أخرجه أبو عمرو الداني، والخطيب البغدادي كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود عن النبي

(٣) سنن أبي عمرو الداني: ٩٤ ـ ٩٥، تاريخ بغداد ١: ٣٧٠ ولم يروه احد من الشيعة.

(٤) الحديث الذي أخرجه نعيم بن حماد، والخطيب، وابن حجر، كلهم من طريق عاصم أيضاً، عن زرّ، عن ابن مسعود، عن النبي.

(٥) تاريخ بغداد ٥: ٣٩١، كتاب الفتن لنعيم بن حماد ١: ٣٦٧ / ١٠٧٦ و ١٠٧٧ وفيه يقول ابن حماد: «وسمعته غير مرّة لايذكر اسم ابيه»، وأخرجه في كنز العمال ١٤: ٢٦٨ / ٣٨٦٧٨ عن ابن عساكر، ونقله السيد ابن طاووس في التشريف بالمنن ١٥٦ / ١٩٦ و ١٩٧ باب / ١٦٣ عن فتن ابن حماد، كما أورده ابن حجر في القول المختصر: ٤٠ / ٤ مرسلاً.

(٦) الذي أخرجه نعيم بن حماد بسنده عن أبي الطفيل قال: «رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(٧) الفتن لنعيم بن حماد ١: ٣٦٨ / ١٠٨٠ وعنه السيد ابن طاووس في التشريف بالمنن: ٢٥٧ / ٢٠٠.

عبدالله) كمهديٍّ في آخر الزمان،

قال لها :

ــ وماذا قالت لك المدرّسة :

ــ انها قالت : كلها لا تصحّ حجة ومبرراً لهذا الاختيار.

فصرخ قائلا :

ــ اووه، كيف استدلّت .. انه امر عظيم !

ــ امر عظيم، هه ؟ ! .. قالت : الذي أخرجها نعيم بن حماد بسنده عن أبي الطفيل قال : «رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : وقد علمت أن الثلاثة الأُولىٰ منها كلّها تنتهي إلىٰ ابن مسعود من طريق واحد وهو طريق عاصم بن أبي النجود . وأما الحديث الرابع، فسنده ضعيف بالاتفاق اذ وقع فيه رِشْدِينُ بن سعد المهري وهو : رِشْدِينُ بن أبي رِشْدِين المتّفق علىٰ ضعفه بين أرباب علم الرجال[1] من أهل السُنّة . فقلت لها : كيف ؟ قالت : آتيك بها غداً. وفي الغد جاءتني تتصفح دفتراً لها، ثم قالت وهي تقرأ فيه : فعن أحمد بن حنبل : أنه ليس يبالي عمّن روىٰ، وقال حرب بن إسماعيل : (سألت أحمد بن حنبل عنه، فضعّفه)، وعن يحيىٰ بن معين : لا يكتب حديثه . وعن أبي زرعة : ضعيف الحديث، وقال

---

(١) علم الرجال : هو العلم الذي

أبو حاتم: منكر الحديث، وقال الجوزجاني: عنده معاضيل، ومناكير كثيرة، وقال النسائي: متروك الحديث لا يُكتَب حديثه. وبالجملة فإنّي لم أجد أحداً وثّقه قطّ إلّا هيثم بن ناجة فقد وثّقه وكان أحمد بن حنبل حاضراً في المجلس، فتبسّم ضاحكاً، وهذا يدلّك علىٰ تسالمهم علىٰ ضعفه[1]. ولا شك، أنه من كان حاله هو ما عرفت فلا يؤخذ عنه مثل هذا الامر الخطير. الحقيقة، اني لم افهم اشاراتها تلك على وجه الصحة الكاملة .. بينما اسهبت في الكلام: وأما الأحاديث الثلاثة الأُولىٰ، فهي ليست بحجة من كل وجه، ومما يوجب وهنها وردها هو ان عبارة: (واسم أبيه اسم أبي) لم يروها كبار الحفّاظ والمحدّثين، بل الثابت عنهم رواية: (واسمه اسمي) فقط من دون هذه العبارة كما سنبرهن عليه، هذا مع تصريح بعض العلماء من أهل السنة الذين تتبعوا طرق عاصم بن أبي النجود بأن هذه الزيادة ليست فيها.

– وبماذا أجبتها؟

– قلت لها: إن إسناد هذه الأحاديث الثلاثة ينتهي إلىٰ ابن مسعود؟! فقالت: اجل ابن مسعود فقط، بينما المروي عن ابن

---

(١) راجع: تهذيب الكمال ٩: ١٩١ / ١٩١١، وتهذيب التهذيب ٣: ٢٤٠ ففيهما جميع ماذكر بحق رِشْدِين بن أبي رِشْدِين.

مسعود نفسه كما في مسند أحمد ـ وفي عدة مواضع ـ (واسمه اسمي) فقط[1]، وقال[2]...

ــ طيب .

---

(١) مسند أحمد ١ : ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٤٣٠ و ٤٤٨.

(٢) وكذلك الحال عند الترمذي (فقد روىٰ هذا الحديث من دون هذه العبارة، مشيراً إلى أنّ المروي عن علي ٧ ، وأبي سعيد الخدري، وأم سلمة، وأبي هريرة هو بهذا اللفظ (واسمه اسمي) ثم قال ـ بعد رواية الحديث عن أبي مسعود بهذا اللفظ ـ : (وفي الباب : عن علي، وأبي سعيد، وأُم سلمة، وأبي هريرة . وهذا حديث حسن صحيح) (سنن الترمذي ٤ : ٥٠٥ / ٢٢٣٠)، وهكذا عند أكثر الحفاظ (فالطبراني مثلاً أخرج الحديث عن ابن مسعود نفسه من طرق أُخرىٰ كثيرة، وبلفظ : (اسمه اسمي)، كما في أحاديث معجمه الكبير المرقمة : ١٠٢١٤ و ١٠٢١٥ و ١٠٢١٧ و ١٠٢١٨ و ١٠٢١٩ و ١٠٢٢٠ و ١٠٢٢١ و ١٠٢٢٣ و ١٠٢٢٥ و ١٠٢٢٦ و ١٠٢٢٧ و ١٠٢٢٩ و ١٠٢٣٠ . وكذلك الحاكم في مستدركه أخرج الحديث عن ابن مسعود بلفظ : (يواطىء اسمه إسمي) فقط، ثم قال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) . (مستدرك الحاكم ٤ : ٤٤٢.) وتابعه على ذلك الذهبي، وكذلك نجد البغوي في مصابيح السنّة يروي الحديث عن ابن مسعود من دون هذه الزيادة مع التصريح بحسن الحديث (مصباح السنة ٤٢١٠/٤٩٢) . وقد صرح المقدسي الشافعي بأن تلك الزيادة لم يروها أئمة الحديث، فقال ـ بعد أن أورد الحديث عن ابن مسعود بدون هذه الزيادة ـ : (أخرجه جماعة من أئمة الحديث في كتبهم، منهم الإمام أبو عيسىٰ الترمذي في جامعه، والإمام أبو داود في سننه، والحافظ أبو بكر البيهقي، والشيخ أبو عمرو الداني، كلهم هكذا) (عقد الدرر : ٥١ / باب ٢.) أي : ليس فيه : (واسم أبيه اسم أبي) ثم أخرج جملة من الأحاديث المؤيدة لذلك مشيراً إلى من أخرجها من الأئمة الحفاظ كالطبراني، وأحمد بن حنبل، والترمذي، وأبي داود، والحافظ أبي داود، والبيهقي، عن عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وحذيفة (عقد الدرر : ٥١ ـ ٥٦ / باب ٢) . هذا زيادة على ما مرّ من اشارة الترمذي إلى تخريجها عن علي٧ ، وأبي سعيد الخدري، وأُم سلمة، وأبي هريرة ؛ كلهم بلفظ : (واسمه اسمي) فقط .

ــ بينما اضافت : ولا يمكن تعقل اتفاق هؤلاء الأئمة الحفاظ بإسقاط هذه الزيادة (واسم أبيه اسم أبي) لوكانت مروية حقاً عن ابن مسعود مع أنّهم رووها من طريق عاصم بن أبي النجود، بل ويستحيل تصور إسقاطهم لها لما فيها من أهمية بالغة في النقض على ما يدعيه الطرف الآخر .

ومن هنا يتضح أنّ تلك الزيادة قد زيدت على حديث ابن مسعود من طريق عاصم .

ــ لماذا ؟

ــ انا الاخرى سألتها، فقالت : إما من قِبَل أتباع الحسنيين وأنصارهم ترويجاً لمهدوية محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى، أو من قبل أتباع العباسيين ومؤيديهم في ما زعموا بمهدوية محمد بن عبدالله ـ أبي جعفر ـ المنصور العباسي . وقد يتأكد هذا الوضع فيما لو علمنا بأنّ الأول منهما كانت رتّة في لسانه ، مما اضطر أنصاره على الكذب على أبي هريرة، فحدّثوا عنه أنه قال : إن المهدي اسمه محمد بن عبدالله في لسانه رتّة[1] . ولما كانت

---

(١) هذا الحديث الموضوع منقول في معجم أحاديث الإمام المهدي عن مقاتل الطالبيين: ١٦٣ ـ ١٦٤

الأحاديث الثلاثة الأُولىٰ[1]...

كان حامد يفكر في امرأته .. وفي علميتها .. حتى اذا انتهت من كلامها بادرها :

ــ ومن هنا يُعلم أنّ حديث : (.. واسم أبيه اسم أبي) فيه من الوهن ما لا يمكن الاعتماد عليه في تشخيص اسم والد المهدي المباشر . وهو ما تعترفين به انت كذلك .

ــ اني لم اعترف .. ولكني فوجئت بعلمية المدرّسة .. وانتظر الفرصة كيما ارد عليها علمياً .

ــ الا انه يمكن القول ان من ينتظر مهدياً باسم (محمد بن عبدالله) إنما هو في الواقع ـ وعلىٰ طبق ما في التراث الاسلامي من

---

(١) من رواية عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حبيش عن عبدالله بن مسعود، مخالفة لما أخرجه الحفاظ عن عاصم من أحاديث في المهدي ـكما مر ـ فقد تلبع الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت/٤٣٠ هـ) في كتابه (مناقب المهدي) طرق هذا الحديث عن عاصم حتىٰ أوصلها إلىٰ واحد وثلاثين طريقاً، ولم يُرْوَ في واحد منها عبارة (واسم ابيه اسم أبي) بل اتفقت كلها علىٰ رواية (واسمه اسمي) فقط . وقد نقل نص كلامه الكنجي الشافعي (ت/٦٣٨ هـ) ثم عقّب عليه بقوله : «ورواه غير عاصم، عن زر، وهو عمرو بن حرة، عن زر كل هؤلاء رووا (اسمه اسمي) إلّا ماكان من عبيد الله بن موسىٰ، عن زائدة، عن عاصم، فانّه قال فيه : (واسم أبيه اسم أبي) . ولايرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة علىٰ خلافها ـ إلىٰ أن قال ـ والقول الفصل في ذلك : إن الإمام أحمد ـ مع ضبطه وإتقانه ـ روىٰ هذا الحديث في مسنده في عدة مواضع : واسمه اسمي) (البيان في أخبار صاحب الزمان / الكنجي الشافعي : ٤٨٢) .

أخبار ـ ينتظر سراباً يحسبه الضمآن ماء .

ــ لا أتصوره كذلك .

ــ كيف ؟

ــ لاني أجد الاستاذ الأزهري سعد محمد حسن يصرّح بأن أحاديث (اسم أبيه اسم أبي) أحاديث موضوعة، ولكن الطريف في تصريحه أنّه نسب الوضع إلىٰ الشيعة الامامية لتؤيد بها وجهة نظرها علىٰ حد تعبيره[1] !!

ــ وهذا امر غريب ... الا انه يتضح أَنّ نتيجة البحث في طوائف أحاديث نسب الإمام المهدي، قد انتهت إلىٰ كونه من ولد الإمام الحسين عليه السلام ؛ لضعف سائر الأحاديث التي وردت مخالفة لتلك النتيجة، مع عدم وجود أية قرينة تشهد بصحة تلك الأحاديث، بل توفرت القرآئن الدالة علىٰ اختلاقها .

ــ لكني لا ارى ذلك .

فقال لها :

ــ هناك أحاديث كثيرة عند الشيعة الامامية عينت الأئمة الاثني عشر بأسمائهم واحداً بعد آخر ابتداءً بالامام علي وانتهاء بالمهدي عليهم السلام، مع مجموعة من الأحاديث في تعيين كل إمام

---

(١) المهدية في الإسلام / الاستاذ الازهري سعد محمد حسن : ٦٩.

لاحق بنصّ من الإمام السابق . وأُخرىٰ عند أهل السنة مصرحة بعدد الأئمة تارة كما في الصحاح، ومشخصة لأسمائهم كما في كتب المناقب وغيرها وإلىٰ جانب هذا توجد جملة من الأحاديث المتّفق علىٰ صحّتها تدلّ علىٰ حياة المهدي ما بقي في الناس اثنان، وهذا لايتمّ إلّا بتقدير كونه التاسع من ولد الإمام الحسين عليه‌السلام . وسوف لن أذكر من تلك الاحاديث إلا ما احتُجَّ به في كتب اهل السنة .

ـ من مثل ؟

ـ من مثل حديث الثقلين . فانه مما لاشك فيه أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قد انتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ والسنة لم تدوّن بكل تفاصيلها في عهده، وهو منزّه عن التفريط برسالته المحكوم ببقائها إلىٰ يوم القيامة، ومنزّه أيضاً عن إهمال أُمته مع نهاية رأفته بهم وشفقته عليهم، فكيف يوكلهم إلىٰ القرآن الكريم وحده مع ما فيه من محكم ومتشابه، ومجمل ومفصّل، وناسخ ومنسوخ ، فضلاً عمّا في آياته من وجوه ومحامل استخدمت للتدليل علىٰ صحة الآراء المتباينة كما نحسّ ونلمس عند أرباب المذاهب والفرق الاسلامية .

ـ ؟!

ـ هذا، مع علمه صلى‌الله‌عليه‌وآله بأنه قد كُذِب عليه في حياته فكيف الحال

إذن بعد وفاته، والدليل عليه قوله ﷺ الذي اتخذ بكتب الدراية مثالاً على التواتر اللفظي : من كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

عندها قالت :

ـ الم تخبر الشيعة انهم لم يغلقوا باب الاجتهاد . . كذلك الرسول .

ردّ عليها :

ـ انه من غير المعقول إذن أن يدع النبي شريعته مسرحاً لاجتهادات الآخرين من دون أن يحدد لهم مرجعاً يعلم ما في القرآن حق علمه ، وتكون السنة معلومة بكل تفاصيلها عنده . وعندئذ تبدأ مرحلة اجتهاد غير المعصوم، اعني الاجتهاد الكائن في دائرة علم المعصوم . وهذا هو القدر المنسجم مع طبيعة صيانة الرسالة، وحفظها، ومراعاة استمرارها منهجا وتطبيقاً في الحياة . ومن هنا تتضح أهمية حديث الثقلين (القرآن والعترة)، وقيمة إرجاع الأمّة فيه إلى العترة لأخذ الدين الحق عنهم، كما تتضح أسباب التأكيد عليه في مناسبات مختلفة ونُوَب متفرقة، منها في يوم الغدير، وآخرها في مرضه الأخير[1] .

---

(١) فعن زيد بن أسلم ، عن رسول الله ٦ قال : «كأنني قد دُعيت فأجبت ، إني تارك فيكم

بينما اكمل حديثه بالقول :

ــ هذا فضلاً عن تأكيده ﷺ المستمر علىٰ الاقتداء بعترته أهل بيته، والاهتداء بهديهم ، والتحذير من مخالفتهم، وذلك بجعلهم تارة كسفن للنجاة، وأُخرىٰ أماناً للأُمّة، وثالثة كباب حطّة.

ــ ولكن الاختلاف كان قد وقع في من هم اهل البيت ؟

ــ انه وفي الواقع لم يكن ثمة خلاف في هذه المسألة، لانه لو كان لكان الصحابة اولى بمثل هذا الخلاف، غير انهم اغضوا الطرف عنه، ذلك انهم لم يكونوا بحاجة إلىٰ سؤال واستفسار من النبي لتشخيص المراد بأهل البيت، وهم يرونه وقد خرج للمباهلة وليس معه غير أصحاب الكساء وهو يقول : اللّهم هؤلاء أهلي وهم من أكبر الناس معرفة بخصائص هذا الكلام، وإدراكاً لما

← الثقلين أحدهما أكبر من الآخر :كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي فانظرواكيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض ، إنّ الله مولاي ، وأنا ولي كل مؤمن . من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» . (مستدرك الحاكم ٣ : ١٠٩.) . وعن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ٦ قال : «إنّي تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر :كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الارض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض ، فانظرواكيف تخلفوني فيهما» (سنن الترمذي ٥ : ٦٦٢ / ٣٧٨٦، وحديث الثقلين قد روي عن أكثر من ثلاثين صحابياً، وبلغ عدد رواته عبر القرون المئات. راجع حديث الثقلين تواتره، فقهه، للسيد علي الحسيني الميلاني : ٤٧ ـ ٥١. فقد ذكر فيه بعض الرواة وفيه الكفاية) .

ينطوي عليه من قصر واختصاص . وإلا فتسعة أشهر وهي المدّة التي أخبر عنها ابن عباس في وقوف النبي ﷺ علىٰ باب فـاطمة صباح كل يوم وهو يقرأ : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا[١] كافية لأن يعرف الجميع من هـم أهـل البيت عليهم السلام .

ومع هذا فلا معنىٰ لسؤالهم واستفسارهم من النبي ﷺ عـمّن يعصموا الأُمّة بعده من الضلالة إلىٰ يوم القيامة فيما لو تمسكت بهم مع القرآن .

فحاجة الأُمّة ـ والصحابة أيضاً ـ ليس أكثر من تشخيص أولهم ليكون المرجع للقيام بمهمته بعد النبي ﷺ حتىٰ يأخذ دوره فـي عصمة الأُمّة من الضلالة، وهو بدوره مسؤول عن تعيين من يليه في هذه المهمة ، وهكذا حتىٰ يرد آخر عاصم من الضـلالة مـع القرآن علىٰ النبي الحوض .

ــ ولكن الخليفة من بعد النبي ؟

ــ فإذا علمت أن علياً عليه السلام قد تعيّن بنصوص لا تحصىٰ، ومنها في حديث الثقلين نفسه، فليس من الضروري إذن أن يتولّىٰ النبي

---

(١) الاحزاب : ٣٣ / ٣٣ . وانظر روايات وقوف النبي ﷺ علىٰ باب فاطمة وهو يقرأ الآيـة في تفسير الطبري : ٢٢ / ٦ .

بنفسه تعيين من يلي أمر الأُمّة باسمه في كل عصر وجيل، إن لم نقل إنه غير طبيعي لولا أن تقتضيه بعض الاعتبارات . فالقياس إذن في معرفة إمام كل عصر وجيل : إمّا أن يكون بتعيينهم دفعة واحدة، أو بنص السابق علىٰ إمامة اللاحق وهو المقياس الطبيعي المألوف الذي دأبت عليه الأنبياء والأوصياء ﷺ، وعرفته البشرية في سياساتها منذ أقدم العصور وإلىٰ يوم الناس هذا. والا فانه ليس من العلمية ان يعلن الرئيس عن نائبه، ومن ثم ترينه يصاحَبه دائماً او يقوم مقامه، بينما يعلن الناس اختلافهم فيمن ينوبه .

ـ ؟!

وإذا ما عدنا إلىٰ واقع أهل البيت ﷺ تجدين النصّ قد توفر علىٰ إمامتهم بكلا طريقيه، ومن سَبَر الواقع التاريخي لسلوكهم علم يقيناً بأنهم ادعوا لانفسهم الامامة في عرض السلطة الزمنية، واتخذوا من أنفسهم كما اتخذهم الملايين من أتباعهم أئمة وقادة للمعارضة السلمية للحكم القائم في زمانهم ، مع إرشاد كل إمام أتباعه علىٰ من يقوم بأمر الامامة من بعده ، وعلىٰ هذا جرت سيرتهم، فكانوا عرضة للمراقبة والسجون والاستشهاد بالسم تارة، وفي سوح الجهاد تارة أُخرىٰ وعلىٰ أيدي القائمين بالحكم أنفسهم .

ـ اتقصد انهم كانوا يعيّنون من يقوم من ورائهم دائماً .

ـ نعم ! ثم لو فرض أنّ أحدهم لم يعيّن لأتباعه من يقوم بأمر الامامة من بعده، مع فرض توقف النص عليه، فإنّ معنىٰ ذلك بقاء ذلك الإمام خالداً مع القرآن في كل عصر وجيل ؛ لأنّ دلالة : لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض . . علىٰ استمرار وجود إمام من العترة في كل عصر كاستمرار وجود القرآن الكريم ظاهرة واضحة، ولهذا ذهب ابن حجر إلىٰ القول : «وفي أحاديث الحث علىٰ التمسك بأهل البيت إشارة إلىٰ عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلىٰ يوم القيامة ، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض، ويشهد لذلك الخبر : في كلِّ خَلَفٍ من أُمتي عدول من أهل بيتي[1] .

ـ انت قلت ثمة احاديث، ولم تذكر غير هذا الحديث .

ـ اما الحديث الاخر فهو : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية . حيث سُجّل هذا الحديث ـ بألفاظٍ مختلفةٍ لابدّ وأنْ ترجع إلىٰ معنىً واحدٍ ومقصدٍ فارد ـ : في أُمهات كتب الحديث السنية ، ويكفي علىٰ ذلك اتفاق البخاري ومسلم ـ من أهل السنة ـ

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٤٩.

علىٰ روايته[١] . وقد أخرجه كثيرون بطرق لا طاقة علىٰ استقصائها[٢] .

ــ اعرف هذا الحديث، الا ان اختي تقول ان الكاتب ابو زهرت كان قد ناقشه وضعّفه .

ــ ان الحديث مما لا مجال لاحد ان يناقش في سنده، وان توهم الشيخ أبو زهرة فعدّه من روايات الكافي فحسب ![٣] .

والحديث كما ترين تخريجه لا يبعد القول بتواتره، وهو لا يحتمل التأويل ولا صرف دلالته الواضحة علىٰ وجوب معرفة الإمام الحق علىٰ كل مسلم ومسلمة، وإلّا فإنّ مصيره ينذر بنهاية مهولة .

ــ لكنه يقال ان الإمام هو الحاكم .

ــ ان من ادعىٰ ان المراد بالامام الذي من لا يعرفه سيموت ميتة جاهلية هو السلطان أو الحاكم، أو الملك، ونحو ذلك وان كان فاسقاً ظالماً !! فعليه ان يثبت بالدليل ان معرفة الظالم الفاسق من

---

(١) صحيح البخاري ٥ : ١٣ باب الفتن، صحيح مسلم ٦ : ٢١ ـ ٢٢ / ١٨٤٩ .

(٢) انظر مسند احمد ٢ : ٨٣، ٣ : ٤٤٦، ٤ : ٩٦، مسند أبي داود الطيالسي : ٢٥٩، المعجم الكبير للطبراني ١٠ : ٣٥٠ / ١٠٦٨٧، مستدرك الحاكم ١ : ٧٧، حلية الاولياء ٣ : ٢٢٤، الكنى والاسماء ٢ : ٣، سنن البيهقي ٨ : ١٥٦، ١٥٧، جامع الاصول ٤ : ٧٠، شرح صحيح مسلم للنووي ١٢ : ٤٤٠، تلخيص المستدرك للذهبي ١ : ٧٧ و ١٧٧، مجمع الزوائد للهيثمي ٥ : ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٣ و ٢٢٥ و ٣١٢، تفسير ابن كثير ١ : ٥١٧ .

(٣) الإمام الصادق / أبو زهرة : ١٩٤.

الدين أولاً، وان يبين للعقلاء الثمرة المترتبة علىٰ وجوب معرفة الظالم الفاسق بحيث يكون من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية.

وعلىٰ أية حال، فالحديث يدل علىٰ وجود امام حق في كل عصر وجيل، وهذا لا يتم إلّا مع القول بوجود الإمام المهدي الذي هو حق ومن ولد فاطمة عليها السلام كما تقدم.

ـ كيف تؤيد مقالتك هذه ؟

ـ ان مما يؤيدها : حديث : إنَّ الارض لا تخلو من قائم لله بحجة . وهذا الحديث قد احتج به اهل السنة أيضاً وأوردوه من طرق عدّة[1] . وقد رواه كميل بن زياد النخعي الجليل الثقة عن علي بن ابي طالب كما في نهج البلاغة، حيث قال ـ بعد كلام طويل ـ : اللّهم بلىٰ ! لا تخلو الارض من قائم لله بحجة .

كانت زوجة حامد ساكتة، قد ران جبل من الصمت عليها .. بينما كان حامد يستدرك الكلام :

---

(١) أورد هذا الحديث الاسكافي المعتزلي في المعيار والموازنة : ٨١ وابن قتيبة في عيون الاخبار : ٧، واليعقوبي في تاريخه ٢ : ٤٠٠، وابن عبد ربه في العقد الفريد ١ : ٢٦٥، وأبو طالب المكي في قوت القلوب في معاملة المحبوب ١ : ٢٢٧، والبيهقي في المحاسن والمساوىء : ٤٠، والخطيب في تاريخه ٦ : ٣٧٩ في ترجمة اسحاق النخعي، والخوارزمي الحنفي في المناقب : ١٣، والرازي في مفاتيح الغيب ٢ : ١٩٢ وابن أبي الحديد في شرح النهج كما سيأتي، وابن عبد البر في المختصر : ١٢ والتفتازاني في شرح المقاصد ٥ : ٢٤١ وابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦ : ٣٨٥ .

ـ وعدم خلو الارض من قائم لله بحجة لايتم مع فرض عدم ولادة الإمام المهدي ﷺ، وقد تنبه لهذا ابن أبي الحديد ..كما ذكره لي احد الاساتذة في هذا الميدان .. حتىٰ قال في شرح هذه العبارة : كي لا يخلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالىٰ علىٰ عباده، ومسيطر عليهم . وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الامامية، إلّا أن أصحابنا يحملونه علىٰ ان المراد به الأبدال[١] . بينما اضاف القول : وقد فهم ابن حجر العسقلاني منه انه اشارة إلىٰ مهدي أهل البيت ﷺ فقال ما نصه : وفي صلاة عيسىٰ ﷺ خلف رجل من هذه الأُمّة مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الاقوال : ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة[٢] .

ـ ؟!

ـ ومما يقرب دلالة العبارة في النهج علىٰ الإمام المهدي هو ما اتصل بها من كلام علي بن ابي طالب في نهج البلاغة . شرح محمد عبده : اللّهم بلىٰ ! لا تخلو الارض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، واما خائفاً مغموراً ؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته[٣]

---

(١) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ١٨ : ٣٥١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦ : ٣٨٥.

(٣) نهج البلاغة / شرح الشيخ محمد عبده ٤ : ٦٩١ / ٨٥ وبشرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٣٥١

سكت حامد برهة، نظر الى زوجته، ثم اضاف قائلا وهو يبتسم :

ــ واذا ما أضيف هذا إلىٰ حديث الثقلين، وحديث من مات، وحديث (الخلفاء اثنا عشر) . .

ــ حديث الخلفاء ..

ــ سأخبرك به . فانه اذا ما اضيف هذا كله، كان قد علم ان الإمام المهدي لو لم يكن مولوداً حقاً لوجب ان يكون من سبقه حيا إلىٰ قيام الساعة، ولكن لا أحد يقول من المسلمين بحياة امام غير المهدي عليه السلام ثاني عشر أهل البيت وهم من عينت الصحاح عددهم، وبينت كتب المناقب اسماءهم .

○ ○ ○

(١٧)

وفي الغد، جلسا معاً .. ذكّرها بمناقشاتهما .. الا انها شعرت بوحي من الضجر . . فالتمسته اغضاء الطرف عن هذه المحاججات حتى انشغل كل منهما في اعمالهما الجانبية .. بعدها انصرفا الى النوم . الا انها بادرته وفي اليوم الذي تلاه الى الشروع في البحث، غير ان جرس الباب كان قد منعاهما من تبادل وجهات النظر، وذلك حينما اعلن الجرس عن قدوم ضيوف . في اليوم الثالث .. واصلا حديثهما .. وذلك حينما كانا يتنزهان في احدى الحدائق العامة .. فقال لها :

ــ أما أحاديث : الخلفاء اثنا عشر : فقد اخرجه البخاري ومسلم .

ــ احقاً ما تقول ؟

ــ نعم ! فلقد أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمرة قال :

سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يقول : يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : إنّه قال : كلّهم من قريش[١] .

وفي صحيح مسلم : ولا يزال الدين قائماً حتىٰ تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش[٢] .

وفي مسند أحمد بسنده عن مسروق قال : كنا جلوساً عند عبدالله بن مسعود وهو يقرأ القرآن، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ! هل سألتم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كم يملك هذه الأُمّة من خليفة ؟ فقال عبدالله : ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال : نعم، ولقد سألنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال : اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل[٣] .

ـ اراك قد صرت فقيهاً متحدثاً .

ـ لقد اضطررت الى البحث والسؤال ..

ـ ما الذي اضطرك .

ـ أشياء كثيرة .

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ١٦٤كتاب الاحكام باب الاستخلاف، وأخرجه الصدوق عن جابر بن سمرة أيضاً في كمال الدين ١ : ٢٧٢ / ١٩، والخصال ٢ : ٤٦٩ و ٤٧٥ .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ١١٩كتاب الامارة، باب الناس تبع لقريش، أخرجه من تسعة طرق.

(٣) مسند أحمد ٥ : ٩٠ و٩٣ و٩٧ و ١٠٠ و١٠٦ و١٠٧، وأخرجه الصدوق عن ابن مسعود في كمال الدين ١ : ٢٧٠ / ١٦.

سألته :

ــ حقاً، هل يمكنك ان تخبرني ما الذي يستفاد من هذه الاحاديث؟

ــ ان ما يستفاد منها هو : إن عدد الأُمراء أو الخلفاء لايتجاوز الاثني عشر وكلّهم من قريش بلا خلاف . وهذا العدد منطبق مع ماتعتقده الشيعة بعدد الأئمة وهم كلّهم من قريش .

ــ ان التعبير بالامراء أو الخلفاء، لا ينطبق مع واقع الأئمة ؟

ــ الجواب واضح جداً ؛ لأنّ النبيﷺ إنما أراد بذلك الامرة والاستخلاف باستحقاق، وحاشاه أن يقصد بذلك معاوية ويزيد ومروان وأمثالهم الذين لعبوا ما شاءوا بمقدرات الأُمّة .

ــ واذن ؟ !

ــ بل المراد بالخليفة هو من يستمد سلطته من الشارع المقدس ، ولا ينافي ذلك ذهاب السلطنة منهم في واقعها الخارجي لتسلط الآخرين عليهم .

ولهذا قال البعض[1] : السبيل في هذا الحديث ومايتعقبه في هذا المعنىٰ أنه يحمل علىٰ المقسطين منهم، فإنّهم هم المستحقون

---

(١) جاء في (عون المعبود في شرح سنن أبي داود) ما نصه : «قال التوربشتي : . . . . عون المعبود ١١ : ٢٦٢ شرح الحديث ٤٢٥٩.

لاسم الخليفة علىٰ الحقيقة ولا يلزم أن يكونوا علىٰ الولاء، وان قدّر أنّهم علىٰ الولاء، فإنّ المراد منه المسمّون بها علىٰ المجاز، كذا في المرقاة . كما ان هؤلاء الاثني عشر معنيّون بالنص كما هو مقتضىٰ تشبيههم بنقباء بني إسرائيل، قال تعالىٰ : ولقد أخذ اللهُ ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا . فضلا عن ان هذه الأحاديث تفترض عدم خلو الزمان من الاثني عشر جميعاً ، وأنه لا بدّ من وجود أحدهم ما بقي الدين إلىٰ أن تقوم الساعة .

ـ كيف تثبت هذا ؟

ـ لقد أخرج مسلم في صحيحه وبنفس الباب ما هو صريح جداً بهذا ، إذ ورد فيه : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان . وهو كما ترين انه ينطبق تمام الانطباق علىٰ ما تقوله الشيعة بأن الإمام الثاني عشر (المهدي) حيّ كسائر الأحياء، وأنه لا بدّ من ظهوره في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً علىٰ وفق ما بشر به جده المصطفىٰ ﷺ . وغير خاف علىٰ أحد أن أهل السنة لم يتفقوا قطّ علىٰ تسمية الاثني عشر حتىٰ إنّ بعضهم اضطر إلىٰ إدخال يزيد بن معاوية ومروان وعبد الملك ونحوهم وصولاً إلىٰ عمر بن عبد العزيز

لأجل اكتمال نصاب الاثني عشر[1]!! وهو بلا أدنىٰ شك تفسير خاطيء غير منسجم مع نصّ الحديث . إذ يلزم منه خلو جميع العصور بعد عصر عمر بن عبد العزيز من الخليفة بينما المفروض أنّ الدين لايزال قائماً بوجودهم إلىٰ قيام الساعة .

ـ ؟!

ـ إنّ أحاديث الخلفاء اثنا عشر تبقىٰ بلا تفسير لو تخلّينا عن حملها علىٰ هذا المعنىٰ، لبداهة ان السلطنة الظاهرية قد تولّاها من قريش أضعاف العدد المنصوص عليه في هذه الأحاديث فضلاً عن انقراضهم أجمع وعدم النصّ علىٰ أحد منهم ـ أُمويين أو عباسيين ـ باتفاق المسلمين[2] .

---

(١) أُنظر اقوالهم في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١ : ١٣ ـ ١٥ من القسم الأول، وتفسير ابن كثير ٢ : ٣٤ عند تفسير الآية ١٢ من سورة المائدة، وشرح العقيدة الطحاوية ٢ : ٧٣٦، وشرح الحافظ ابن القيم على سنن أبي داود ١١ : ٢٦٣ شرح الحديث ٤٢٥٩، والحاوي للفتاوى ٢ : ٨٥ .

(٢) وبهذا الصدد يقول القندوزي الحنفي : (قال بعض المحققين : إنَّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول الله من حديثه هذا : الأئمة اثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لايمكن ان يُحْمَل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر، ولايمكن أن نحمله على الملوك الأُموية لزيادتهم على اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم ؛ لأن النبي ٦ قال :كلّهم من بني هاشم، في رواية عبد الملك، عن جابر، وإخفاء صوته في هذا القول يرجّح هذه الرواية : لأنّهم ←

ـ ولكن ليس عليك ان تغضي الطرف عن التسلسل التاريخي ؟

ـ لا يمكن .. فانه مما لا يخفىٰ على احد أنّ حديث : الخلفاء اثنا عشر . هو قد سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر وضبط في كتب الصحاح وغيرها قبل تكامل الواقع الامامي، فهو ليس انعكاساً لواقع وإنّما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لاينطق عن الهوىٰ ، فقال : الخلفاء بعدي اثنا عشر ليكون ذلك شاهداً ومصدقاً لهذا الواقع المبتدىء بأمير المؤمنين علي والمنتهي بالامام المهدي عليه السلام وهو التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث[1].

ـ هل تريد القول ان الحديث يعتبر من دلائل النبوّة في صدقها عن الاخبار بالمغيّبات

ـ نعم ! أمّا محاولات تطبيقه علىٰ من عرفوا بنفاقهم وجرائمهم وسفكهم للدماء من الأُمويين والعباسيين وغيرهم فهو يخالف الحديث مفهوماً ومنطوقاً علىٰ الرغم مما في ذلك من إساءة

← لايُحسنون خلافة بني هاشم . ولايمكن أن يحمل علىٰ الملوك العباسية ؛ لزيادتهم علىٰ العدد المذكور، ولقلة رعايتهم . . ويؤيد هذا المعنىٰ ـ أي : أن مراد النبي ٦ الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته ـ ويرجّحه حديث الثقلين) (ينابيع المودة ٣ : ١٠٥ باب ٧٧ في تحقيق حديث بعدي اثنا عشر خليفة) .

(١) بحث حول الإمام المهدي : الشهيد السيد الصدر .

بالغة إلىٰ مقام النبي ﷺ إذ يعني ذلك انه أخبر ببقاء الدين إلىٰ زمان عمر بن عبد العزيز مثلاً، لا إلىٰ ان تقوم الساعة !!

واذا ماكانت تنظر الى ساعتها،كان حامد يستطرد في حديثه :

ــ ولأجل متابعة الأدلة الأُخرىٰ التي توضح المراد بحديث : الخلفاء اثنا عشر، وتُعيِّن لنا شخص الإمام المهدي باسمه ونسبه وحسبه ؛ لا بدّ من التذكير قبل ذلك بأمرٍ هو في غاية الأهمية، بحيث لو تدّبره المنصف ، وأمعن النظر فيه لما بقيت هناك أدنىٰ غشاوة علىٰ عينيه، ولا كتفىٰ بالمقاييس السابقة التي تركها لنا النبي الاعظم ﷺ لمعرفة امام الزمان في كل عصر وجيل، ولم يطلب بعدها أي دليل آخر . وأعني بهذا الأمر تاريخنا الاسلامي الذي تعاقبت عليه منذ البدء أنظمة اتفقت علىٰ اقصاء عترة الرسول ﷺ عن السلطة اقصاءً تامّاً، فضلاً عما اقترفته تلك الانظمة ـ الأُموية والعباسية ـ من الأُمور الفادحة بحق الذرية الطاهرة . ومن البداهة ان يعزّ النص علىٰ الأئمة الاثني عشر في الكتب المؤلَّفة بوحيٍ من الحكّام وفي ظل تلك الانظمة التي اجتاحت آل الرسول ﷺ وأوشكت ان تبيد أولاد البتول عليها السلام، حين ضرّجت رمضاء كربلاء بدم خامس أصحاب الكساء صلوات الله عليه وسلم.

ــ كيف يمكنك ان تدعي كل ذلك ؟!

ـ فمن غير المعقول ان يدين الظالم نفسه فيسمح برواية كون المهدي هو التاسع من أولاد الحسين عليه السلام، أو أن المقصود بالخلفاء الاثني عشر هم أئمة الشيعة الاثني عشر، اللّهم إلّا ما خرج من تلك الروايات عن رقابته ، ورُوي بعيداً عن مسامعه . وعلىٰ الرغم من هذا الحصار فان ما ظهر منها انتشر كضوء النهار .

لا يصحّ في الأفهام شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلىٰ دليلِ

وهذا مما لاينبغي اغفاله . ولقد صرح باسماء الائمة تصريحاً فعلياً .

ـ في كتبنا اقصد كتب اهل السنة .

ـ اجل !

ـ هل تذكر منها .

ـ سآتيك بها لاحقاً .

وبعد يومين جاءها حامد وهو يقول لها :

ـ هل لديك متسع كيما نتباحث ..

اجابته بالاثبات . فماكان منه الا ان عرض عليها قائمة باسماء المصادر وروى لها من اخبار كتب اهل السنة ـ مما يدعم دعاواه هذه ـ ما جعلها تذهل[1] .

---

(١) ١ ـ في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : نقلاً عن كتاب المناقب للخوارزمي الحنفي بسنده عن الإمام الرضا ٧، عن آبائه :، عن النبي ٦ في حديث جاء فيه التصريح باسماء ←

← الأئمة الاثني عشر واحداً بعد واحد ابتداءً بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وانتهاءً بالامام المهدي محمد بن الحسن العسكري : قال القندوزي بعد روايته : «وأخرجه الحمويني» ينابيع المودة ٣: ١٦١ ب ٩٣.) أي : صاحب فرائد السمطين الجويني الحمويني الشافعي .
٢ ـ وفي الينابيع أيضاً تحت عنوان : (في بيان الأئمة الاثني عشر باسمائهم) . أورد عن فرائد السمطين بسنده عن ابن عباس حديثين عن النبيﷺ في ذكر الأئمة باسمائهم، وأولهم علي وآخرهم المهدي : (ينابيع المودة ٣ : ٩٩)، ونفس الشيء تجده في باب (في ذكر خليفة النبيﷺ مع أوصيائه :) (ينابيع المودة ٣: ٢١٢ باب ٩٣) .
٣ ـ وفيه أيضاً، عن جابر بن عبدالله الانصاري، عن النبيﷺ : «يا جابر إنَّ أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي، أوّلهم علي ثم الحسن ، ثم الحسين...» ثم ذكر الأئمة التسعة من أولاد الحسين باسمائهم ابتداءً بعلي بن الحسين وانتهاءً بالامام المهدي بن الحسن العسكري : (ينابيع المودة ٣: ١٧٠ باب ٩٤) .
٤ ـ ما في كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر للخزاز ـ من أعلام القرن الرابع الهجري ـ : فقد خصص كتابه كلّه في الأحاديث الواردة في النص على الأئمة الاثني عشر باسمائهم، ولا مجال لنقل رواياته، ولكن لا بأس بنقل ما جاء في مقدمة الكتاب، قال : «وابتدىء بذكر الروايات في النصوص عليهم : من جهة أصحاب رسول اللهﷺ المعروفين مثل : عبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وجابر بن سمرة، وجابر ابن عبدالله، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وأبي أُمامة ، وواثلة ابن الأسقع ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن أُسيد ، وعمران بن الحصين ، وسعد بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي قتادة الأنصاري ، وعلي بن أبي طالب ، وابنيه: الحسن والحسين عليهما السلام . ومن النساء : أُم سلمة ، وعائشة ، وفاطمة بنت رسول اللهﷺ . ثم أعقبه بذكر الأخبار التي وردت عن الأئمة صلوات الله عليهم ما يوافق حديث الصحابة في النصوص على الأئمة ونص كل واحد منهم على الذي بعده: ليعلموا ـ إن انصفوا ـ ويدينوا به ، ولايكونوا كما قال الله سبحانه : (فما اختلفوا إلّا من بعد ←

(١٨)

دق جرس الهاتف، اجاب حامد :

نعم ... متى رقد في المستشفى . .. اووه .. كم انا آسف له .. سأذهب لعيادته .. اقول لك لم اعلم الخبر الا منك ..

لم يكن المتكلم الا احد اصدقائه . اعلمه بان سالم قد دخل المستشفى لاجراء عملية جراحية .. حتى تعين عليه الذهاب لعيادته . آلمه الخبر .. لم يكن يتمنى لصاحبه ما يحصل له الان ..

وعندما كان يقف امام سريره في المستشفى ... ابتسم سالم، وقال له :

ـ أراك متحسناً بعض الشيء .

ـ ولله الحمد .. هذا من بركاتكم .

ـ اي بركات هذه .. انها من بركات صاحب الزمان .

← ماجاءهم العلم بغيا بينهم) (كفاية الأثر / الخزاز : ٨ ـ ٩ من المقدمة والآية من سورة الجاثية ٤٥ : ١٧) .

ثم صمتا لحظات .. عاد بعدها سالم الى القول :

ـ اووه تذكرت .. هل تركت البحث عن حلال المشاكل ..

ـ تقصد ان مشكلتي قد انتفت ولو حتى على صعيدها الحالي .. فصرت اعلن عن عدم حاجتي في بحث الموضوعات المتعلقة بالامام المهدي . لاني تسلمت طلبتي منه وانشغلت بها عن تقصي الحقائق المرتبطة به .

ـ لا يا هذا .

ـ اني الان ابحث في مواضيع شتى .. اقول هذا، لان كل موضوع صار يفتح عليّ ابحاثاً اخرى .. ولكنك تعرف مشاغل الحياة والدراسة والعمل التجاري كلها تحيل بينك وبين الوصول حقيقة الى مرادك العلمي والثقافي .

٭ ٭ ٭

(١٩)

وفي ظهيرة يوم من الايام توجه حامد وزوجته لتناول طعام الغداء في منزل ابيها .. التقى بالاخير وبامها . حياهما .. وبعد حديث قصير، اجتمعوا حول مائدة الطعام .. وبعد تناول الشاي انفض الاب الى قضاء بعض اعماله العالقة .. بينما انتهزت اخت زوجته ليلى غياب الاب فرصة كيما تجاذب حامد الحديث .. لم تكن قد تزوجت بعد، مع ان زوجة حامد كانت تصغرها، فانها قد وجدت طريقها الى الزواج ذلك ان ابا حامد كان قد اختارها لولده، لانها تناسبه سناً وحداثة .. وهذا ما جعلها توظف عمرها للبحث والدراسة .. حتى صارت استاذة في الجامعة، فجمعت لنفسها في بيت ابيها مكتبة لا يقل بأسها .. اقتنصت لها كل ما يمكنها من الكتب التي تحدث باسم مذهبها السنّي . فقالت :

ــ اراك يا اخ حامد قد شغلت اختنا بموضوعات صعب عليكما ولوحدكما ان تطرقا وجه القرار فيها .

ابتسم حامد، (وقال في نفسه : فرصة جميلة، ان اكتنه سر معاني التحقيق في اعلى مراتبه .. لا سيما هي استاذة جامعية .. الا اني لا احمل من المعلومات ما يمكّنني من مناطحة قدراتها العلمية . ولكن .. هه، فليكن ما يكون !) فقال لها :

ــ لا، فالامر ليس كذلك .. فانت تعلمين ان عظائم الامور ليست حكراً على فئة دون اخرى .. الا ان الثبات عليها دون التحقيق هو اعظم من التخلي عن الابحار في عبابها .

ــ هه، ليس كما يخيل للبعض .

ــ اذن، فهذا هو نظرك .

ــ اسألك سؤالا واجبني عليه بوضوح : هل ان المهدي المنتظر يعد من أولاد الحسين، وأنه التاسع من ولده

!جل، صحيح .

ــ إنّ هذه النتيجة لا بدّ من تأكيدها بالنصوص التي احتج بها أعلام أهل السنة ؟

ــ بكل تأكيد .

ــ واذن، فهات ما عندك،كيما ارى، واراجع ما تذكره لي من مصادر، لانه لدي من الكتب ما يمكن ان تُذهِب بلُبّ كل حاذق ونبيه !

ــ لا ضير في ذلك .. اما ما يمكنني ان اذكره هنا

في هذه العجالة . .

قاطعته قائلة :

ـ طرأت عليّ فكرة اخرى .. لنترك الحديث الى ما بعد الغد.. كيما تجمع لنا ما يمكنك جمعه .. وهذا سيتيح لك وقتاً كافياً للم شعث كل رواية وخبر . اليس كذلك ؟ !

ـ حسناً، هو كما ترين .

۞ ۞ ۞

(٢٠)

وجاء اليوم الذي ضربته اخت الزوجة موعداً . فقالت ليلى :

ـ ها نحن قد اجتمعنا ولدينا من الحضور ما يكفينا كشهود ومراقبين .

كان المجلس في بيت ابي الزوجة .. وكان الوقت ليلا، وكان المتحلقين حولهما قد اصيبوا بكآبة لعدم اقتناعهم باهمية الموضوع خلا سميرة زوجة حامد، التي كانت تنظر اليه نظرات غير مطمئنة .. خوف ان يفشل في الجواب واقناع اختها ليلى . وبعد جر وبحث دام حوالي الساعتين .. افضيا في الحديث الى موضوعهما الاوّلي . فقالت له :

ـ وها انت قد ابدعت في مختلف اجاباتك . . الا ان هذا لا يعني انت محق في كل ما اتيتني به .. لان للتأويل شأن ورفعة .. وما اريدك ان تخبرني به هو جملة من هذه الاحاديث التي تثبت فيها ان المهدي المنتظر هو من ولد الحسين بن علي . بل هو التاسع

منهم .

قالت امها :

ــ وهل ثمة اهمية خاصة في هذا الموضوع .

ــ كل الاهمية، فلو ثبت .. فانه يثبت ان المذهب الشيعي احق بالاتباع من المذهب السنّي .

ــ اووه حقاً، ان هذه المواضيع حقاً مضجرة .

فنهضت وانصرفت الى المطبخ . بينما التفت اليها حامد وهو يقول :

ــ اما جملة الاحاديث، فانا اكتفي بما استطعت ان اجمعه في هذه الايام. فثمة حديث مروي عن سلمان الفارسي، وأبي سعيد الخدري، وأبي أيوب الانصاري، وابن عباس، وعلي الهلالي ـ بالفاظ مختلفة ـ عن رسول الله ﷺ انه قال : يا فاطمة إنّا أهل بيت اعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين ولايدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت ـ إلىٰ قوله ﷺ ـ ومنا مهدي الأُمّة الذي يصلي عيسىٰ خلفه، ثم ضرب علىٰ منكب الحسين عليه السلام فقال : من هذا مهدي الأُمّة .

ــ واين ورد .. بل من اخرجه ؟

ــ أخرجه الدارقطني كما في البيان في أخبار صاحب الزمان للكنجي الشافعي : ٥٠١ ـ ٥٠٢ باب ٩، والفصول المهمة / لابن

الصباغ المالكي: ٢٩٥ ـ ٢٩٦ فصل / ١٢٠، وفضائل الصحابة للسمعاني على ما في ينابيع المودة: ٤٩ باب ٩٤، وقد صرح في معجم أحاديث الإمام المهدي ١٧: ١٤٥ / ٧٧ بكثرة طرق هذا الحديث وانها ربما بلغت نحو مجلد.

تناولت منه القصاصة التي تضمنت هذه المعلومات لمراجعتها لاحقاً. بينما عاد حامد يسرد خبراً اخر، فقال:

وفي عقد الدرر للمقدسي الشافعي: ١٣٢ باب ٤ فصل ٢: روى خبراً عن علي بن ابي طالب، جاء فيه: إنّ المهدي من ولد الحسين، ألا فمن تولى غيره لعنه الله . وقد أورده المقدسي محتجاً به فقال: ونختم هذا الفصل بشيء من كلام الإمام علي هازم الأبطال فيما تضمنه من الأهوال الشديدة والأُمور الصعاب وخروج الإمام المهدي مفرج الكروب، ومفرق الأحزاب. ثم ذكر الحديث .

ـ كانت ليلى تنصت اليه وتستمع، بينما جعل يتابع حديثه:

وفي عقد الدرر أيضاً ١٢٦ باب ٤ فصل ٢: عن جابر بن يزيد، عن محمد بن علي بن الحسين بن علي في حديث طويل جاء فيه: والمهدي يا جابر رجل من ولد الحسين. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١: ٢٨١ ـ ٢٨٢ شرح الخطبة رقم / ١٦. وذلك في شرح قول الإمام علي عليه السلام: وبنا تُختم لا بكم . قال: اشارة الى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، وأكثر المحدثين على أنه

من ولد فاطمة عليها السلام ، وأصحابنا المعتزلة لاينكرونه ، وقد صرحوا بذكره في كتبهم ، واعترف به شيوخهم ـ إلىٰ أن قال ـ وروىٰ قاضي القضاة رحمه الله تعالىٰ عن كافي الكفاة أبي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله باسناد متصل بعلي عليه السلام، إنّه ذكر المهدي وقال: إنّه من ولد الحسين عليه السلام ، وذكر حِليتَه فقال : رجل أجلي الجبين، اقنىٰ الأنف، ضخم البطن، أزيل الفخذين، أبلج الثنايا، بفخذه اليمنىٰ شامة . وذكر هذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث ـ انتهىٰ .

ـ طيب .. هات لي المزيد .

فقال حامد :

ـ وفي ينابيع المودة ٣ : ١٦٨ باب ٩٤ عن مناقب الخوارزمي: بسنده عن الحسين بن علي بن ابي طالب، قال : دخلت علىٰ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فاجلسني علىٰ فخذه وقال لي : إنّ الله اختار من صلبك ياحسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، وكلهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء . وفي الينابيع ٣ : ١٦٧ باب ٩٤ . عن مناقب الخوارزمي أيضاً، بسنده عن سلمان قال : دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ الحسين بن علي علىٰ فخذه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول : أنت سيد ابن سيد، أخو سيد، أنت إمام بن إمام أخو إمام، أنت حجة أبو حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم .

سكت حامد ثم استدرك القول

وفي الينابيع ٣: ١٦٢ باب ٩٤، ورواه في ٢ : ٨٣ في المودة العاشرة، تحت عنوان (في عدد الأئمة وان المهدي منهم). عن فرائد السمطين للحمويني الجويني الشافعي : بسنده عن الأصبغ بن نباته، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون .

وانفض الاجتماع من دون الاعلان عن ايما نتيجة تذكر .

✪ ✪ ✪

(٢١)

وفي جلسة اخرى، ومن دون ان تعلن ليلى او سميرة عن صحة ما ادلى به حامد .. في حين كانت سميرة تبعد عن صلب الموضوع. ولا تفكر الا بان زوجها قد حاز قصب السبق، ذلك انه اضطر اختها صاحبة الشهادات العالية، والاستاذة في الجامعة الى ان تناظره وتدعوه الى عقد الجلسات المتوالية .. وما كان حامد الا طالب اعدادية . . بينما عادت بافكارها ثانية الى حقيقة الموضوع، وارادت حقاً ان تفهم مع من يكون الحق، ولم تكن لتهتم في من يكون زوجها اشيعي هو ام سني .. لانها ارادت ان تقتنع حقاً كيف يمكنها، اوكيف ينبغي لها ان تتعبد، وعلى اي طريق يمكنها ان تصلي وبمن تعتد، وبمن لا تعتد من ائمة التاريخ والزمان . في حين جعل كلام ليلى ينتزعها من ومضات تسريحاتها الفكرية ، فصحت على حديث اختها ليلى، وهي تقول :

ــ هل يمكنك يا اخ حامد، أن تثبت لنا أن المهدي المنتظر

هو نفس من تدعيه الشيعة اماماً لها، اقصد المدعو محمد بن الحسن العسكري، أي الإمام الثاني عشر، وهو الإمام الغائب بالنسبة لها. وهو الإمام الحي الذي يرزق ؟

فقال حامد :

ـ سوف أذكر بعض النصوص التي لا تقبل تأويلاً لدلالتها علىٰ شخص الإمام المهدي والأخبار بغيبته قبل وقوعها، وهي : ما رواه المقدسي الشافعي في عقد الدرر ۱۸۸ باب ٦، عن الباقر : يكون هذا الأمر في أصغرنا سناً . وفيه اشارة إلىٰ الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري . وفي ينابيع المودة ۳ : ١٦٦ باب ٩٤ : عن علي بن موسى الرضا : الخلف الصالح من ولد الحسن بن العسكري هو صاحب الزمان وهو المهدي سلام الله عليهم . وقد صرّح القندوزي في الينابيع بوجود هذا الحديث في كتاب الأربعين لأبي نعيم الاصبهاني . وفي ينابيع المودة كذلك ۳ : ١١٥ ـ ١١٦ باب ۸۰، مصرحاً بنقله عن فرائد السمطين للحمويني الشافعي، عنه أيضاً حيث قال : إن الإمام من بعدي ابني محمد، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم وهو المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأمّا متىٰ يقوم ؟ فإخبار عن الوقت، لقد حدثني أبي، عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال : مثله كمثل الساعة

لاتأتيكم إلّا بغتة . وفي عقد الدرر للمقدسي الشافعي ١٧٨ باب / ٥.
عن الحسين بن علي قال: لصاحب هذا الامر ـ يعني الإمام المهدي
غيبتان ، احداهما تطول، حتىٰ يقول بعضهم : مات، وبعضهم :
قُتل ، وبعضهم : ذهب...

كانت ليلى صامتة لا تريم .. بينما جعلت سميرة تتطلع اليها
وهي لا تلوي على شيء سوى متابعة فصول هذه المجادلات . فقال
حامد متابعاً :

ـ وأكتفي بهذا القدر من الاحاديث مع التنبيه علىٰ أمور هي
ان نفي الرؤية كناية عن الغيبة، والنهي عن التسمية لأجل الخوف
عليه، مع اختصاص النفي والنهي بزمان الغيبة، وتوجهه
للمخاطبين بالكلام كلهم أو بعضهم دون غيرهم، وإلّا فقد رآه
المئات من أصحاب أبيه الإمام الحسن العسكري في حياته وبإذن
منه،كما رآه غيرهم بعد وفاة أبيه .

ـ ؟!

ـ كما ان ما ذكرته من النصوص، لا يمثل في الواقع إلّا جزءً
يسيراً من مجموع النصوص الواردة في هذا الشأن، ولم يخضع
انتقاؤها لاعتبارات علمية، بمعنىٰ : إني لم أبحث عن الأسانيد
الصحيحة لترسيخ العقيدة إذ المفروض رسوخها قبل ذلك، وانما
كوسيلة لاثبات المدعىٰ، وإلّا ..

ـ والا فماذا ؟

قالت ليلى، فاستدرك حامد كلامه، وهو يقول :

ـ والا، فنحن لسنا بحاجة إلىٰ الأسانيد اصلاً،

ـ كيف لسنا بحاجة الى الاسانيد، وهل تقوم الاخبار بدونها ؟

ـ علىٰ مهلك .. وذلك لسببين : أحدهما : توفر الدليل القاطع علىٰ استمرار وجود الإمام المهدي إلىٰ آخر الزمان، ومع هذا فأي حاجة تبقىٰ للأسانيد ؟ . .

قاطعته :

ـ هذا يحتاج الى جلسات مستقبلية اخرى، ان شاءت الاقدار، واتاحت الفرص . . اقصد هذا الموضوع هو بحد ذاته اساس الفصل .

شعر حامد بان ليلى بدأت تعلن ومن خلال كلماتها تلك عن انسحابها عن مواصلة مثل هذه الجلسات، او على اقل الفرضيات عن انصرافها ولو على اقل التقادير في هذا الوقت الحاضر وبالذات .. فقال:

ـ أما الآخر : فهو توفر الدليل علىٰ أنّ الأحاديث المروية في المهدي قد أُخِذت مباشرة من الكتب المؤلفة قبل ولادته ﷺ بعشرات السنين، وقد شهد العلماء بذلك، وعليه فالضعف الموجود في سند بعضها علىٰ الاصطلاح لا يقدح بصحتها، لكون الاخبار

فيها اعجازاً تحقق بعد حين، وهو آية صدقها .

ــ اني لأحير بما تقول ؟

ــ ماذا تعنين ؟

ــ انت تحاكم في الميراث التاريخي ..كله ؟ !

ــ بيد ان أحاديث المهدي المسندة إلىٰ النبي ﷺ كلها تعبر عن حقيقة واحدة اتفق عشرات الرواة علىٰ الاخبار عنها، ولا فرق في اثبات تلك الحقيقة بين ماكان سنده صحيحاً أو ضعيفاً، بحيث لو أخبر الثقة بموت زيد، ثم أخبر غيره بموته أيضاً، لا نحاججه فيما يقول . ولو جاء ثالث، ورابع، وخامسٌ... وعاشرٌ فسوف لا نجادلهم . وإنْ لم نعرف درجة صدقهم، بل سيكون كل خبر من هذه الأخبار قرينة احتمالية تضاف إلىٰ خبر الصادق حتىٰ يصبح علىٰ درجة من اليقين كلما تراكمت القرائن بحيث يتضائل احتمال نقيضها حتىٰ يصل إلىٰ درجة الصفر .

ــ اني لاراك متأثراً بمنطق الرياضيات اكثر من منطق البحث التأريخي والعلمي .

ــ إنّ منطق قواعد حساب الاحتمال وقوانينه الرياضية في تحصيل اليقين الموضوعي من تراكم الأخبار علىٰ محور واحد، يستحيل معه أن لا يكون ذلك المحور صادقاً ومنطبقاً مع الواقع.

ــ افهم ماذا تعني، ولكنه يعوزك ..

سكتت وأخلدت الى الصمت . . بينما لم يعر حامد ذلك اهمية، وذلك حينما واصل حديثه، وهو يقول :

ـ ومن هنا يعلم أن إثارة الشكوك حول أحاديث المهدي وسلب دلالتها علىٰ شخصه العظيم،كما يزعمه البعض علىٰ علم الحديث الشريف، متخطياً في ذلك جميع الاعتبارات العلمية، وبخاصة بعد ثبوت انطباقها عليه، ليس إلا التعبير عن الضعف، مع التستر بمزاعم التصحيح كما تخبرك محاولات تحويل العقائد إلىٰ حرفة صحفية تنطلق من اجواء الغرب، وتستظل بفيئه، وتحركها أصابعه، وتموّلها عملاؤه، غافلة عن أنّ العقيدة ليست قشّة في مهب الريح . وتاركة ما رسمه النبيﷺ وأهل بيتهﷺ من المسار الصحيح لمعرفة من هو الإمام المهدي باسمه ونسبه الكريم .

۞ ۞ ۞

☜ (٢٢)

سأل حامد استاذه :

ـ هل انّا بحاجة إلىٰ ما يبين ولادة الإمام المهدي ويثبتها تاريخياً بعد أن عرفنا اتفاق كلمة المسلمين علىٰ أنّه من أهل البيت، وأنّ ظهوره يكون في آخر الزمان، ونسبة، وهي أنّه لامجال للشك في كون المهدي الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وانه حسيني الأب حسني الأُم من جهة فاطمة بنت الحسن السبط أُم الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام .

ـ ان هذا كله لا يعني الا ان البحث عن ولادة الإمام المهدي وبيان ثبوتها شرعاً، هو بحث غير طبيعي، لولا وجود بعض الملابسات التاريخية حول ولادته عليه السلام ، كادعاء عمّه جعفر الكذّاب بعدم وجود خلفٍ لأخيه العسكري عليه السلام، وقيام السلطة الحاكمة

بتسليم تركة الإمام العسكري بعد وفاته لأخيه جعفر الكذاب أخذاً بادعائه الباطل فيما رواه علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية انفسهم ولم يروه غيرهم قط إلاّ من طرقهم، وفي هذا وحده كفاية للمنصف المتدبر، إذ كيف يروي الشيعة أمراً ويعتقدون بخلافه، لو لم يثبت لهم زيف هذا الأمر وبطلانه ؟!

ـ وهل يمكن ان تمثّل لي على ذلك بما يستحق الدعم لهذا الرأي ؟

ـ نعم، وذلك من قبيل رواياتهم انكار معاوية منزلة عليعليه السلام من رسول اللهصلى الله عليه وآله . فانكار معاوية ثابتٌ ، ومنزلة عليعليه السلام ثابتة وثبات كلاهما عند الشيعة لا يخالجه شك ؛ لأنه علىٰ نحو اليقين فكذلك انكار جعفر الكذاب ثابت عندهم ، وتصرف السلطة علىٰ وفق ادعائه ثابت أيضاً، وفي مقابل هذا ثبوت ولادة المهدي بالاقرار والعيان، وما بعدهما من برهان .

صار جرس المدرسة يعلن عن ضرباته ايذاناً ببدء حصة جديدة من الدرس، بينما بدأ الطلبة يتراجعون الى فصولهم، منسحبون يتركون وراءهم ضجة جعلت اصواتهم المدّخرة تفتعلها مرة واحدة ،كيما تفرغها دفعة عزلاء في فضاء المدرسة، لتتوزع بعد ذلك مبثوثة في جنبات ممراتها، تاركة اياها تتبعثر مترامية في زوايا أروقتها . لذلك كله كان الاستاذ يحاول جاهداً تدارك ما ينبغي

ان يحدث به من كلام، وتخليصه قدر ما يسعه، وجهد ما يمكنه، لئلا يبقى منه بقية، تشعر بضرورة استنزاف الوقت في زمان اخر فيصير للحديث صلة يتبع ما سبقه، وهذا ربما اسهم في انفراط حبات العقد، لانه ليس في كل الحالات يمكن الاستفادة من سياسة تجزئة الحديث على صيغة حلقات تفيد تتابع مواد الموضوعات المطروحة والمعروضة على مائدة البحث والتحقيق.. ذلك انه كان يشعر بتلميذه قد احتمل ما لا يطيقه من طائل .. وما عليه الا ان يزقه ويرفده بما لا يمكن لغيره ان يدسه في صدره، فقال بايجاز مقتضب :

ـ ولأجل هذا نقول: إنَّ ولادة أي انسان في هذا الوجود تثبت باقرار أبيه ، وشهادة القابلة ، وهي السيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الإمام الجواد وأُخت الإمام الهادي وعمة الإمام العسكري عليهم السلام . وهي التي تولّت أمر نرجس أُم الإمام المهدي عليه السلام في ساعة الولادة، وصرحت بمشاهدة الإمام الحجة بعد مولده، وقد ساعدتها بعض النسوة في عملية الولادة، منهن جارية أبي علي الخيزراني التي أهداها إلىٰ الإمام العسكري عليه السلام فيما صرح بذلك الثقة محمد بن يحيىٰ ومارية ونسيم خادمة الإمام العسكري .

ولما قد ضاق الوقت اكثر فاكثر حينما صار الاساتذة هم الاخرون يتحركون باتجاه تلك الصفوف التي غدت مكتظة

بطلبتها .. راح الاستاذ يوجز عباراته وعلى وجه من الدقة والسرعة وطرفه لمّا يزال يرقب امواج الطلبة التي كانت قد اتجهت الى مقاعدها زرافات زرافات، وكأنها ما تزال تفعل وهي التي قد غدت مجتمعة في الفصول، وكأنما جعلت لحاظه ما تفتأ تشعر انها تموج بحركاتها كموج كلماته التي جعل يوجهها الى تلميذه وهو يحس لاول مرة انه يبلغ رسالات ربه على اجمل وجهها وبأعطر محياها:

ـ ولا يخفىٰ ان ولادات المسلمين لا يطّلع عليها غير النساء القوابل، ومن ينكر هذا فعليه ان يثبت لنا مشاهدة غيرهن لأُمّه في مولده! هذا وقد أجرىٰ الإمام العسكري ﷺ السُنّة الشّريفة بعد ولادة المهدي ﷺ فعقَّ عنه بعقيقة كما يفعل الملتزمون بالسُنّة، حينما يرزقهم الله من فضله مولوداً. وانا اقول: وان لم يره أحد قط غيرهما أعني ابوه وعمته السيدة حكيمة، فان هذه الشهادة ثابتة لثقتهما وعدلهما.. فكيف لو شهد المئات برؤيته ، واعترف المؤرخون بولادته وصرح علماء الانساب بنسبه ، وظهر علىٰ يديه ما عرفه المقربون اليه ، وصدرت منه وصايا وتعليمات، ونصائح وإرشادات، ورسائل وتوجيهات ، وأدعية وصلوات ، وأقوال مشهورة ، وكلمات مأثورة وكان وكلاؤه معروفين ، وسفراؤه معلومين ، وانصاره في كل عصر وجيل بالملايين .

ولعمري، هل يريد من استغل تلك الملابسات، وأنكر ولادة الإمام المهدي أكثر من هذا الاثبات ولادته، أم تراه يقول في لسان الحال للمهدي، كيما يطمئن الى ظهوره، او يؤمن بولادته وأنه حيٌّ يرزق: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ! قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً.

✪ ✪ ✪

(٢٣)

كان يجلس الى جانبه، كان يمعن فيه كيف رقد في فراشه عقب خروجه من المستشفى. كانت العملية الجراحية ناجعة .. هكذا اكد الطبيب لصاحبه سالم الذي تشافى وجعل يقضي اجازته المرضية في المنزل .. قال له حامد :

ـ اني لا اصدق انك دخلت المستشفى لاجراء عملية، انه لا يليق بك ان تجلس في فراشك هكذا ..

ـ قد جلس في فراش المرض من هو اشرف واعظم مني .. الا وهو رسول الله . وجلس غيره من ولده من الائمة المعصومين كذلك مجلسه . وانه امر قد قضى الله به علينا .. انما تقضي هذه الحياة الدنيا .

ـ اراك ثائراً .

ـ لا .. ليس الى هذا الحد .. ان ما ازعجني في رقدتي هذه في المستشفى هو ضعف العناية الصحية هناك .. فاذا لم ترفدهم

بالرشاوى لم يعنوا بك .. هه، متى تجد احداً يعمل لاجل رضى ربه .. الا ما ندر..

ـ واني لارى لسان حالك .. متى يظهر صاحب الزمان ..

ـ بالضبط .. لان هذا ابسط الحقائق والمشاهدات .

ـ بل قل الملموسات .. اقول .. تذكرت .. كلامك هذا جعلني استحضر مسألة مهمة حول صاحب الزمان وهي هل يمكننا الاتصال به؟

اجابه سريعاً :

ـ ولِمَ لا .. الا ان مثل هذه الاتصالات لا ينالها الا ذو حظ عظيم .. اما انا وانت فمن اين لنا بمثل هذه الحظوظ .

ـ اخبرني هل شهد رؤية الإمام المهدي احد ؟

ـ نعم شهدوا وليس شهد .. لانهم كثرٌ ! ففي حياة أبيه العسكري عليه السلام وبإذن منه، كان قد شهدها عدد من أصحاب العسكري وأبيه الهادي عليه السلام ،كما شهد آخرون منهم ومن غيرهم برؤية الإمام المهدي بعد وفاة أبيه العسكري عليه السلام وذلك في غيبته الصغرىٰ التي ابتدأت من سنة ٢٦٠ هإلىٰ سنة ٣٢٩ ه.

ـ اذن فهم اعداد متألفة .

ـ اجل ! فلكثرة من شهد علىٰ نفسه بذلك، سوف أقتصر لك علىٰ ما ذكره المشايخ المتقدمون وهم :الكليني المتوفى سنة ٣٢٩

ه الذي أدرك الغيبة الصغرىٰ بتمامها تقريبا ، والصدوق المتوفى عام ٣٨١ ه‍. وقد أدرك من الغيبة الصغرىٰ أكثر من عشرين عاماً، والشيخ المفيد المتوفى في العام ٤١٣ ه‍ والشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ه‍

ـ هل اجد لديك من رواياتهم الشيء اليسير ؟ اقصد هنا في المنزل؟

ـ أذكر لك اليسير جداً من رواياتهم الخاصة في تسمية من رآه‌ﷺ ثم اكتفي ببيان أسماء بعض المشاهدين للامام المهدي ..

بينما هو كذلك، اذ نادى سالم، على اخته الصغرى، وامرها ان تأتيه باحد الكتب .. تناوله وجعل يقرأ على صاحبه الذي صار يتلقى حديثه كما تتلقى الارض اليابسة مياه الامطار التي حبست عنها زمناً مديداً :

ـ أما ما رواه الكليني في أُصول الكافي بسند صحيح[1] قال : اجتمعت أنا والشّيخ أبو عمرو ﷺ عند أحمد بن اسحاق فغمزني أحمد بن اسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له : يا أبا عمرو إني أُريد أن اسألك عن شيء وما أنا بشاك فيما أُريد أن اسألك عنه ـ إلىٰ أن قال بعد إطراء العمري وتوثيقه علىٰ لسان الأئمة‌ﷺ ـ: فَخَرَّ أبو عمرو ساجداً وبكىٰ ثم قال : سل حاجتك. فقلتُ له : أنت رأيت

---

(١) : عن محمد بن عبدالله ومحمد بن يحيىٰ جميعاً؛ عن عبدالله بن جعفر الحميري .

الخلف من بعد أبي محمدﷺ ؟ فقال : إي والله ورقبته مثل ذا ـ وأومأ بيده ـ فقلتُ له : فبقيت واحدة، فقال لي : هات ، فقلتُ: فالاسم ؟ قال : محرم عليكم أنْ تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أُحلل ولا أُحرم، ولكن عنهﷺ، فإن الأمرَ عند السلطان : أن أبا محمد مضىٰ ولم يخلف ولداً وقَسَّم ميراثه وأخذه من لاحقّ له فيه، وهو ذا عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، واذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك[1] .

ــ هذه كانت في زمان التقية .. وعدم التنويه بولادته او اعلانها خوف بطش السلطات .

ــ اجل ! وما رواه في الكافي بسند صحيح[2] : قال : قلتُ للعمري : قد مضىٰ أبو محمد ؟ فقال لي : قد مضىٰ ولكن خلف فيكم من رقبته مثل هذه، واشار بيده[3] .

كان حامد يسمع وعيناه تخضل بالدمع من فرط سعادته، فقال سالم وهو يتبع كلامه بعبارات وجيزة اخرى :

ــ وروى الصدوق كذلك ... اسمع هذا الخبر، اجل وروى

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٣٢٩ـ ٣٣٠ / ١ باب ٧٧، ورواه الصدوق بسند صحيح عن أبيه ومحمد ابن الحسن؛ عن عبدالله بن جعفر الحميري،كمال الدين ٢ : ٤٤١ / ١٤ باب ٤٣ .

(٢) عن علي بن محمد وهو ابن بندار الثقة، عن مهران القلانسي الثقة .

(٣) أُصول الكافي ١ : ٣٢٩ / ٤ ب ٧٦، و ١ : ٣٣١ / ٤ باب ٧٧ .

الصدوق بسند صحيح عن أجلاء المشايخ قال : حدثنا محمد بن الحسن ﷺ قال : حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري قال : قلتُ لمحمد بن عثمان العمري ﷺ : اني اسألك سؤال ابراهيم ربه جلّ جلاله حين قال : رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحْيِي المَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي[1]، فأخبرني عن صاحب هذا الأمر هل رأيته ؟ قال : نعم، وله رقبه مثل ذي واشار بيده إلىٰ عنقه[2] .

شعر حامد بأن عليه ان يغادر منزل صاحبه لشراء بعض الحاجيات ، فقد اوصته زوجته سميرة بضرورة احضارها سريعاً لحاجتها اليها . في حين طلب منه ان يمكث لقليل من الوقت ريثما يخبره بهذه الرواية الاخرى . فقال له :

ـ ولقد رواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن أجلاء هذه الطائفة وشيوخها قال : وأخبرني محمد بن محمد بن النعمان والحسين بن عبيدالله، عن أبي عبدالله محمد بن أحمد الصفواني قال : أوصىٰ الشيخ أبو القاسم ﷺ إلىٰ أبي الحسن علي بن محمد السمري ﷺ فقام بماكان إلىٰ أبي القاسم (السفير الثالث) فلما حضرته الوفاة، حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنّه لم يُؤمر بأن

---

(١) البقرة : ٢ / ٢٦٠.

(٢) كمال الدين ٢ : ٤٣٥ / ٣ باب ٤٣ .

يوصي إلىٰ أحد بعده في هذا الشأن[١] .

بينما عقّب سالم على هذه الاخبار :

ــ ولا يخفىٰ إن مقام السّمري، مقام أبي القاسم الحسين بن روح في الوكالة عن الإمام تتطلب رؤيته في كل أمر يحتاج اليه فيه، ومن هنا تواتر ما خرج علىٰ يد السفراء الأربعة كما ذكر في مثل هذه الروايات من وصايا وارشادات وأوامر وكلمات الإمام المهدي عليه السلام[٢] . وهناك روايات أُخرىٰ كثيرة صريحة برؤية السفراء الأربعة كلٌّ في زمان وكالته للامام المهدي وكثير منها بمحضر من الشيعة .كما ان من ضمن من شهد رؤيته الكثير ممن يصعب عدّهم واحصائهم[٣] .كما كان قد ذكر الصدوق من وقف

---

(١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي : ٣٩٤ / ٣٦٣.

(٢) وقد جمعت هذه الأُمور في ثلاث مجلدات مطبوعة بعنوان «المختار من كلمات الإمام المهدي عليه السلام» تأليف الشيخ محمد الغروي .

(٣) من مثل : ابراهيم بن ادريس أبو أحمد (الكافي ١ : ٣٣١ / ٨ باب ٧٧، والارشاد / الشيخ المفيد ٢ : ٢٥٣، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي : ٢٦٨ / ٢٣٢، و : ٣٥٧ / ٣١٩.) ، وابراهيم بن عبدة النيسابوري (الكافي ١ : ٣٣١ / ٦ باب ٧٧، والارشاد ٢ : ٣٥٢، والغيبة ٢٦٨ / ٢٣١.) ، وابراهيم بن محمد التبريزي (الغيبة : ٢٥٩ / ٢٢٦.) ، وابراهيم بن مهزيار ابو اسحاق الاهوازي (كمال الدين ٢ : ٤٤٥ / ١٩ باب ٤٣.) ، وأحمد بن اسحاق بن سعد الاشعري (كمال الدين ٢ : ٣٨٤ / ١ باب ٣٨.) ورآه مرة أُخرىٰ مع سعد بن عبدالله بن أبي خلف الاشعري (من مشايخ والد الصدوق والكليني) (كمال الدين ٢ : ٤٥٦ / ٢١ باب ٤٣.) ، وأحمد بن الحسين بن عبدالملك أبو جعفر الأزدي وقيل الأوْدي (كمال الدين ٢ :

←

← ٤٤٤ / ١٨ باب ٤٣، والغيبة : ٢٥٣ / ٢٢٣.) ، وأحمد بن عبدالله الهاشمي من ولد العباس مع تمام تسعة وثلاثين رجلاً (الغيبة : ٢٥٨ / ٢٢٦.) ، وأحمد بن محمد بن المُطَهَّر أبو علي من أصحاب الهادي والعسكري ٨ (الكافي ١ : ٣٣١ / ٥ باب ٧٧، والارشاد ٢ : ٣٥٢، والغيبة : ٢٦٩ / ٢٣٣. ، وأحمد بن هلال أبو جعفر العبرتائي الغال الملعون ، وكان معه جماعة منهم : علي بن بلال، ومحمد بن معاوية بن حكيم ، والحسن بن أيوب بن نوح ، وعثمان بن سعيد العمري ٢ إلى تمام أربعين رجلاً (الغيبة : ٣٥٧ / ٣١٩.) ، واسماعيل بن علي النوبختي أبو سهل (الغيبة : ٢٧٢ / ٢٣٧.) ، وأبو عبد الله بن صالح (الكافي ١ : ٣٣١/ ٧ باب ٧٧، والارشاد ٢ : ٣٥٢.) ، وأبو محمد الحسن بن وجناء النصيبي (كمال الدين ٢ : ٤٤٣ / ١٧ باب ٤٣.) ، وأبو هارون من مشايخ محمد بن الحسن الكرخي (كمال الدين ٢ : ٤٣٢ / ٩ باب ٤٣، و ٢ : ٤٣٤ / ١ باب ٤٣.) ، وجعفر الكذاب عم الإمام المهدي ٧ رأىٰ الإمام المهدي ٧ مرتين (الكافي ١ : ٣٣١ / ٩ باب ٧٧، وكمال الدين ٢ : ٤٤٢ / ١٥ باب ٤٣، والارشاد ٢ : ٣٥٣، والغيبة : ٢٤٨ / ٢١٧.) ، والسيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الإمام أحمد بن علي الجواد ٨ (الكافي ١ : ٣٣١ / ٣ باب ٧٧، وكمال الدين ٢ : ٤٢٤ / ١ باب ٤٢، و ٢ : ٤٢٦ / ٢ باب ٤٢، والارشاد ٢ : ٣٥١، والغيبة : ٢٣٤ / ٢٠٤، و : ٢٣٧ / ٢٠٥، و : ٢٣٩ / ٢٠٧.) ، والزهري وقيل الزهراني ومعه العمري ٢ (الغيبة : ٢٧١ / ٢٣٦.) ، ورشيق صاحب المادراي (الغيبة : ٢٤٨ / ٢١٨.) ، وأبو القاسم الروحي ٢ (كمال الدين ٢ : ٥٠٢ / ٦١ باب ٤٥، والغيبة : ٣٢٠ / ٢٦٦ و : ٣٢٢ / ٢٦٩.) ، وعبد الله السوري (كمال الدين ٢ : ٤٤١ / ١٣ باب ٤٣.) ، وعمرو الأهوازي (الكافي ١: ٣٢٨ / ٣ باب ٧٦، و ١ : ٣٣٢ / ١٢ باب ٧٧، والارشاد ٢: ٣٥٣، والغيبة: ٢٣٤ / ٢٠٣.) ، وعلي بن ابراهيم بن مهزيار الأهوازي (الغيبة : ٢٦٣ / ٢٢٨.) ، وعلي بن محمد الشمشاطي رسول جعفر بن ابراهيم اليماني (كمال الدين ٢ : ٤٩١ / ١٤ باب ٤٥.) ، وغانم أبو سعيد الهندي (الكافي ١ : ٥١٥ / ٣ باب ١٢٥، وكمال الدين ٢ : ٤٣٧ بعد الحديث ١ باب ٤٣.) ، وكامل بن ابراهيم المدني (الغيبة : ٢٤٧ / ٢١٦.) ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ٢ (الكافي ١ : ٣٢٩ / ١ باب ٧٦، و ١٠ : ٣٢٩ / ٤ باب ٧٦، و ١: ٣٣١ / ←

علىٰ معجزات الإمام المنتظر، ورآه من الوكلاء وغيرهم مع تسمية بلدانهم، وهم بلغوا من الكثرة حدّاً يمتنع معه اتفاقهم علىٰ الكذب لا سيما وهم من بلدان شتىٰ[1].

← باب ٧٧، والارشاد ٢ : ٣٥١، والغيبة : ٣٥٥ / ٣١٦.) ، ومحمد بن أحمد الأنصاري أبو نعيم الزيدي ، وكان معه في مشاهدة الإمام المهدي ٧ : أبو علي المحمودي ، وعلّان الكليني ، وأبو الهيثم الدّيناري ، وأبو جعفر الأحول الهمداني ، وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً فيهم السيد محمد بن القاسم العلوي العقيقي (كمال الدين ٢ : ٤٧٠ / ٢٤ باب ٧٣، والغيبة : ٢٥٩ / ٢٢٧.) ، والسيد الموسوي محمد بن اسماعيل بن الإمام موسىٰ بن جعفر ٨ وكان أسنّ شيخ في عصره من ولد رسول الله ٦ (الكافي ١ : ٣٣٠ / ٢ باب ٧٧، والارشاد ٢ : ٣٥١، والغيبة : ٢٦٨ / ٢٣٠.) ، ومحمد بن جعفر أبو العباس الحميري علىٰ رأس وفد من شيعة مدينة قم (كمال الدين ٢ : ٤٧٧ بعد الحديث ٦ باب ٤٣.) ، ومحمد بن الحسن بن عبيد الله التميمي الزيدي المعروف بأبي سورة (الغيبة : ٢٦٩ / ٢٣٤، و : ٢٧٠ / ٢٣٥.) ، ومحمد بن صالح بن علي بن محمد بن قنبر الكبير مولىٰ الإمام الرضا ٧ (كمال الدين ٢ : ٤٤٢ / ١٥ باب ٤٣ حدّث عن رؤية جعفر الكذاب للامام المهدي ٧، وظاهره أنه رآه أيضاً، ولكن صريح الكافي أنه لم يره ٧ ولكنه رأىٰ من رآه وهو جعفر الكذاب. الكافي ١: ٣٣١ / ٩ باب ٧٧.) ، ومحمد بن عثمان العمري ٢ (كمال الدين ٢ : ٤٣٣ / ١٣ باب ٤٢، و ٢: ٤٣٥ / ٣ باب ٤٣، و ٢: ٤٤٠ / ٩ باب ٤٣، و٢ : ٤٤٠ / ١٠ باب ٤٣، و ٢ : ٤٤١ / ١٤ باب ٤٣.) ورآه مع أربعين رجلاً بإذن الإمام العسكري ٧، وكان من جملتهم : معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح (كمال الدين ٢ : ٤٣٥ / ٢ باب ٤٣.) ، ويعقوب بن منقوش (كمال الدين ٢ : ٤٣٧ / ٥ باب ٤٣.) ، ويعقوب بن يوسف الضّراب الغساني (الغيبة : ٢٧٣ / ٢٣٨.) ، ويوسف بن أحمد الجعفري (الغيبة : ٢٥٧ / ٢٢٥.) .

(١) وإليك بعضهم : فمن بغداد : العمري، وابنه، وحاجز، والبلالي، والعطار . ومن الكوفة : العاصمي . ومن أهل الاهواز : محمد بن ابراهيم بن مهزيار . ومن أهل قم : أحمد بن اسحاق . ومن أهل همدان : محمد بن صالح . ومن أهل الري : البسامي، والاسدي (محمد ←

بينما جعل يضيف في مقاله، يتحمل اعباء الكلام وهو في حالة النقاهة من العملية .. يثيره الالم حيناً، ويشتد عليه الاعياء حيناً اخر .. الا انه آثر ان يحكي العصير من لبّ ما يجده في هذا الكتاب، حتى قال :

ـ كما شاهد الإمام المهدي عليه السلام من كان يخدم أبيه العسكري عليه السلام في داره مع بعض الجواري والاماء[1]

← بن أبي عبدالله الكوفي) . ومن أهل آذربيجان : القاسم بن العلاء . ومن أهل نيسابور : محمد بن شاذان . ومن غير الوكلاء . من أهل بغداد : أبو القاسم بن أبي حليس، وأبو عبدالله الكندي، وأبو عبدالله الجنيدي، وهارون القزاز، والنيلي، وأبو القاسم بن دبيس، وأبو عبدالله بن فروخ، ومسرور الطباخ مولى أبي الحسن ٧، وأحمد ومحمد ابنا الحسن، واسحاق الكاتب من بني نوبخت وغيرهم . ومن همدان : محمد بن كشمرد، وجعفر بن حمدان، ومحمد بن هارون ابن عمران . ومن الدينور : حسن بن هارون، وأحمد بن أُخَيَّة، وأبو الحسن . ومن أصفهان : ابن باشاذالة . ومن الصيمرة : زيدان . ومن قم : الحسن بن النضر، ومحمد بن محمد، وعلي بن محمد بن اسحاق، وأبوه، والحسن بن يعقوب . ومن أهل الري : القاسم بن موسى، وابنه، وأبو محمد بن هارون، وعلي ابن محمد، ومحمد بن محمد الكليني، وأبو جعفر الرفّاء . ومن قزوين : مرداس، وعلي بن أحمد . ومن نيسابور : محمد بن شعيب بن صالح. ومن اليمن : الفضل بن يزيد، والحسن بن الفضل بن يزيد، والجعفري ، وابن الاعجمي، وعلي بن محمد الشمشاطي . ومن مصر : أبو رجاء وغيره . ومن نصيبين : أبو محمد الحسن بن الوجناء النصيبي .كما ذكر أيضاً من رآه ٧ من أهل شهرزور ، والصيمرة ، وفارس وقابس ، ومرو (كمال الدين ٢ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣ / ١٦ باب ٤٣) .

(١) كطريف الخادم أبي نصر (الكافي ١ : ٣٣٢ / ١٣ باب ٧٧، وكمال الدين ٢ : ٤٤١ / ١٢ باب ٤٣، والارشاد ٢: ٣٥٤، والغيبة : ٢٤٦ / ٢١٥ وفيه : ظريف بدلاً عن طريف .) ، ←

(٢٤)

وفي ظهيرة يوم من الايام، جلس حامد الى جانب زوجته .. كان يقرأ في صحيفة، بينما كانت زوجته تقلب دفتر الهاتف، باحثة عن رقم احد الاطباء، كانت تريد حجز رقم لها للذهاب الى

← وخادمه ابراهيم بن عبدة النيسابوري التي شاهدت مع سيدها الإمام المهدي ٧ (الكافي ١ : ٣٣١ / ٦ باب ٧٧، والارشاد ٢ : ٣٥٢، والغيبة : ٢٦٨ / ٢٣١.) ، وأبي الأديان الخادم (كمال الدين ٢ : ٤٧٥ بعد الحديث ٢٥ باب ٤٣.) ، وأبي غانم الخادم الذي قال : «ولد لأبي محمد ٧ ولد فسماه محمداً ، فعرضه على أصحابه يوم الثالث ، وقال : هذا صاحبكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، وهو القائم الذي تمتد اليه الاعناق بالانتظار ، فاذا امتلأت الارض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً . وشهد بذلك أيضاً : عقيد الخادم (كمال الدين ٢ : ٤٧٤ بعد الحديث ٢٥ باب ٤٣، والغيبة : ٢٧٢ / ٢٣٧.) ، والعجوز الخادمة (الغيبة ٢ : ٢٧٣ ـ ٢٧٦ / ٢٣٨.) ، وجارية أبي علي الخيزراني التي اهداها إلى الإمام العسكري ٧ (كمال الدين ٢ : ٤٣١ / ٧ باب ٤٢.)، ومن الجواري اللّواتي شهدن برؤية الإمام المهدي٧ : نسيم(كمال الدين ٢ : ٤٤١ / ١١ باب ٤٣.) ، ومارية (كمال الدين ٢ : ٤٣٠ / ٥ باب ٤٢، وفي هذا المورد شاهدته ٧ نسيم مع مارية.) .كما شهد بذلك مسرور الطباخ مولى أبي الحسن ٧ (كمال الدين ٢ : ٤٤٢ / ١٦ باب ٤٣.) ، وكل هؤلاء قد شهدوا بنحو ما شهد به أبو غانم الخادم في بيت العسكري ٧ .

عيادته .كانت تعاني من اعياء اضجرها .. واذ كانا كذلك حانت من حــامد التــفاتة الى زوجـته، وجـدها غـارقة فـي خـضم الارقـام والاسماء.. قال لها :

ــ الم تجدي رقم هاتف عيادته ؟

ــ لا . . لا أظنه يمتلك هاتفاً .

ــ وهل يمكن ان يحصل مثل كذلك .

فقالت :

ــ لربما كان الرقم مسجلا باسم غيره .

ــ يمكنك ان تستفسري من استعلامات الهاتف .

ثم القت بالكتاب جانباً وهمست مشيرة اليه :

ــ سأفعل . ولكن فيما بعد ..

نهضت ودلفت الى المطبخ . بعدها عادت وهي تحمل قدحين من القهوة . جلست قبالته .. رمى بالصحيفة جانباً . استلتها تقرأ ما فـيها . واذا مـا كـان لهـا ان تـجد بـعض الاشـارات حـول المـنقذ والمخلّص، رغبت في ان تمارس مع زوجها لغة السؤال والبحث، فما ان مرت الدقائق تترى حتى بادرته بالسؤال :

ــ أظن أن الوحيد الذي لم تقو السلطات الحاكمة على النيل منه هو المهدي المنتظر، أليس كذلك ؟ !

راعه سؤالها .. ذلک انه لم يـلتفت الى هـذه المـعجزة طـوال

عمره، وهاهي زوجته السنية تعلنها له . . لم تكن المسألة غـريبة عليه، انما الامر الذي غدا له واضحاً ولاكثر من ذي قبل، هو مـا يشاكل حالة المرور على بعض الايات القـرآنـية حـتى يـحسبها القارىء وكأن بصره قد وقع عليها وللتو ، فلم يكن قد طالعها من قبل او قرأها، مع انه كان يقرأها ويتلوا القرآن كل يوم . فقال لها :

ــ ماذا تقولين ؟

ــ سألتكَ . .

فقال، وكأنه استوعب للتو ماكانت قد فاهت به :

ــ أووه .. تقصدين ...، إنها الغيبة، اعجاز الله في ارضه، هي التي لم تدع للسلطات الحاكمة ايما فرصة كيما يصل أزلامها اليه .

ــ أقول متى كان قد ولد ؟

ــ ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في شهر ربيع الآخر سـنة ٢٣٢ هـ وقد عاصر ثلاثة من سلاطين بني العباس وهم : المـعتز المتوفى عام ٢٥٥ هـ والمهتدي المـتوفى عـام ٢٥٦ هـ والمـعتمد المتوفى عام ٢٧٩ هـ.

ــ وكيف كان المعتمد ؟

ــ لقد كان المعتمد شديد التعصب والحقد على آل البيت عليهم السلام ومن تصفح كتب التاريخ المشهورة كالطبري وغيره، واستقرأ ما في حوادث سنة ٢٥٧ هـ و ٢٥٨ هـ و ٢٥٩ هـ و ٢٦٠ هـ وهي السنوات

الأُولىٰ من حكمه ، عَلِم مدىٰ حقده علىٰ أئمة أهل البيت عليهم السلام .

ــ وهل لقي جزاء اعماله تلك ؟

ــ وكيف لا، فلقد عاقبه الله في حياته، إذ لم يكن في يده شيءٌ من مُلْكِهِ حتىٰ أنّه احتاج إلىٰ ثلاثمائة دينار فلم ينلها، ومات ميتة سوءٍ إذ ضجر منه الاتراك فرموه في رصاص مذاب باتفاق المؤرخين.

ــ هل تذكر شيئاً من مواقفه ؟

ــ من مواقفه الخسيسة أَمْرُهُ شَرَطَته بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام مباشرة بتفتيش داره تفتيشاً دقيقاً والبحث عن الإمام المهدي عليه السلام والامر بحبس جواري أبي محمد العسكري واعتقال حلائله يساعدهم بذلك جعفر الكذاب طمعاً في أن ينال منزلة أخيه العسكري في نفوس شيعته، حتىٰ جرىٰ بسبب ذلك كما يقول الشيخ المفيد ـ علىٰ مُخَلَّفي الإمام العسكري عليه السلام كل عظيمة من اعتقال، وحبس، وتهديد، وتصغير، واستخفاف وذِل[1] .

ــ وكم كان عمر المهدي آنئذ ؟

ــ كل هذا والإمام المهدي في الخامسة من عمره الشريف،

ــ وهل كان لطفل صغير ان يثير الخلافة برمّتها ؟

---

(١) الارشاد ٢ : ٣٣٦.

ـ لم يكن ليهم المعتمد العباسي العمر بعد أنْ عرف أن هذا الصبي هو الإمام الذي سيهدّ عرش الطاغوت نظراً لما تواتر من الخبر بأن الثاني عشر من أهل البيت ﷺ سيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً .

ـ واذن،كان ثمة اعتقاد صحيح باعجاز الله في ارضه، لكن شقوتهم كانت قد غلبت عليهم، والا فما كان ليضيرهم ان يبقى الى جانبهم طفل لم يتجاوز من العمر الخمسة سنوات .

ـ فكان موقفه من مهدي الأُمّة كموقف فرعون من نبي الله موسىٰ ﷺ الذي ألقته أُمّهُ ـ خوفاً عليه ـ في اليمّ صبياً، وبعض الشرّ أهون من بعض . فلم يكن المعتمد العباسي قد عرف هذه الحقيقة وحده وإنّما عرفها من كان قبله كالمعتز والمهدي ؛ ولهذا كان الإمام الحسن العسكري ﷺ حريصاً علىٰ أن لا ينتشر خبر ولادة المهدي إلّا بين الخلّص من شيعته ومواليه ﷺ، مع أخذ التدابير اللازمة والاحتياطات الكافية لصيانة قادة التشيع من الاختلاف بعد وفاته ﷺ ،

ـ وهل كان قد اوقفهم على ولده ؟

ـ بكل تأكيد، لقد أوقفهم بنفسه علىٰ المهدي الموعود مرات عديدة وأمرهم بكتمان أمره لمعرفة الطواغيت بأنّه (الثاني عشر) الذي ينطبق عليه حديث جابر بن سمرة الذي رواه القوم وأدركوا

تواتره ، وإلّا فأي خطر يهدد كيان المعتمد في مولود يافع لم يتجاوز من العمر خمس سنين ؟! لو لم يدرك أنّه هو المهدي المنتظر التي رسمت الأحاديث المتواترة دوره العظيم بكل وضوح ، وبينت موقفه من الجبابرة عند ظهوره .

ـ وكل هذا، وجعفر الكذاب يعلن للملأ انه المرجع والإمام بعد أخيه ؟

ـ نعم، فانه لو لم يكن الامر علىٰ ما وصفناه، فلماذا لم تقتنع السلطة بشهادة جعفر الكذاب وزعمه بأن أخاه العسكري عليه السلام مات ولم يخلف ولداً ؟ أَمَاكان بوسع السلطة أنْ تعطي جعفراً الكذاب ميراث أخيه عليه السلام من غير ذلك التصرف الأحمق الذي يدل علىٰ ذعرها وخوفها من ابن الحسن عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف ؟!

ـ قد يقال : بأنّ حرص السلطة علىٰ إعطاء كل ذي حق حقه هو الذي دفعها إلىٰ التحري عن وجود الخلف لكي لا يستقل جعفر الكذاب بالميراث وحده بمجرد شهادته !

ـ عندها يمكن القول والاجابة : فانه مع هذا، لم يكن من شأن السلطة الحاكمة آنذاك أنْ تتحرىٰ عن هذا الأمر بمثل هذا التصرف المريب، بل كان علىٰ السلطة ان تحيل دعوىٰ جعفر الكذاب إلىٰ أحد القضاة ؛ لا سيما وان القضية من قضايا الميراث التي يحصل مثلها كل يوم مرات، وعندها سيكون بوسع القاضي التحقيق واستدعاء الشهود كأُمّ الإمام العسكري عليه السلام، ونسائه وجواريه

والمقربين اليه من بني هاشم، ثم يستمع إلىٰ أقوالهم ويثبت شهاداتهم، ثم يصدر الحكم علىٰ ضوء ما بيديه من شهادات،

ـ ؟!

ـ أمّا أنّ تنفرد السلطة بنفسها ويصل الأمر إلىٰ أعلىٰ رجل فيها، وبهذه السرعة، ولمّا يدفن الإمام الحسن عليه السلام ، وخروج القضية عن دائرة القضاء مع أنّها من اختصاصاته ، ومن ثم مداهمة الشَرَطة لمن في بيت الإمام العسكري عليه السلام بعد وفاته مباشرة،كل ذلك يدل علىٰ تيقن السلطة من ولادة الإمام المهدي وإنْ لم تره، لما سبق من علمهم بثاني عشر أهل البيت .

ـ ولهذا جاءت للبحث عنه ؟

ـ ولهذا جاءت للبحث عنه، لا بعنوان إعطاء ميراث العسكري عليه السلام لمن يستحقه من بعده، وإنّما للقبض عليه والفتك به بعد أن لم يجدوا لذلك سبيلاً في حياة أبيه العسكري عليه السلام .

ـ ولهذاكان الخوف علىٰ حياته

ـ نعم، وذلك هو من أسرار غيبته عليه السلام كما هو الحال في إخبار آبائه الائمة المعصومين عنها، وذلك قبل وقوعها بعشرات السنين.

(٢٥)

وعند المساء، اتجه حامد وزوجته الى منزل ابيها .. كانت تنتظرهما ثمة ابنة جيرانها هيفاء .. رحبت بها وابتسمت لها كثيرة، مشيرة الى ان اخاها يرغب في بحث بعض الموضوعات مع حامد .. طلبت منها التخلي عن ذلك .. بيد ان هيفاء اصرت على ما تريد، ذلك ان أخاها هو الذي يلح عليها .. ولم يكن قد علم اخاها سلمان ما يدور في خلَد حامد الا من طريق زوجته سميرة نفسها، حينما كانت تدردش مع هيفاء، فاشارت الى هذا الامر ان حامد يسعى جاهداً كيما تغدو شيعية .. بل ان سلمان لم يكن ليعرف حامد قط، فاراد من خلال ذلك ان يتعرف عليه ويزحمه ببعض التساؤلات حتى يضيّق عليه الخناق مثلا، فيثبت له أحقية مذهب أهل السنة وخطئية مذهب الشيعة .. فلا يدعو زوجته الى مثلها .كيما يدعها تتعبد على أيّما مذهب تشاء من هذه المذاهب الاربعة !

وعلى مائدة العشاء،كان قد انضم الى المتحلقين حولها سلمان وامه واخته . استغرب حامد الامر، تعارفوا فيما بينهم . رحب كل منهم بالاخر .. وفي خلوة من الخلوات أشارت سميرة الى ما يدور في ذهن سلمان، بأنه يود مناقشتك في بعض المسائل المتعلقة بصاحب الزمان .. ذلك اني شرحت لهيفاء كيف حدثتني عنه .. لم يسترع الامر حامد، بل كان يمثل بالنسبة اليه ومضة من ومضات

تلاقح الافكار .. بينماكان يقول في نفسه : مرحباً بكل ما يدعو الى حوار العقليات، هيتَ لكِ ايتها المناقشات والمجادلات، ثم هيت لك ايتها المناظرات والمحادثات .

قال سلمان :

ــ يسرني ان التقي بك .

ــ كذلك انا .

أجابه حامد . بينما اضاف سلمان :

ــ ولكني انتهز مثل هذا اللقاء، كفرصة نجوب بها سوية .. بل نطوف في أروقة بعض التساؤلات التي تدور حول المخلّص .. منقذ البشرية ..

ــ على الرحب والسعة .

ــ في البداية، هل يمكنك ان تخبرني عن الإمام المهدي، فهل ولد ام لم يولد، وكيف تستدل على ما تعتقده منهما ؟

ــ اجيبك باختصار، لاني اوعز ما يلحق به الى لقاءات قادمة انشاء الله . فاشير عليك باعترافات علماء الأنساب بولادة الإمام المهدي، وهذا بدوره سيقدم لك شهادة واعية من اناس موثقين في هذا الباب .

ــ اني أصغي اليك ..

ــ فإنَّ مما لا شك فيه، هو ضرورة الرجوع في كل فن إلىٰ أصحابه ، وما نحن بصدده، علماء الانساب أولىٰ به، وسأقوم بنقل

ما قاله بعضهم (بينما اخرج من جيب سترته مفكرة صغيرة، لكنها كانت سميكة، مثخنة بالاوراق، دون فيها حامد ما استطاع تدوينه، ولذلك انتخب عرض ومناقشة الموضوع من خلال هذا الجوانب) من مثل النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان البخاري والسيد العمري، والمروزي الازورقاني، والسيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني، والنسابة الزيدي السيد أبو الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني، ومحمد أمين السويدي، والنسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري.

ـ فما الذي أقروا به هؤلاء.

ـ اعترفوا بولادة المهدي الموعود .. وانه حيٌّ يرزق.

ـ هل يمكنك أن تطلعني على ما حدثوا به.

ـ اما أبو نصر البخاري الذي هو من أعلام القرن الرابع الهجري، والذي كان حياً سنة ٣٤١ هـ وهو من أشهر علماء الانساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي الصغرىٰ التي انتهت سنة ٣٢٩ هـ. قال في سر السلسلة العلوية، وعلى ما اذكر ص ٣٩: وولد علي بن محمد التقي عليه السلام: الحسن ابن علي العسكري عليه السلام من أُم ولد نوبيّة تدعىٰ: ريحانة، وولد سنة احدىٰ وثلاثين ومائتين وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة.. وولد علي بن محمد التقي عليه السلام جعفراً وهو الذي تسميه الامامية جعفر

الكذاب، وإنّما تسميه الامامية بذلك ؛ لادعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم الحجة عليه السلام .

ـ جميل ..

ـ والسيد العمري النسابة المشهور والذي كان من أعلام القرن الخامس الهجري، فانه كان قد قال ما نصه : ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك ، وامتُحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته، وشره جعفر بن علي إلىٰ مال أخيه وحاله فدفع أنْ يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة علىٰ قبض جواري أخيه . . وقيل : أنه فارق ماكان عليه قبل الموت وتاب ورجع، فلما زعم انه لاولد لاخيه وأدعىٰ ان أخاه جعل الامامة فيه سمي : (الكذاب) ، وهو معروف بذلك . ثم ذكر السيد النسابة تحت عنوان : (الاخبار في معنىٰ الخلف الصالح عليه السلام) جملة وافرة من أخبار غيبته عليه السلام ، ومن شاهده ونحو ذلك .[1]

كان حامد يقرأ بامعان قسمات طالب كلية الشريعة سلمان .. كان يحاول الاخير ان يضفي على نفسه سيماء عدم الاعارة والاهتمام، بيد ان حامد كان يلتقط بين الفينة والاخرى ما يبعث في نفسه مقدار اهتمام صاحبه بمثل هذه الاخبار التي تفد على

---

(١) المجدي في انساب الطالبيين : ١٣٠ ـ ١٣١ .

رأسه كالجديد الذي لم يطّلع عليه من قبل . بينما كان سلمان يشعر انه قد وقع في فخ لم يحتط له او لم يتهيأ له مسبقاً قط ! في حين دأب حامد على مواصلة الحديث حتى قال :

ــ كذلك المروزي الازورقاني الذي وافاه الاجل بعد عام ٦١٤ هـ فقد وصف في كتاب الفخري جعفر بن الإمام الهادي في محاولته انكار ولد أخيه بالكذاب[1] . وفيه أعظم دليل على اعتقاده بولادة الإمام المهدي . في حين يحدث السيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عِنَبَه والمتوفى عام ٨٢٨ هـ في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : أما علي الهادي فيلقب العسكري لمقامه بسُرَّ من رأىٰ، وكانت تسمىٰ العسكر ، وأُمّه أُم ولد ، وكان في غاية الفضل ونهاية النبل، أشخصه المتوكل إلىٰ سُرَّ من رأىٰ فأقام بها إلىٰ أن تُوفي، وأعقب من رجلين هما : الإمام أبو محمد الحسن العسكري ﷺ، وكان من الزهد والعلم علىٰ أمر عظيم ، وهو والد الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه ثاني عشر الأئمة عند الامامية وهو القائم المنتظر عندهم من أُم ولد اسمها نرجس . واسم أخيه أبو عبدالله جعفر

(١) الفخري في انساب الطالبيين : ٧.

الملقب بالكذّاب؛ لادعائه الامامة بعد أخيه الحسن[1] .كما قال في الفصول الفخرية (مطبوع باللغة الفارسية) ما ترجمته : أبو محمد الحسن الذي يقال له العسكري، والعسكر هو سامراء ، جلبه المتوكل وأباه إلى سامراء من المدينة ، واعتقلهما . وهو الحادي عشر من الأئمة الاثني عشر ، وهو والد محمد المهدي عليه السلام ، ثاني عشرهم[2].

ـ ؟!

ـ بينما ذكر النسابة الزيدي السيد أبو الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني والذي هو من أعيان القرن الحادي عشر في المشجرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وتحت اسم الإمام علي التقي المعروف بالهادي، خمسة من البنين وهم : الإمام العسكري، الحسين، موسى، محمد، علي . وتحت اسم الإمام العسكري مباشرة كتب : (محمد بن) وبازائه : (منتظر الامامية)[3] . في حين قال محمد أمين السويدي والمتوفى سنة

(١) عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب : ١٩٩.

(٢) الفصول الفخرية (في الانساب) / للنسابة جمال الدين أحمد بن عِنَبَه: ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٣) روضة الألباب لمعرفة الأنساب / للنسابة الزيدي السيد أبي الحسن محمد الحسيني اليماني الصنعاني : ١٠٥.

١٢٤٦هـ في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: محمد المهدي: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع القامة، حسن الوجه والشَّعر، أقنىٰ الانف، صبيح الجبهة[١] . ثم النسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري. حيث قال في الدرر البهية في الانساب الحيدريّة والأوَيسيّة في بيان أولاد الإمام الهادي: أعقب خمسة أولاد: محمد وجعفر والحسين والإمام الحسن العسكري وعائشة . فالحسن العسكري أعقب محمد المهدي صاحب السرداب . ثم قال بعد ذلك مباشرة وتحت عنوان: الامامان محمد المهدي والحسن العسكري: الإمام الحسن العسكري: ولد بالمدينة سنة ٢٣١ هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٦٠ هـ . الإمام محمد المهدي: لم يذكر له ذرية ولا أولاد له أبداً[٢] هـ .

ثم علق في هامش العبارة الاخيرة بما هذا نصه: «ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ ، وأمّه نرجس ، وُصِفَ فقالوا عنه: ناصع اللون ، واضح الجبين، أبلج الحاجب ، مسنون الخد ، أقنى الأنف ، أشم ، أروع ،كأنّه غصن بان ، وكأنَّ غرّته كوكب دريّ ، في خده الأيمن خال كأنه فتات مسك علىٰ بياض الفضّة ،

---

(١) سبائك الذهب / السويدي: ٣٤٦.

(٢) الدرر البهية في الأنساب الحيدريّة والاوَيسيّة طبع حلب سوريا ١٤٠٥هـ: ٧٣.

وله وفرة سمحاء تطالع شحمة أذنه ، ما رأت العيون أقصد منه ولا أكثر حسناً وسكينةً وحياءً[1] .

ـ ؟!

ـ وبعد ، فهذه هي أقوال علماء الانساب في ولادة الإمام المهدي عليه السلام وفيهم السني والزيدي الى جانب الشيعي ، وفي المثل: أهل مكة أعرف بشعابها .

عندها افاق سلمان من غيبوبة أخبار النسابة ليطلع على حامد بسؤال اخر :

ـ طيب، هل يمكنك ان تدلي لي بما افاده علماء اهل السنة في هذا المضمار ؟

اطمئن حامد الى فحوى هذا السؤال أيضاً، ذلك ان مفكرته تلك كانت تضّمن الجواب على ذلك . قال :

ـ أما مصادرة علماء أهل السنّة على ولادة الإمام المهدي . فثمة اعترافات ضافية سجلها الكثير من أهل السنة بأقلامهم بولادة الإمام المهدي عليه السلام، وقد قام البعض باستقراء هذه الاعترافات في بحوث خاصة ، فكانت متصلة الازمان، بحيث لا تتعذر معاصرة صاحب الاعتراف اللاحق لصاحب الاعتراف السابق بولادة

(۱) هامش الدرر البهية : ۷۳ ـ ٧٤.

المهدي عليه السلام، وذلك ابتداءً من عصر الغيبة الصغرىٰ للامام المهدي عليه السلام (٢٦٠ هـ ـ ٣٢٩ هـ) والىٰ الوقت الحاضر. ولسوف أقتصر علىٰ ذكر بعضهم ـ واذا أردت التوسعة فيمكنك مراجعة الاستقراءات الخاصة بتلك الاعترافات وذلك من مصادرها[1] ـ وهم: ابن الأثير الجزري عز الدين المتوفى عام ٦٣٠هـ. حيث قال في كتابة الكامل في التأريخ في حوادث سنة (٢٦٠ هـ): وفيها توفي أبو محمد العلوي العسكري، وهو أحد الأئمة الاثني عشر علىٰ مذهب الامامية، وهو والد محمد الذي يعتقدونه المنتظر[2]. أما ابن خلكان والمتوفى عام ٦٨١ هـ فانه قال في وفيات الأعيان: أبو القاسم محمد ابن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر علىٰ اعتقاد

---

(١) راجع كتاب الايمان الصحيح للسيد القزويني، وكتاب الإمام المهدي في نهج البلاغة للشيخ مهدي فقيه ايماني، وكتاب من هو الإمام المهدي للتبريزي، وكتاب الزام الناصب للشيخ علي اليزدي الحائري، وكتاب الإمام المهدي للاستاذ علي محمد دخيل، وكتاب دفاع عن الكافي للسيد ثامر العميدي. وقد ذكر في هذا الأخير مائة وثمانية وعشرين شخصاً من أهل السنة من الذين اعترفوا بولادة الإمام المهدي عليه السلام مع ترتيبهم بحسب القرون، فكان أولهم (أبو بكر محمد بن هارون الروياني (ت/٣٠٧هـ) في كتابه المسند (مخطوط) وآخرهم الاستاذ المعاصر يونس أحمد السامرائي في كتابه: سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، ساعدت جامعة بغداد على طبعه سنة ١٩٦٨ م. انظر دفاع عن الكافي ١: ٥٦٨ ـ ٥٩٢ تحت عنوان: الدليل السادس: اعترافات أهل السنة.

(٢) الكامل في التأريخ ٧: ٢٧٤ في آخر حوادث سنة / ٢٦٠ هـ.

الامامية المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين» ثم نقل عن المؤرخ الرحّالة ابن الأزرق الفارقي المتوفى عام ٥٧٧ هـ انه قال في تاريخ مَيّافارقين: إنّ الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح[1] .

ـ ؟!

ثم عقب حامد على هذا الكلام بقوله:

ـ والصحيح في ولادة المهدي، هو ما ذكره ابن خلكان أولاً، وهو يوم الجمعة منتصف شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وعلىٰ ذلك اتفق جمهور الشيعة وقد أخرجوا في ذلك روايات صحيحة في ذلك مع شهادة أعلامهم المتقدمين. أما الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ فانه كان قد اعترف بولادة المهدي ﷺ في ثلاثة من كتبه، ولم تُتَتَبع كتبه الأُخرىٰ .

حيث قال في كتابه العبر: وفيها (أي: في سنة ٢٥٦ هـ) ولد محمد بن الحسن ابن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحُسَيْني ، أبو القاسم

(١) وفيات الاعيان ٤: ١٧٦ / ٥٦٢.

الذي تلقّبه الرافضة الخلف الحجة ، وتلقّبه بالمهدي ، والمنتظر ، وتلقبه بصاحب الزمان ، وهو خاتمة الاثني عشر[١] . وقال في تاريخ دول الإسلام في ترجمة الإمام الحسن العسكري : الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسىٰ بن جعفر الصادق، أبو محمد الهاشمي الحُسَيْني ، أحد أئمة الشيعة الذي تدعي الشيعة عصمتهم ، ويقال له : الحسن العسكري، لكونه سكن سامراء، فإنها يقال لها العسكر . وهو والد منتظر الرافضة، توفي إلىٰ رضوان الله بسامراء في ثامن ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين وله تسع وعشرون سنة ، ودفن إلىٰ جانب والده . وأما ابنه محمد بن الحسن الذي يدعوه الرافضة القائم الخلف الحجة فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة ست وخمسين[٢] . وقال في سير أعلام النبلاء : المنتظر الشريف أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي ابن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب،

(١) العبر في خبر من غبر ٣: ٣١.

(٢) تاريخ دول الإسلام / الجزء الخاص في حوادث ووفيات (٢٥١ ـ ٢٦٠ هـ): ١١٣ / ١٥٩.

العلوي، الحُسَيْني خاتمة الاثني عشر سيداً[١] .

ــ وهل يمكنك ان تحدثني عن اعتقاد الذهبي ؟

سأله سلمان، اجابه حامد :

ــ ما يعنينا من رأي الذهبي في ولادة الإمام المهدي قد بيّنته ، وأما عن اعتقاده بالمهدي فهو كما في جميع أقواله الأُخرىٰ كان ينتظر ـ كغيره ـ سراباً كما أوضحناه في من يعتقد بكون المهدي : محمد بن عبدالله .

ــ ؟!

بينما عاد حامد الى تصفح مفكرته ومطالعتها، فقال :

ــ أما ابن الوردي، المتوفى عام ٧٤٩ هـ فانه قال في ذيل تتمة المختصر المعروف بتاريخ ابن الوردي : ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين[٢] . في حين قال أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى في سنة ٩٧٤ هـ)

حين سماعه هذا الاسم، كان وجه سلمان يعلن عن تألقه واستبشاره ، بينما واصل حامد قراءاته، فقال :

ــ نعم، قال في كتابه (الصواعق المحرقة) في آخر الفصل

(١) سير أعلام النبلاء ١٣ : ١١٩ / الترجمة رقم (٦٠).

(٢) نقله عنه مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي في نور الابصار : ١٨٦.

الثالث من الباب الحادي عشر ما هذا نصه : أبو محمد الحسن الخالص، وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري ، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... مات بسُرَّ من رأىٰ ، ودفن عند أبيه وعمه ، وعمره ثمانية وعشرون سنة، ويقال : إنّه سُمَّ أيضاً ، ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه الله فيها الحكمة، ويسمىٰ القائم المنتظر، قيل : لأنّه سُتِرَ بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب[1] انتهىٰ . بينما جعل الشبراوي الشافعي والمتوفى عام ١١٧١ هـ يصرح في كتابه : (الاتحاف) بولادة الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة[2] . حتى جاء مؤمن بن حسن الشبلنجي المتوفى عام ١٣٠٨ هـ ليعترف في كتابه (نور الابصار) باسم الإمام المهدي، ونسبه الشريف الطاهر، وكنيته، والقابه في كلام طويل الىٰ أن قال: وهو آخر الأئمة الاثني عشر علىٰ ما ذهب إليه الامامية . وهكذا نصل الى خير الدين الزركلي، وهو الذي توفى في العام ١٣٩٦ هـ حيث

---

(١) الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمي الطبعة الأُولى ص ٢٠٧، والطبعة الثانية ص ١٢٤، والطبعة الثالثة ص ٣١٣ـ ٣١٤.

(٢) الاتحاف بحب الاشراف : ٦٨.

قال في كتابه : (الاعلام) في ترجمة الإمام المهدي المنتظر : محمد بن الحسن العسكري الخالص بن علي الهادي أبو القاسم، آخر الأئمة الاثني عشر عند الامامية.. ولد في سامراء ومات أبوه وله من العمر خمس سنين.. وقيل في تاريخ مولده : ليلة نصف شعبان سنة ٢٥٥، وفي تاريخ غيبته، سنة ٢٦٥هـ[١].

التفت حامد الى صاحبه، فقال له :

أما نحن فنقول بأن ابتداء تاريخ الغيبة الصغرىٰ هو ٢٦٠ هـ باتفاق الشيعة أجمع وسائر من أرخ لتاريخ الغيبة في ما اطلعنا عليه . ولعل ما ورد في الأعلام من غلط المطبعة ؛ لأن الزركلي لم يكتب سنة الغيبة كتابة بل رقماً ، واحتمال الغلط في طباعة الارقام ممكن جداً .

ـ ؟!

ـ وإلىٰ غير هذا من الاعترافات الكثيرة الأُخرىٰ التي ليست هي تحت اليد، او لا يسعنا الوقت لعرضها أو مناقشتها .

وقبل ان يوجه اليه سؤالا اخر .. ليجعل منه سؤاله الاخير مثلا، ذلك ان الوقت اخذ يضيق، لان الليل جعل يتأخر بساعاته الطوال.. اغتنم حامد فرصة ان يعرض على نفسه احدى الاسئلة المشوقة

(١) الاعلام ٦ : ٨٠

لصاحبه، كيما يكفيه عناء التفكير بسؤال ربما لم يتهيأ له في الوقت الحاضر . فقال له والحضور من حوله يتشوف جميعه الى مراقبة ومعرفة نهاية هذه المجادلات العلمية :

ــ هل لك ان تسمع باعتراف علماء اهل السُنّة بان المهدي هو ابن العسكري

ــ عظيم، يسرني ان اصغي الى ما تقول .. اني لاعترف باني معجب بك وبما اجتمع في سريرتك، وما قرّ لديك من عقلية فذّة، لا تجتمع وسنك المبكرة ..

قال حامد، وقد شكر الله على ما اسعفه به الحظ من قبول صاحبه هذا ، الاستماع الى عرضه والانتهاء من هذه المناظرة :

ــ وهناك اعترافات أُخرىٰ من علماء وأفاضل أهل السنة بخصوص كون المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان انما هو محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت..

ــ حقاً ؟!

بينما تابع حامد كلامه، والشوق يحدوه الى التأمل بأن يكون الاعتقاد بامامة اهل البيت قد نفذ الى قلب رفيقه هذا :

ــ نعم ائمة اهل البيت، الذين هم أئمة للمسلمين جميعاً، لا

للرافضة وحدهم كما يدعيه البعض مع الاسف الشديد (بينما كان صاحبه ينشر صفحة من ابتسامة، عامت فوق شفتيه رغماً عنه) وكأن النبي ﷺ أوصىٰ (الرافضة) وحدهم بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته ﷺ !

ـ ؟!

ـ وعلىٰ أية حال فاننا سوف أذكر بعض من أنصف وصرح بالحقيقة وهم محيي الدين ابن العربي، المتوفى عام ٦٣٨ هـ[١]، وكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ[٢]،

---

(١) صرح بهذه الحقيقة في كتابه (الفتوحات المكيّة) في الباب السادس والستين وثلاثمائة في المبحث الخامس على ما نقله عنه عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي (ت/٩٧٣ هـ) في كتابه (اليواقيت والجواهر)، كما نقل قوله الحمزاوي في (مشارق الانوار)، والصبان في (اسعاف الراغبين) ، ولكن من يدّعي الحفاظ علىٰ التراث سوّلت له نفسه حذف هذا الاعتراف من طبعات الكتاب اذ لايوجد في الباب المذكور - كما تتبعته بنفسي - ما نقله الشعراني عنه، فقال : «وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات : واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدي ، ولكن لايخرج حتىٰ تمتلىء الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً ، ولو لم يكن من الدنيا إلاّ يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتىٰ يلي ذلك الخليفة ، وهو من عترة رسول الله، من ولد فاطمة ، وجدّه الحسين بن علي بن أبي طالب ، ووالده حسن العسكري ابن الإمام علي النقي...» . اليواقيت والجواهر / الشعراني ٢ : ١٤٣ مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي بمصر لسنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

(٢) قال في كتابه (مطالب السؤول) : «أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن عليّ المتوكل ←

وسبط بن الجوزي الحنبلي الذي مات عام ٦٥٤ هـ[١]، ومحمد بن يوسف أبو عبدالله الكنجي الشافعي، المقتول سنة ٦٥٨ هـ[٢]، ونور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي، المتوفى عام ٨٥٥ هـ[٣]،

← ابن القائم بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهدي، الحجة، الخلف الصالح، المنتظر . ورحمة الله وبركاته» . ثم أنشد أبياتاً، مطلعها :

فهذا الخلفُ الحجّةُ قد أيّدَه اللهُ   هذا منهج الحقِّ وآتاهُ سجاياهُ

مطالب السؤول ٢ : ٧٩ باب ١٢ .

(١) قال في (تذكرة الخواص) عن الإمام المهدي : « هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكنيته أبو عبدالله ، وأبو القاسم ، وهو الخلف الحجة ، صاحب الزمان ، القائم ، والمنتظر ، والتالي ، وهو آخر الأئمة » . تذكرة الخواص : ٣٦٣.

(٢) قال في آخر صحيفة من كتابه (كفاية الطالب) عن الإمام الحسن العسكري ما نصه : «مولده بالمدينة في شهر ربيع الآخر ، من سنة أثنتين وثلاثين ومائتين ، وقبض يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين ، وله يومئذٍ ثمان وعشرون سنة ، ودفن في داره بسُرَّ من رأىٰ في البيت الذي دُفن فيه أبوه ، وخلف أبنه وهو : الإمام المنتظر صلوات الله عليه . ونختم الكتاب ونذكره مفرداً» . ثم أفرد لذكر الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري كتاباً أطلق عليه اسم : «البيان في أخبار صاحب الزمان» وهو مطبوع بنهاية كتابه الأول (كفاية الطالب) وكلاهما بغلاف واحد ، وقد تناول في البيان أُموراً كثيرة كان آخرها إثبات كون المهدي حيّاً باقياً منذ غيبته إلى أن يملأ الدنيا بظهوره في آخر الزمان قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . البيان في أخبار صاحب الزمان : ٥٢١ باب ٢٥.

(٣) عنون الفصل الثاني عشر من كتابه : (الفصول المهمة) بعنوان : «في ذكر أبي القاسم الحجة ، الخلف الصالح ، ابن أبي محمد الحسن الخالص ، وهو الإمام الثاني عشر» . وقد ←

والفضل بن روزبهان المتوفى بعد سنة ٩٠٩ هـ[(١)]، وشمس الديـن

← احتج بهذا الفصل بقول الكنجي الشافعي : «ومما يدلّ على كون المهدي حياً باقياً منذ غيبته إلى الآن ، وإنّه لا امتناع في بقائه كبقاء عيسى بن مريم والخضر والياس من أولياء الله ، وبقاء الاعور الدجال ، وابليس اللعين من أعداء الله ، هو الكتاب والسنة» ثم أورد أدلته على ذلك من الكتاب والسنة ، مفصلاً تاريخ ولادة الإمام المهدي ٧ ، ودلائل إمامته ، وطرفاً من أخباره ، وغيبته ، ومدة قيام دولته الكريمة ، وذكر كنيته ، ونسبه ، وغير ذلك مما يتصل بالامام المهدي محمد بن الحسن العسكري . الفصول المهة لابن الصباغ المالكي : ٢٨٧ ـ ٢٠٠.

(١) قال في كتابه : ابطال الباطل كلاماً جليلاً بحق أهل البيت ثم قال : «ونعم ما قلت فيهم منظوماً :

سلام على المصطفى المجتبى — سلام على السيد المرتضى
سلام على ستنا فاطمة — من اختارها الله خير النسا
سلام من المسك انفاسه — على الحسن الألمعي الرضا
سلام على الأورعي الحسين — شهيد يرى جسمه كربلا
سلام على سيد العابدين — علي بن الحسين المجتبى
سلام على الباقر المهتدى — سلام على الصادق المقتدى
سلام على الكاظم الممتحن — رضيّ السجايا إمام التقى
سلام على الثامن المؤتمن — عليّ الرضا سيد الأصفيا
سلام على المتقيّ التقيّ — محمد الطيّب المرتجى
سلام على الأريحيّ النقي — عليّ المكرّم هادي الورى
سلام على السيد العسكري — إمام يجهزُ جيش الصفا
سلام على القائم المنتظر — أبي القاسم العرم نور الهدى
سيطلع كالشمس في غاسقٍ — ينجيه من سيفه المنتقى
قويّ يملأ الأرض من عدله — كما ملئت جور أهل الهوى

سلام عليه وآبائه وأنصاره، ما تدوم السما» . دلائل الصدق / المظفر ٢ : ٥٧٤ ـ ٥٧٥ من

محمد بن طولون الحنفي مؤرخ دمشق، المتوفى سنة ٩٥٣ هـ[1]، وأحمد بن يوسف أبو العباس القرماني الحنفي، المتوفى عام ١٠١٩ هـ[2]، وسليمان بن ابراهيم المعروف بالقندوزي الحنفي، المتوفى

← المبحث الخامس علماً بأن الشيخ محمد حسن المظفر نقل في كتابه (دلائل الصدق) كتاب (إبطال الباطل) بتمامه .

(١) قال في كتابه (الأئمة الاثنا عشر) عن الإمام المهدي : «كانت ولادته يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره (رضي الله عنهما) كان عمره خمس سنين» . الأئمة الاثنا عشر / ابن طولون الحنفي : ١١٧ .

ثم ذكر الأئمة الاثني عشر : وقال : «وقد نظمتهم على ذلك، فقلتُ :

عليك بالأئمة الاثني عشر ... من آل بيت المصطفى خير البشر
أبو تراب، حسنٌ، حسينُ ... وبغض زين العابدين شينُ
محمد الباقرُ كم علم درى ؟ ... والصادق ادع جعفراً بين الورى
موسى هو الكاظم، وابنه عليُّ ... لقبه بالرضا وقدرُهُ عليُّ
محمد التقيّ قلبه معمورُ ... عليُّ النقيُّ دُرُّهُ منثورُ
والعسكريُّ الحسنُ المطهَّرُ ... محمد المهديُّ سوف يظهرُ» .

الأئمة الاثنا عشر : ١١٨ .

(٢) قال في كتابه (أخبار الدول وآثار الأُوَل) في الفصل الحادي عشر : «في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح» : «وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، أتاه الله فيها الحكمة كما أوتيها يحيى صبياً . وكان مربوع القامة ، حسن الوجه والشعر ، أقنى الانف ، أجلى الجبهة... وأتفق العلماء . انظر الى قوله : (واتفق العلماء) وقارن بما يدعيه انصاف المتعلمين وبعض المغرر بهم من مزاعم باطلة تحت شعارات التصحيح. على أنّ المهدي هو القائم في آخر الوقت، وقد تعاضدت الاخبار على ظهوره ، وتظاهرت الروايات على اشراق نوره، وستسفر ظلمة الأيام والليالي بسفوره ، وينجلي برؤيته الظلم انجلاء الصبح عن ديجوره، ويسير عدله في الآفاق فيكون أضوء من البدر المنير في مسيره» . أخبار الدول وآثار الأُوَل / القرماني : ٣٥٣ ـ ٣٥٤، الفصل / ١١ .

عام ١٢٧٠ هـ[١]

واذاكانت اقداح الشاي الحار تتناوب الحضور والمغادرة،كان الجمع فقط هو الذي يتمتع بارتشاف ما فيها واحتسائه .. ولم يكن من نصيب حامد وسلمان سوى بسط هذه المعارف والعبّ منها .

سفر يسافر الى احدى المدن ... فيلتقي هناك احدهم ... بينما ذهب حامد الى توضيح مقالات كل من اشار اليهم من هؤلاء كان للحضور ان يطالبونهما بالكف عن مواصلة الحديث، وضرورة تأجيله الى وقت اخر .. بيد ان حامدكان قد اصر في نفسه على اسماع سلمان آراء هؤلاء الذين يعتد هو ومن معه بهم ... حتى افحمه واقنعه بما ابداه من رأي استند في الاستدلال عليه الى كلمات ونظرات من يوثقهم سلمان ومذهبه . حتى قال حامد لسلمان :

ــ واذن، أكتفي بهذا القدر ، على أن ما تركته من اسماء العلماء الذين قالوا بولادة الإمام المهدي ، أو الذين صرحوا بكونه هو المهدي الموعود المنتظر في آخر الزمان هم اضعاف ما

---

(١) كان القندوزي من علماء الاحناف المصرحين بولادة الإمام المهدي وإنّه هو القائم المنتظر ، وقد مرت أقواله واحتجاجاته كثيراً في هذا البحث ولابأس بذكر قوله : «فالخبر المعلوم المحقق عند الثقات أن ولادة القائم كانت ليلة الخامس عشر من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين في بلدة سامراء» . ينابيع المودة ٣: ١١٤ في آخر الباب / ٧٩.

ذكرته ، وقد أشرت في البداية الى الاستقراءات السابقة التي اعتنت باعترافاتهم وسجلت اقوالهم .

۞ ۞ ۞

(٢٦)

وذات اصيل، جلس حامد لوحده مختلياً بنفسه في الغرفة،كان يستمع الى المذياع بصوت خفيض ..كان هادئاً بكل ما فيه .. حتى افكاره كانت مشبعة بارض خصبة من السكينة، لم يدر كيف دخلت الى قلبه مثل هذه الايحاءات الحانية حتى جعلت منه مخلوقاً طافياً فوق سطح بحر من الهدوء والطمأنينة . عندها قطعت عليه سميرة وحي استرسالاته، وذلك بعد ان اقتحمت عليه الغرفة، وقوضت اركان عزلته، قالت له، ان سلمان على الهاتف .

ــ ماذا ؟

ــ سلمان وراء الخط، يرغب في الحديث معك ...

واذا بالمناظرة غير المرتقبة تعلن عن نفسها، وذلك بعد ان ودَعَت كل مصاريعها مشرعة .. حتى كان للمجلس ان يتكرر وجه الحضور فيه ، فبدى على محيا سلمان سيماء الغرور، وكأنه اراد ان

يتفادى ماكاله له حامد، كيما يعتاض عما خسره بالامس، فيكسبه في اليوم. فماكان منه الا ان عرض عليه جملة من الاسئلة والشبهات التي علقت الان في مخه، وذلك حينما اتصل به هاتفياً، كيما يجمع حامد سلسلة اجاباته عنها وردوده حولها. واذا بسلمان يبادر حامد بالسؤال:

ــ هل يمكنك ان تخبرني عن سبب خلو الصحيحين من أحاديث المهدي ؟

واذاكان صخب بعض حديث من كان حاضراً من الجمع، قد غطى المكان، لم يقو حامد على سماع كلام سلمان وبصورة جيدة وواضحة. فاستفسر منه متسائلا وعلى الفور:

ــ المعذرة، لم أفهم ما قلت ؟

ــ قصدت ان البخاري ومسلماً لم يرويا حديثاً في الإمام المهدي [١]. فالى ماذا يمكن ان توعزه وبنظرك ؟!

أمعن حامد في وجه صاحبه، واخذ ينتقي ما يريد قوله بهدوء:

ــ قبل مناقشة هذا الامر أود التأكيد على أمور (جعل يتصفح مفكرته من جديد، حيث كان ثمة ما اعده لمثل هذه الجلسة) :

الامر الأول، فيالصحيح المنقول عن البخاري انه قال عن كتابه

(١) انظر : الإمام الصادق / أبو زهرة : ٢٣٨ ـ ٢٣٩، المهدي والمهدوية / أحمد أمين : ٤١.

الصحيح : أخرجت هذا الكتاب عن مائة الف حديث صحيح ـ وفي لفظ آخر : عن مائتي ألف حديث صحيح ـ وما تركته من الصحيح أكثر ، فالبخاري اذن لم يحكم بضعف كل حديث لم يروه

ـ واذن ؟

ـ بل ما حكم عليه بالصحة يزيد علىٰ مجموع ما أخرجه عشرات المرات .

ـ والثاني ؟

ـ أما الثاني، فانه لا يعرف عالم من أهل السنة قط، قد قال بضعف ما لم يروه الشيخان . بل سيرتهم تدل علىٰ العكس تماماً فقد استدركوا علىٰ الصحيحين الكثير من الاحاديث الصحيحة ووضعوا لأجل ذلك الكتب .

ـ والثالث ؟

ـ بينما كان الامر الثالث يقول انه ومن مراجعة تعريفهم للحديث الصحيح لا تجده مشروطاً بروايته في الصحيحين أو أحدهما ، وكذلك الحال في تعريفهم للخبر المتواتر،

ـ ؟!

ـ ومن هنا يعلم انه ليس من شرط صحة الخبر أو تواتره ان

يكون راويه البخاري أو مسلماً أو كلاهما ، بل وحتىٰ لو اتفق البخاري ومسلم علىٰ عدم رواية خبر متواتر، فلا يقدح ذلك الاتفاق بتواتره عند أهل السنة .

ـ كيف يمكن التمثيل لذلك ؟

ـ ان خير ما يمثل هذا هو حديث العشرة المبشرة بالجنة،كما هو معلوم عند أهل السنة الذين ذهبوا إلىٰ تواتره ولم يروه البخاري ولا مسلم قط . والامر الرابع الذي اريد التنويه به هو إن من تذرع في انكار ظهور الإمام المهدي بخلو الصحيحين من الأحاديث الواردة بهذا الشأن، لا يمكنه ان يدعي الاحاطة والعلم بواقع الصحيحين كما سأوضحه في جواب هذا الاحتجاج

وهنا بدت علامات التساؤل والانتباه على محيا صاحبه سلمان، فقال حامد متابعاً حديثه :

ـ وعليه، فنقول : انه لا يخفىٰ علىٰ أحد ، ان الاحاديث الواردة في الإمام المهدي قد تعرضت لبيان مختلف الأُمور كبيان اسمه الشريف، وبعض أوصافه ، وعلامات ظهوره ، وطريقة حكمه بين الرعية وغير ذلك من الأُمور الكثيرة الأُخرىٰ .

ـ والتنصيص على اسمه ؟

ـ ولا شك أنه ليس من الواجب التنصيص علىٰ لفظ

(المهدي) في كل حديث من هذه الاحاديث، لبدهية معرفة المراد من دون حاجة إلىٰ التشخيص . فمثلاً لو ورد حديث يبين صفة من صفات المهدي الموعود به في آخر الزمان مع التصريح بلفظ (المهدي) . ثم ذكر الموصوف بهذه الصفة في البخاري مثلاً لا بعنوان المهدي وانما بعنوان (رجل) مثلاً فهل يشك عاقل في أن الرجل المقصود هو المهدي ؟

ـ ؟!

ـ وإلّا، فكيف يعرف الاجمال في بعض الأحاديث ؟، وهل هناك طريقة عند علماء المسلمين شرقاً وغرباً غير رد المجمل إلىٰ المفصل سواء كان المجمل والمفصل في كتاب واحد أو كان كل منهما في كتاب .

ـ وعليه، فهل تدعي ان الصحيحين قد انطويا على احاديث بهذا الشأن ؟!

ـ بكل تأكيد ! فاذا ما عدنا إلىٰ الصحيحين، فاننا سنجد ان البخاري ومسلماً قد رويا عشرات الاحاديث المجملة في المهدي، وقد أرجع علماء أهل السنة تلك الاحاديث إلىٰ الإمام المهدي لوجود ما يرفع ذلك الاجمال في الاحاديث الصحيحة المخرجة في بقية كتب الصحاح أو المسانيد أو المستدركات . بل ونجد أيضاً

ما يكاد يكون صريحاً جداً بالامام المهدي في صحيحي البخاري ومسلم .

ــ هل يمكنك دعم هذا الادعاء ؟

ــ قبل ان أبين هذه الحقيقة، أودُّ ان أقول بأنّ حديث : المهدي حق، وهو من ولد فاطمة قد أخرجه أربعة من علماء أهل السنة الموثوق بنقلهم عن صحيح مسلم صراحة .

ــ الا انه وعند الرجوع . .

قاطعه حامد قائلا :

ــ أجل، فانه وعند الرجوع إلىٰ طبعات صحيح مسلم المتيسرة لا تجد لهذا الحديث أثراً !!

ــ ومن هم الذين صرحوا بوجود الحديث في الصحيحين، هل يمكن ان تذكر لي بعضاً منهم ؟

ــ أما من صرّح بوجود الحديث في صحيح مسلم وأخرجه عنه فهم : ابن حجر الهيثمي المتوفى عام ٩٧٤ هـ وذلك في الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر ، الفصل الأول : ص ١٦٣ . والثاني هو المتقي الهندي الحنفي المتوفى عام ٩٧٥ هـ وذلك في كنز العمال ج ١٤ ص ٢٦٤ حديث ٣٨٦٦٢ . أما الثالث، فهو الشيخ محمد علي الصبان المتوفى عام ١٢٠٦ هـ كما في اسعاف

الراغبين ص ١٤٥ . والرابع هو الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي، المتوفى عام ١٣٠٣ هـ حيث صرح بذلك في مشارق الانوار: ص ١١٢.

ـ ؟!

ـ وعلىٰ أية حال فإنّ قسماً من أحاديث الصحيحين لا يمكن تفسيره إلّا بالامام المهدي عليه السلام .

ـ هل هذا يعد اجتهاداً من طرفكم في فهم هذه المسائل ؟

ـ انه لم يكن هذا اجتهاداً منّا في فهم أحاديث الصحيحين ، وانما هو ما اتفق عليه خمسة من شارحي صحيح البخاري كما سأوضحه لك في محله .

ـ هل يمكن ان توضح لنا ما تشير اليه في كلامك هذا ؟

ـ لقد اقتصر البخاري في صحيحه علىٰ رواية خروج الدجال وفتنته[1] . بينما وردت في صحيح مسلم عشرات الاحاديث في خروج الدجال، وسيرته ، وأوصافه ، وعبثه، وفساده، وجنده، ونهايته[2] .

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٥ كتاب الانبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل و٩ : ٧٥ كتاب الفتن باب ذكر الدجال .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٢٣ و ٥٨ ـ ٧٨ كتاب الفتن واشراط الساعة.

وفي هذه الاثناء انضمت الى الاجتماع ليلى اخت سميرة زوجة حامد ،كان يراقبها حامد ويتطلع الى ما تريد ان تفوه به قبل ان تخبره به .كأنما شعر هو الاخر بأنها تريد ان تلج معترك السباق .. وتظهر حجم عضلاتها .. الا انه لم يعرها اهتماماً واستاق كلمه يحدث صاحبه، فقال له :

ــ وقد صرح النووي في شرح صحيح مسلم بأنّ هذه الاحاديث الواردة «في قصة الدجال، حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده ، وانه شخص بعينه ابتلىٰ الله به عباده ـإلىٰ أن قال ـ: هذا مذهب أهل السنة، وجميع المحدثين، والفقهاء، والنُّظار»[١]

ــ وما علاقة هذه الاحاديث بظهور المهدي ؟

تساءلت ليلى بتعجب، اثار الاجواء اكثر من حوالي حامد، حتى ان سلمان نفسه، لم يكن ليتحسس مثل هذا المدد من قبل، فالتفت اليها وهو يهز برأسه اشارة منه لتأكيد سؤالها وتأييدها عبر دعمه لها . أجابها حامد، وهو يقول :

ــ ان هذه العلاقة لتظهر وبوضوح من شهادة اعلام أهل السنة بتواتر أحاديث المهدي وظهوره في آخر الزمان وخروج عيسىٰ ﷺ معه فيساعده علىٰ قتل الدجال، وقد مرّت اقوالهم في

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٥٨.

اثبات تواتر تلك الأحاديث .

فقالت ليلى :

ـ هل يمكنك الاخبار عما ورد في الصحيحين مما يتعلق بنزول عيسى ؟

قال حامد :

ـ أخرج البخاري ومسلم كلٌ بسنده عن أبي هريرة انه قال : « قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ؟[١] . وفي صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبدالله قال: سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أُمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة، قال : فينزل عيسىٰ بن مريم ﷺ، فيقول أميرهم تعال صلِّ لنا فيقول : لا، إنّ بعضكم علىٰ بعض أمراء تكرمة لهذه الأُمّة[٢] .

فران على ليلى وسلمان ليل من الصمت والهدوء .. بينما تعاود صوت حامد وهو يقول :

ـ وإلىٰ هنا يتضح ان امام المسلمين الذي سيكون موجوداً

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٥ باب ماذكر عن بني اسرائيل، وصحيح مسلم ١ : ١٣٦ / ٢٤٤ باب نزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام، وقد وردت أحاديث اخرىٰ بهذا المعنىٰ في كل من البابين المذكورين.

(٢) صحيح مسلم ١ : ١٣٧ / ٢٤٧ باب نزول عيسىٰ عليه السلام .

عند نزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام كما في الصحيحين انما هو أمير الطائفة التي لا تزال تقاتل علىٰ الحق إلىٰ يوم القيامة كما في صحيح مسلم، بحيث يأبىٰ عيسىٰ من إمامة تلك الطائفة وأميرها في الصلاة تعظيماً واجلالاً وتكرمة لهم وهذا هو صريح حديث مسلم من غير تأويل .

كان لابي سميرة زوجة حامد ان يتأثر هو الاخر بهذه الاحاديث، ودفعاً لتفعيل آثار ونتائج مثل هذا التأثر، كان له ان ينهض وينصرف الى اعماله الخاصة .. ولم يظهر منه ايما آيات ضجر او تأفف، بل كان نزيهاً في تملصه من بين الحضور الذي لم يشعر بمغادرته الا زوجه ام سميرة، والتي لم يكن لها ان تعي من الموضوع الا من يكون الفائز والخاسر ! قال حامد :

ــ واذا ما عدنا إلىٰ كتب الصحاح الأُخرىٰ والمسانيد وغيرها نجد الروايات الكثيرة جداً التي تصرح بأنّ هذا الإمام ـ أمير الطائفة التي تقاتل علىٰ الحق إلىٰ يوم القيامة ـ هو الإمام المهدي عليه السلام لاسواه .

ــ هل يمكن الاستشهاد ببعض منها، وذلك للاستدلال على ما تقول ؟

سأله سلمان، اجاب حامد :

ـاجل، فمنها : ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن سيرين، وذلك في المصنَّف ١٥ : ١٩٨ / ١٩٤٩٥ .: المهدي من هذه الأئـمة وهـو الذي يؤم عيسىٰ بن مريم . ومنها : ما أخرجه أبو نـعيم عـن أبـي عمرو الداني في سننه بسنده عن حذيفة انه قال : «قال رسول الله ﷺ: ... يلتفت المهدي وقد نزل عيسىٰ ابن مريم كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي : تقدم صلِّ بالناس ، فيقول عـيسىٰ: انما اقيمت الصلاة لك، فيصلي خلف رجل من ولدي .

تساءلت ليلى :

– اين ورد هذا الاخير، اين قلت ؟

– لقد ورد في الحاوي للفتاوى / السيوطي ٢ : ٨١

بينما تابع الحديث، وهو يقول :

– وبعد فلا حاجة للاطالة في ايراد الاحاديث الأُخرىٰ الكثيرة المبينة بأنّ المراد بالامام في حديث الصحيحين هو الإمام المهدي عليه السلام[1].

– وهل جمع احدهم مثل هذه الاحاديث ؟

استفسر سلمان، فقال حامد :

---

(١) راجع سنن الترمذي ٥ : ١٥٢ / ٢٨٦٩، مسند أحمد ٣ : ١٣٠، الحاوي للفتاوى ٢ : ٧٨، فيض الغدير للمناوي ٦ : ١٧.

ـ اجل، فلقد جمع معظم هذه الاحاديث السيوطي في رسالته (العرف الوردي في اخبار المهدي) المطبوعة في كتابه الحاوي للفتاوى، ٢ : ٨٠ أخرجها من كتاب الاربعين للحافظ أبي نعيم وزاد عليها ما فات منها على أبي نعيم كالاحاديث التي ذكرها نعيم بن حماد الذي قال عنه السيوطي : «وهو أحد الأئمة الحفاظ، وأحد شيوخ البخاري» .

ـ ؟!

ـ أما ما اريد ان اقوله الان هو أن من راجع شروح صحيح البخاري يعلم بأنهم متفقون على تفسير لفظة (الإمام) الواردة في حديث البخاري بالامام المهدي .

هتفت به ليلى :

ـ كيف نستدل على صحة ما تقول ؟

قال وهو يتابع رعشات انتفضت ما بين حاجبيها، حالت الانفلات من ابدائها واضحة، بيد انها لم تقو على محوها .. فمنعت تثير البصر من ملاحقتها .. تخلى عندئذ حامد عن مطاوعتها بالنظر .. فقال :

ـ لقد جاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري التصريح بتواتر احاديث المهدي اثناء شرحه لحديث البخاري المتقدم حتى

قال: وفي صلاة عيسىٰ ﷺ خلف رجل من هذه الأُمّة، مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الاقوال: إن الارض لا تخلو عن قائم لله بحجة[١] .

اضاف قائلا، بعد ان ارتشف رشفة من قدح ماء كان الى جانبه:

ــ كما فسره في ارشاد الساري بشرح صحيح البخاري بالمهدي، مصرحاً باقتداء عيسىٰ بالامام المهدي ﷺ في الصلاة[٢] . كما نجد هذا في عمدة القاري بشرح صحيح البخاري[٣] ، وأما في فيض الباري فقد أورد عن ابن ماجة القزويني حديثاً مفسراً لحديث البخاري ثم قال : فهذا صريح في أن مصداق الإمام في الاحاديث ، هو الإمام المهدي ـإلىٰ أن قال: ـوبأيّ حديث بعده يؤمنون ؟[٤] .

ــ ؟!

بينما تملّى حامد جيداً في مفكرته، وصار بعدها يعرض ما لديه من فكر، صار يأخذ مأخذه في كل الحضور ـالذي جعل يصير وكأن الطير على رؤوسهم ـلا سيما ليلى وسلمان. فقال:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦ : ٣٨٣ـ ٣٨٥.

(٢) ارشاد الساري ٥ : ٤١٩ .

(٣) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ١٦ : ٣٩ـ ٤٠ من المجلد الثامن.

(٤) فيض الباري على صحيح البخاري ٤ : ٤٤ـ ٤٧ .

ـ وأما في حاشية البدر الساري إلىٰ فيض الباري فقد اطال في شرح الحديث المذكور مبيناً ضرورة شارح الاحاديث إلىٰ الرجوع إلىٰ أحاديث الصحابة الآخرين في كتب الحديث ذات الصلة بالحديث الذي يراد شرحه ، وقد جمع من تلك الاحاديث المبينة لحديث البخاري ما حمله علىٰ التصريح بأن المراد بالامام هو الإمام المهدي عليه السلام قال : وقد بين هذا المعنىٰ حديث ابن ماجة مفصلاً، واسناده قوي[1] .

في حين كان الجدال مستعراً، كانت سميرة ما تنفك تراقب زوجها بكل افتخار، وكان لها ان تنسى انها سنية، وان الذي يدافع عن مذهب الشيعة ماكان الا بعلها .. حتى كانت تزداد اعتزازاً به واجلالا له .

تساءلت ليلى :

ـ هل لديك أشياء اخرى مما يتعلق بالصحيحين، او باحدهما؟

ـ بكل تأكيد، فلقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبدالله انه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: يكون في آخر أُمتي خليفة يحثي المال حثياً، لايعده عداً .

---

(١) حاشية البدر الساري إلىٰ فيض الباري ٤ : ٤٤ ـ ٤٧.

ـ اين ذكر في الصحيح وبأي شرح ؟

اجابها :

ـ بشرح النووي ١٨ : ٣٨.

ـ وقد رواه من طرق أُخرىٰ عن جابر، وأبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم ١٨ : ٣٩. وصفة احثاء المال (مبالغة في الكثرة) ليس لها موصوف قط غير الإمام المهدي ؑ في كتب أهل السنة ورواياتهم.

سأله سلمان :

ـ هل يمكن ان تذكر لنا نبذاً منها ؟

ـ فمنها : ما أخرجه الترمذي في سننه ٤ : ٥٠٦ / ٢٢٣٢. وحسّنه بسنده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال : إنَّ في أُمتي المهدي -إلىٰ ان قال ـ : فيجيء اليه الرجل فيقول : يا مهدي اعطني اعطني فيحثي المال له في ثوبه ما استطاع أن يحمله . وهذا هو المروي أيضاً عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أيضاً ومن عشرات الطرق .

ـ عشرات الطرق، مثلا ؟

أجابه حامد :

ـ المصنف لابن أبي شيبة ١٥ : ١٩٦ / ١٩٤٨٥ و ١٩٤٨٦،

ومسند أحمد ٣ : ٨٠، والمصنف لعبد الرزاق ١١ : ٣٧١ / ٢٠٧٧٠، ومستدرك الحاكم ٤ : ٤٥٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٦ : ٥١٤، وتاريخ بغداد ١٠ : ٤٨، وعقد الدرر للمقدسي الشافعي : ٦١ باب / ٤، والبيان للكنجي الشافعي : ٥٠٦ باب / ١١، والبداية والنهاية ٦ : ٢٤٧، ومجمع الزوائد ٧ : ٣١٤، والدر المنثور ٦ : ٥٨، والحاوي للفتاوى ٢ : ٥٩ و ٦٢ و ٦٢ و ٦٤.

بينما ارادت ليلى حرف دفة الحديث في داخل نطاق الموضوع، فسألته قائلة :

ــ هل يمكن ان تخبرنا اليسير عن أحاديث خسف البيداء في صحيح مسلم، او هل نص الصحيح عليها واخبر عنها او حتى نوه بها ؟!

ود حامد لو يعرب لهما عن ضرورة توثيقهم لحالة اجمل من هذه التي يعتمدونها كيما يستفزونه .. وانه ليس بعالم في التاريخ او علوم الحديث او القرآن .. ودّ لو اعانا انفسهما عليها، وطلبا منه العون، او استمدا منه وجه الحب كيما ينبث كل ما لديه فينتشر بينهم اجمع، لان المماطلة في السؤال ماكانت لتبعث في نفس حامد الا ان الاطراف المعنية، اخذت تبحث عن معاني فوز او خسارة، او ارهاق الخصم واخراجه من ساحة اللعب، بدلا من

ممارسة نوع من اللعب النزيه القائم على عرض كافة القدرات الواقعية وبيان اصالة الطاقات الواعية، وانصاف الحقيقة حتى وان كمنت خلف ستائر نسيان الازمنة العتيقة، ومضارب قبائل القرون الخاليات .. في حين اسعفه الحظ، حينما وجد انه قد دون بعض ما ارادته منه ليلى في هذا الخصوص . فقال :

ــ أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبيد الله بن القبطية انه قال : دخل الحارث بن أبي ربيعة، وعبدالله بن صفوان، وانا معهما على أم سلمة أُم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به ـ وكان ذلك في أيام ابن الزبير ـ فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعوذ عائذ في البيت، فيبعث اليه بعث، فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم .

ــ اين ورد هذا في الصحيح، هل قيدت العنوان كيما اراجعه ؟

ــ انه في صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٤و٥و٦و٧.

قالت ليلى، بينما انبرى سلمان فجأة ليعرب عن مسار آخر، وهو يقول :

ــ لربما كان هذا الحديث من وضع الزبيريين أبان ما كان من أزمة عبدالله بن الزبير مع الامويين التي انتهت بقتله .

ــ لا .. لا يمكن هذا، لان الواقع هو ليس كذلك، او بالاحرى

هو ليس كما تتصور، فلقد روي الحديث من طرق شتىٰ عن ابـن عباس، وابن مسعود ، وحذيفة، وأبي هريرة، وجد عـمرو بـن شعيب، وأُم سلمة، وصفية ، وعائشه ، وحفصة ، ونفيرة امـرأة القعقاع وغيرهم من كبار الصحابة ، مع تصحيح الحاكـم لبـعض طرقه علىٰ شرط الشيخين .

ـ ؟!

ـ كما في مسند أحمد ۳ : ۳۷، سنن الترمذي ٤ : ٥٠٦ / ۲۲۳۲، ومستدرك الحاكم ٤ : ٥٢٠ وتـلخيص المسـتدرك للـذهبي ٤ : ٥٢٠، وأخرجه أبو داود في سننه بسند صحيح كما نـص عـلىٰ ذلك فـي عون المعبود شرح سنن أبي داود ۱۱ : ۳۸۰ شرح الحديث ٤٢٦٨. وقد جمع السيوطي الكـثير مـن طـرق الحـديث ومـن رواه مـن الصحابة في الدر المنثور ٦ : ۷۱۲ ـ ۷۱٤ في تفسير الآية ٥١ من سورة سبأ. ومن بعد كل هذا كيف يمكن التشكيك في روايـات وردت في صحيح كصحيح مسلم، فان كان هذا التشكيك مفروغ منه فان هذا ليجعلنا نسحب مثله على سائر الاحاديث، والصحاح بـنظركم تجلّ عن مثل هذه المؤاخذات .

ـ ؟!

ـ وبالجملة فإنّ خسف البيداء يكون بـالجيش الذي يـقاتل

الإمام المهدي في لسان جميع الاحاديث الواردة فـي هـذا الشأن وهي تكفي لتوضيح المراد بحديث مسلم، قال في غاية المأمـول شرح التاج الجامع للاصول ٥ : ٣٤١ . وما سمعنا بجيش خسف به للآن، ولو وقع لاشتهر أمره كاصحاب الفيل .

ــ واذن ؟

قالت ليلى، اجابها حامد :

ــ واذن، فلا بدّ من وقوع الخسف بأعداء المهدي ان عاجلاً أو آجلاً .

✪ ✪ ✪

(٢٧)

كان حامد قد اشتغل في ادارة اعمال ابيه منذ مدة، اكتسب فيها المعلومات التي اضافها الى معلوماته التي اكسبه اياها اباه، من قبل، حينما كان يصطحبه واياه الى مبنى الشركة، او ما يتصل بـها مـن شعب وفروع، فضلا عن انه كان قد صنع منه شخصاً يعتمد عليه في الامور الطارئة، الا انه كان يفضل ان يجزله لبّ ما يخلص من كل هذه الامور ، فيدعه وشؤونه التجارية كافة على حالة من الاستظهار المفصح عن كل حقائقها بحيث لا ينحسر شيء الا ويتجلى لحامد ماكان ومن اين انسحب ، ليكون ضلع العمل المتمم لمهامه التي ينبغي ان يضطلع بها، بل هو الضلع الذي لا يتكامل مثلث او مربع او مستطيل العمل الا به !كذلك اراده الاب في مثل هذه اللحظات، فكانت هـذه الاسـتعدادات السـابقة قـد كست حـامد بشـيء مـن الاعتماد على النفس، اعانه في هذه الفترة لصقل كل ما اكتسبه في

الماضي، وحيث انه كان نابغة في العلوم الرياضية، استطاع وباسرع وقت ولا كثر مما مضى، ان يفيد من كل ما اراده له والده ان يتعرف عليه من شؤون العمل وما يتعلق بمعاملاته التجارية، بحيث لو طرأ على صحة ابيه، ومن بعد اليوم ايما طارىء او عارض صحي وغيره ، لكان لحامد ان يأخذ مكان ابيه، ويحل محله في محيط العمل، ومن دون ان يمس قالب مساره ايما تقهقر او تردّي يفصح عن تدهور اوضاع الشركة التجارية . فكان حامد قد اطلع في تلك الفترات الماضية على كل صغيرة وكبيرة في شركته، حتى اذا ما اراده اليوم وبهذا الشكل وهذه الصيغة، وتحت مثل هذا العنوان الصريح : القائم باعماله ! فلم يكن ابوه ليدع ايما شاردة او واردة في مهام اعماله الا أطلع حامد عليها . فسواء ماكان منه على صعيد الاوراق المالية، والاسهم والصكوك ورواتب العاملين، والمعاملات التجارية المتعلقة بالصادر والوارد، وما يتصل بها من ضرائب وحسوم ، فضلا عن فنون التعامل ومسالك التجارة، وكشف مهازل الخصوم، والتعرف على اساليب الغرماء، وفضح ألاعيب المنافسين، واماطة اللثام عن كل سر وخفاء، بعيداً كان او قريباً .. هذا فضلا عن تغذيته بسبل الوعي الفني والعلمي بطرق الدعاية والاعلام، ومعرفة الصديق من العدو، والمنافق من

المخلص، والابتعاد عن الحرام والعمل بكل ما يرضي الله من حلال وطيب .. وعدم الانخداع والظلم، أو الاغترار والوقوع في شَرَك الآخرين وفخاخ مخاريقهم . ومع كل هذا، فانه ماكان وبعد هذا كله، الا ان صار يقرأ في نفسه مؤاخذات عدة، ليسجل بعدها في ذاته صحيفة من مستنذات ووثائق ينتقد فيها سياسة ابيه التجارية .. التي ما رآها الا منهجاً يكاد يفتقر في بعض جزئياته الى الدقة او السلامة في التعامل .. الا انه آثر ان لا يضجر والده بمثل هذه الاشياء .. ولربماكان يشعر فيما صنعه ابوه من خلال تهيئته واعداده لمثل هذه الايام ، هو نوع من التدارك الذي ارتآه الاب، كيما يعوض عن كل سالب،كان قد أوقد لهبه في عرين شركته !

٥ ٥ ٥

(٢٨)

وعلى حين غرة، جاء اليوم الذي يجب فيه على حامد ان يتعلم كيف يتصرف في رحلات السفر التجارية .. وكيف يدخل في غمار تلك التعاملات ولو انه كان بعيداً عن هذا المحيط .. او ان توجهاته كانت تفرض عليه شيئاً اخر .. الا انه آثر الحفاظ على ميراث العائلة، وبالتالي سيمكنه من خلال ذلك الوصول الى ما يطلب لانه تأكد لديه ما ورد عن المعصوم من ان هذا الدين لم يقم الا بسيف علي بن ابي طالب وأموال خديجة . وبالرغم من ان مثل هذه الرحلات الاعمالية ماكانت لتسجل رقمها الاول لدى حامد، الا انها في هذه المرة كان لها ان تتقيد بصور وصيغ اخرى، لانها كانت تحمّل حامد مشاق اكثر ومهام اعسر .. وهي تحمل مسؤولية العقود، لانه هو الذي صار يمضي ويوقع على المعاملات، وبمشهد من ابيه الذي كان يتطلع اليه بكل فخر وابهة، وهو الذي كان يدرك

حقيقة رغبات ولده، الا انه هو الاخر كان يجد نفسه مرغماً على اقحام ولده في لجة هذه النشاطات كيما يقوم على أود العائلة ونفسه وذريته في المستقبل .. فاذا ما اوكل هذه المهام الى غيره، فعلى اقل التقادير ما عليه الا ان يفهم ماذا يفعل هذا النائب عنه في شركة ابيه واعماله التجارية .. فيدرك ما يدور حوله، ويفهم كيف يميز الخبيث من الطيب، ويعرف الصدق من الكذب كيما لا تسترق جهود ابيه، وتختلس اموال العائلة، سواء في الوقت الحاضر ام في المستقبل !

وبعد العودة من هذه الرحلة، كان لابيه ان يعرض لولده شيئاً من مناوراته أيام استبصاره .. انه لم يتقدم به العمر فجأة، بل ان زواجه كان متأخراً، لذا كان الابن البكر حامد يتطلع الى والده وقد اخذت سنين العمر منه كل مأخذ، هذا ان لم يحسب ايما حساب للشيب الذي وخط رأسه، وغزى مفرقه حتى استشرى في معظمه. قال له :

ــ اني لاتذكر كيف كانت احدى جولات استبصاري .

ــ كيف يا ابي ..

كان الاب ينظر الى الابن، وهو يشعر كيف يحس ولده الذي انقلب محياه فجأة .. فصار يستبشر بما يود رب العائلة ان يطلعه

عليه ، فهذا الاخر هو جزء من مناورات العمل الحياتية . قال الوالد

ــ واحدة منها هي اني كنت اسمع عن ابن خلدون واخصه بكل عناية واهتمام، وذلك من الناحية الفكرية والعلمية .. الا اني اكتشفت بعد مداولات بحثية وسلسلة من اللقاءات مع عقليات نافذة ، وقراءات ومطالعات استنفدت فيها وقتاً لا بأس به .. وبالرغم من ان الذي يود الاستبصار والتعرف على الحقيقة، هو لربما كان في غنىً عن البحث فيها الا انه لا ادري وقتها، ما الذي كان يدعوني الى التنقيب عنها، والوقوف عليها، حتى قال لي احدهم، وكان طالباً روحانياً :

ــ ان ابن خلدون هو ممن ساهم في التعمية، واخفاء الكثير من الحقائق .

ثرت وقتها في وجهه، واستحضرت في ذهني ما كنت اسمعه في ايام دراستي عنه تحت عنوان المؤرخ الكبير والعظيم .. فضلا عما كان يطلع حيال بصري في بعض الوقت من اعلانات خاصة بمؤتمرات تتعلق به سواء من قريب او بعيد، أو اسمع الحديث عنه في المذياع او التلفاز .. هذا في الوقت الذي لا اعرف عنه ايما شيء يمكّنني من ان اناجز الاخرين في الدفاع عنه، او حتى ان احكي

وانافح عنه . فقال لي الرجل :

ــ على مهلك يا هذا، انا لم اقلّل من شأن الرجل، بل ما اقوله هو انه قد خضع لوطأة سلطان الهوى ان لم نقل سلطان الدولة .

قلت له :

ــ كيف ؟

فقال :

ــ لقد تذرع منكرو عقيدة ظهور الإمام المهدي عليه السلام بتضعيفات ابن خلدون لبعض أحاديث المهدي، وللأسف إنهم لم يلتفتوا إلىٰ ردود علماء الدراية من أهل السنة علىٰ ابن خلدون، وتناسوا أيضاً تصريح ابن خلدون نفسه أثناء تضعيفه لبعض الأحاديث الواردة في الإمام المهدي بصحة بعضها الآخر.

فقلت له :

ــ لا افهم ما تقول، اقصد لا ادركه على وجه الدقة !

قال :

ــ يقول الاستاذ الازهري سعد محمد حسن ـ تلميذ الاستاذ أحمد أمين ـ عن أحاديث المهدي : ولقد أوسع علماء الحديث ونَقَدَتِه هذه المجموعة نقداً وتفنيداً ، ورفضها بشدة العلاّمة ابن

خلدون[١] . ومثل هذا الزعم نجده عند أُستاذه أحمد أمين[٢] ، وكذلك عند أبي زهرة[٣] ، ومحمد فريد وجدي[٤] ، وآخرين كالجبهان[٥] ، والسائح الليبي الذي قال : وقد تتبع ابن خلدون هذه الأحاديث بالنقد ، وضعفها حديثاً حديثاً[٦] .

ــ والحقيقة اين تكمن ؟

قلت له ذلك، أجابني حينها :

ــ انه مما لا شك فيه، ان ابن خلدون نفسه من القائلين بصحة بعض أحاديث المهدي وضعف بعضها الآخر، وهذا لم يكن اجتهاداً منا في تفسير كلام ابن خلدون بل الرجل صرّح بهذا في تاريخه كما سأوافيك بنقل نص كلامه . ويبدو لي أن الأُستاذ أحمد أمين لم يرَ تصريح ابن خلدون بصحة بعض الأحاديث، فأشار إلىٰ تضعيفاته فقط، ثم نقل هؤلاء عنه ذلك مع صياغة جديدة في التعبير من دون مراجعة تاريخ ابن خلدون !

---

(١) المهدية في الإسلام : ٦٩.

(٢) المهدي والمهدوية : ١٠٨.

(٣) الإمام الصادق : ٢٣٩.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ١٠ : ٤٨١.

(٥) تبديد الظلام للجبهان : ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

(٦) تراثنا وموازين النقد / علي حسين السائح الليبي : ١٨٥. مقال منشور في مجلة كلية الدعوة الاسلامية في ليبيا، عدد / ١٠ لسنة ١٩٩٣ م ـ طبع بيروت.

بينما عقب على كلامه، فقال :

ــ ثم لو فرضنا أن ابن خلدون لم يصرح بصحة شيء من أحاديث المهدي ، أفلا يكفي تصريح غيره من علماء الحديث والدراية بصحة أحاديث المهدي وتواترها ؟ مع أن اختصاص ابن خلدون هو التاريخ والاجتماع !! ثم ما هو المقدار الذي ضعفه ابن خلدون حتىٰ يُضخّم عمله بهذه الصورة ؟ إنه لم يضعّف سوىٰ تسعة عشر حديثاً فقط من مجموع ثلاثة وعشرين حديثاً فقط، وهو المجموع الكلّي الذي تناوله ابن خلدون بالدراسة والنقد ، لا أكثر، وهو لم يذكر من الذين أخرجوا أحاديث المهدي غير سبعة فقط وهم : الترمذي، وأبو داود، والبزّار، وابن ماجة، والحاكم، والطبراني، وأبو يعلىٰ الموصلي[1] ، تاركاً بذلك ثمانية وأربعين عالماً ممن أخرج أحاديث المهدي أولهم ابن سعد صاحب الطبقات المتوفى عام ٢٣٠ هـ وآخرهم نور الدين الهيثمي المتوفى عام ٨٠٧ هـ.

ــ تاركاً الاشارة الى كل هذا العدد الهائل من العلماء ؟

ــ وليس هذا فقط، بل انه لم يذكر من الصحابة الذين اُسندت

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١ : ٥٥٥، الفصل / ٥٢.

إليهم أحاديث المهدي إلّا أربعة عشر صحابياً[1]، تاركاً بذلك تسعة وثلاثين صحابياً آخر. علماً بأنه لم يذكر من أحاديث الصحابة الأربعة عشر إلّا اليسير جداً، بحيث تتبعنا مرويات أبي سعيد الخدري وحده ـ وهو من جملة الاربعة عشر ـ فوجدناها أكثر من العدد الكلي الذي تناوله ابن خلدون. بل وحتىٰ الذي اختاره من أحاديث أبي سعيد الخدري لم يذكر سائر طرقه بل اكتفىٰ باليسير منها لعدم علمه ببقية طرق الحديث الأُخرىٰ، ومن راجع ما ذكرناه من طرق أحاديث المهدي وقارنه بما في تاريخ ابن خلدون ـ الفصل ٢٥ من المجلد الأول ـ عَلِمَ علم اليقين بصحة ما نقول.

ـ وبذلك كان له ان يتعرض الى النقد والمؤاخذات ؟

ـ بالضبط ! فانه ومن هنا، كان قد تعرض ابن خلدون إلىٰ مؤاخذات عنيفة، وردود مطوّلة ومختصره، وفي هذا الصدد يقول أبو الفيض الشافعي في (ابراز الوهم) في الرد علىٰ من تذرّع بتضعيفات ابن خلدون: في الناس اليوم ممن يخفىٰ عليه هذا التواتر ويجهله ويبعده عن صراط العلم جهله، ويصدّه من ينكر ظهور المهدي وينفيه، ويقطع بضعف الأحاديث الواردة فيه، مع جهله بأسباب التضعيف، وعدم إدراكه معنىٰ الحديث الضعيف،

(١) تاريخ ابن خلدون : ٥٥٦.

وتصوره مبادىء هذا العلم الشريف، وفراغ جرابه من أحاديث المهدي الغنية بتواترها عن البيان لحالها والتعريف، وإنما استناده في إنكاره مجرد ما ذكره ابن خلدون في بعض أحاديثه من العلل المزورة المكذوبة، ولَمَزَ به ثقات رواتها من التجريحات الملفقة المقلوبة، مع أنّ ابن خلدون ليس له في هذه الرحاب الواسعة مكان ، ولا ضرب له بنصيب، ولا سهم في هذا الشأن ، ولا استوفىٰ منه بمكيال ولا ميزان . فكيف يعتمد فيه عليه، ويرجع في تحقيق مسائله اليه ؟ ! فالواجب : دخول البيت من بابه، والحق : الرجوع في كل فن إلىٰ أربابه، فلا يقبل تصحيح أو تضعيف إلّا من حفّاظ الحديث ونقّاده[1] . ثم نقل بعد ذلك عن جملة من حفّاظ الحديث ونقّاده قولهم بصحة أحاديث المهدي وتواترها .

واذكر حينها (تابع الاب كلامه) ان الرجل كان يستطرد في كلامه، فكنت اشعر به كما لو كان روح من التوتر قد ألتمس له مخرجاً في سحنة وجهه، ووجد اليه منفذا وسبيلا حتى تمكن منه كأني انظر اليه الان كيف كان يتحدث، بالرغم من اني وقتها اشرت عليه بذلك، واخبرته بضرورة عدم الانفعال، لان ثورة الباحث ربما جنت عليه، فاضاعت عليه تقصي الحقيقة واستجلاء غوامض

(۱) البزار : ٤٤٣.

الواقع ..كما يمكن ان تجني على التجار في خضم اعمالهم، فتحرق في ساعات ما بنوه في اعوام، فاستجاب لي ونزل عند رغباتي حتى عاد الى كلامه وهو يقول :

وقال الشيخ أحمد شاكر : ابن خلدون قد قفا ما ليس له به علم ، واقتحم قحماً لم يكن من رجالها، انه تهافت في الفصل الذي عقده في مقدمته تهافتاً عجيباً، وغلط أغلاطاً واضحة . إنّ ابن خلدون لم يحسن فهم قول المحدّثين، ولو اطّلع علىٰ أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال[١] . وقال الشيخ العباد : ابن خلدون مؤرخ وليس من رجال الحديث فلا يعتد به في التصحيح والتضعيف ، وإنما الاعتماد بذلك بمثل البيهقي ، والعقيلي ، والخطابي ، والذهبي ، وابن تيمية ، و ... (توقف خلالها الاب عن الكلام،كأنماكان يحاول ان يجتر ذاكرته، ويستعيد تلك الايام كيما يحضر نصوص تلك المناقشات) و ..و .. أجل .. ابن القيّم ، وغيرهم من أهل الرواية والدراية الذين قالوا بصحة الكثير من أحاديث المهدي[٢] .

---

(١) الرد على من كذب بالاحاديث الصحيحة الواردة في المهدي : مقال للشيخ عبد المحسن ابن حمد العباد، منشور في مجلة الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة العدد / ١ السنة / ١٢ برقم (٤٦) سنة ١٤٠٠هـ.

(٢) المصدر السابق.

فقلت له :

ــ والنتيجة ؟ !

فقال :

ــ وعلىٰ أية حال فإنّ حجة المتمسكين بتضعيفات ابن خلدون ماكانت الا حجة داحضة لاعتراف ابن خلدون نفسه بصحة أربعة أحاديث من مجموع ما ذكره

قلت له :

ــ هل تذكر منها ؟

قال :

ــ وهي : ما رواه الحاكم من طريق . .[1] فقد سكت عنه ابن خلدون ولم ينقده بحرف واحد لوثاقة جميع رجاله عند أهل السنة قاطبة. وهو وإن لم يصرح بصحته إلّا ان سكوته دليل علىٰ اعترافه بصحة الحديث[2]. وما رواه الحاكم أيضاً من طريق . .[3] عن أبي سعيد الخدري . قال عنه ابن خلدون : صحيح الاسناد[4] . وما رواه الحاكم أيضاً عن علي عليه السلام حول ظهور المهدي وصححه

(١) عون الاعرابي عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١ : ٥٦٤ من الفصل / ٥٢.

(٣) سليمان بن عبيد، عن أبي الصديق الناجي .

(٤) تاريخ ابن خلدون ١ : ٥٦٤ .

الحاكم على شرط الشيخين . قال ابن خلدون : وهو إسناد صحيح كما ذكر[١] .كذلك ما رواه أبو داود السجستاني في سننه من رواية صالح بن الخليل ، عن أُم سلمة . قال ابن خلدون عن سنده : ورجاله رجال الصحيح لا مطعن فيهم ولا مغمز[٢] .

ثم طلع علي الرجل بحسابات خاصة كشفت عن تعامل ابن خلدون مع الاخبار وكتب الحديث ..

قال حامد :

ـ كيف يا ابي ؟

سأطلعك عليها .. لا زلت احتفظ بها . . استنسختها منه آنئذ في جهاز الاستنساخ ولم استظهرها . وكانت هي عبارة عن خلاصة توصلاته التحقيقية ونتائج ابحاثه المرهقة ـ حسب ما ادعى، بل ثمرة عمل ايام وليال طوال ـ.

ـ جميل حقاً !

وبعد بحث عنيد عنها، عثر عليها الاب أخيراً، فسلمها الى ولده كيما يطالعها حتى تأكد لحامد مقدار دقة ابيه الذي احتفظ بمثل هذه النسخة التي لا ترتبط بأوراق عمله التجاري ! الا انه

(١) تاريخ ابن خلدون ١ : ٥٦٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١ : ٥٦٨ .

كذلك لم يخف حدسه في اسباب احتفاظ ابيه بمثل هذه النسخة، فلربما فعل كذلك لاشتمالها على لون من ألوان المعاملات الحسابية والمعادلات الرياضية .

ــ سأفعل يا والدي .. سأطالعها .

انتهز حامد فرصة ما للنظر في هذه النسخة فوجدها تضمن حواراً علمياً وجدلا عقلياً فقرأ فيها :

إنَّ لغة الارقام الحسابية لا تقبل نقاشاً ولا جدلاً، وسوف نُخضع نتائج البحث في تضعيفات ابن خلدون إلىٰ تلك اللغة لنرىٰ القيمة العلمية لعمله علىٰ جميع الافتراضات المحتملة، وذلك بعد تصنيف أحاديث المهدي عليه السلام واستقرائها من ألف مجلد كما في (معجم أحاديث المهدي) ويقع في خمسة مجلدات اشتملت علىٰ مايأتي :

١ ـ المجلدان : (الاول والثاني)، اشتملا علىٰ (٥٦٠) حديثاً من الاحاديث المروية بطرق الطرفين والمسندة جميعها إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ ـ المجلدان : (الثالث والرابع)، اشتملا علىٰ (٨٧٦) حديثاً، اسندت إلىٰ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، واشترك أهل السنة برواية الكثير جداً منها مع الشيعة الامامية .

٣ ـ المجلد الخامس، اشتمل علىٰ (٥٠٥) أحاديث، وكلها من

الاحاديث المفسّرة للآيات القرآنية، وفي هذا المجلد تغطية وافية لجميع ما أورده المفسرون ـ من أهل السنة والشيعة ـ من أحاديث تفسيرية في الإمام المهدي عليه السلام .

وبهذا يكون مجموع الاحاديث غير المفسرة للآيات (١٤٣٦) حديثاً ومع المفسّرة سيكون المجموع (١٩٤١) حديثاً. أما عن طرقها جميعاً فلعلها تقرب من أربعة الاف طريق . فاذا علمت هذا، فاعلم أخي الباحث أن :

١ ـ مجموع أحاديث المهدي عليه السلام التي تناولها ابن خلدون بالنقد هي (٢٣) حديثاً فقط .

٢ ـ اسانيد هذه الاحاديث (٢٨) اسناداً فقط .

٣ ـ الصحيح منها باعتراف ابن خلدون كما مر أربعة أحاديث.

٤ ـ الضعيف منها (١٩) حديثاً فقط .

واذن : فأحاديث المهدي عليه السلام التي لم تتناولها دراسة ابن خلدون هي (١٩١٨) حديثاً منها (٥٣٧) حديثاً مسنداً إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله و(٨٧٦) حديثاً مسنداً إلىٰ أهل البيت عليهم السلام و(٥٠٥) حديثاً مفسّراً للآيات الكريمة في المهدي عليه السلام . وبهذا يعلم ان العدد (٢٣) لايشكل في الواقع إلّا النسب التالية :

١ ـ ٤,١٠٧٪ من مجموع الاحاديث المسندة إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله .

۲ ـ ۱٫٦٠١ ٪ من مجموع الاحاديث المسندة إلىٰ النبي وأهل البيت ﷺ .

۳ ـ ۱٫۱۸٤ ٪ من مجموع سائر الاحاديث .

أما لو كان ابن خلدون قد تناول بالنقد جميع أحاديث الإمام المهدي ﷺ لارتفع عدد الاحاديث الصحيحه (وهو أربعة عنده من مجموع ۲۳) إلىٰ الارقام التالية طبقاً للغة التناسب :

۱ ـ (۹۸) حديثاً صحيحاً، لو كان تناول بالنقد جميع ما أُسند إلىٰ النبي ﷺ .

۲ ـ (۲٥٠) حديثاً صحيحاً، لو كان تناوله لما أُسند إلىٰ النبي وأهل بيته ﷺ .

۳ ـ (۳۳۸) حديثاً صحيحاً، لو كان تناوله لسائر الاحاديث .

ولايخفىٰ بأنّ العدد الاول منها يكفي للحكم بتواتر احاديث المهدي ﷺ . وأما عن الاحاديث المردودة عند ابن خلدون، فلو قيست بما لم يتناوله ابن خلدون، لكانت بالقياس إلىٰ مجموعها تمثل النسب التالية :

۱ ـ ۳٫۳۹۲ ٪ من مجموع الاحاديث المسنده إلىٰ النبي ﷺ .

۲ ـ ۱٫۳۲٠ ٪ من مجموع ما أُسند إلىٰ النبي وأهل بيته ﷺ .

۳ ـ ٠٫۹۷۸ ٪ من مجموع سائر الاحاديث .

وبعد.. فكيف يدّعىٰ بأنّ ابن خلدون قد ضعف جميع أحاديث المهدي ﷺ ؟ هذا مع ما تقدم عنه بأنّه من المصرحين بصحة بعض الأحاديث علىٰ الرغم من قلة ما تناوله منها .

۞ ۞ ۞

(٢٩)

انسل سالم وحامد ومنذر ـ الذي كان يدين بالدين المسيحي ـ من خلال بوابة المدرسة .. توقف الثلاثة امامها .. كان حامد ينظر في ساعته، بينما جعل سالم يراقب الطريق، كأنما يترصد قدوم احدهم ، في حين علت وجه الثالث غبرة لم يعرف كيف يداويها فيخفي معالمها . سأله حامد بعد ان رفع نظره عن ساعته :

ــ أتشكو من شيء .

ــ لا .. لا أبداً .

فقال سالم :

ــ لكني اراه محقاً .. انك غير طبيعي .. العرق يتصبب من جبينك .. هل نحملك الى طبيب او الى المستشفى او حتى مستوصف ..

ــ قلت لا .. اني بصحة جيدة ..

ـ اذن، فما معنى حالك هذا ؟

ـ انها وعكة ليست الا !

ـ وعكة . . ان كان حالك ليس على ما يرام، فلست مرغماً في المجيء معنا، .. هيه، أقول : هل أوصلك الى المنزل ؟

ـ لا، شكراً، سأذهب انا لوحدي .. انه لن يأتي . . سأذهب اليه وآتي به .

قال حامد :

ـ اظن أنه سوف لا ينضم الينا في هذا اليوم .

تدخل رابع كان يقف على مبعدة منهم، فقال :

ـ من هو هذا الذي تنتظرون ؟

قال سالم :

ـ منير ! الى متى تريد البقاء هنا .. اقصد، في هذا المكان ؟

ـ الى ما شاء الله .

ـ نحن سنذهب الى الملعب لمشاهدة المباراة ..

ـ مباراة كرة القدم ؟ .. أي مباراة هذه ؟ !

ـ انها مباراة وديّة تنظّم بين فريق المحافظة والمنتخب الوطني !

ـ كيف لم أسمع باقامتها .

واذا ما كانت عينا سالم تطوفان الاجواء وتحلقان كيفما اتفق لهما، كان له ان يرسم جواب صاحبه كيفما اتفق له، فقال له

ــ انك عادة ما تكون مشغولا بالرسم والنحت وما شاكلهما .. اليس كذلك ..

ــ اجل، دائماً وبشكل موصول !

ــ أقول، ستبقى اذن، ولو حتى لدقائق .. فما عليك الا ان تخبر سمعان ..

ــ سمعان ؟

ــ سمعان .. صاحب ورفيق هذا الاخ .. منذر !

ــ أووه .. سمعان !

ــ فما عليك الا ان تخبره بان القوم كانوا في انتظارك ولما تأخرت عن المجيء، سبقوك الى الملعب كيما يحتجزوا لهم ولك المقاعد المناسبة .

ــ ولماذا لا تنتظرون حتى يصل .

ــ ان الوقت متأخر، ولربما ازدحمت مدرّجات الملعب، فلا يبقى لنا محل نجلس فيه الا الدرج .

ــ قبل ساعتين من شروع اللعبة ؟

ــ انهم يقفون الان طوابير أمام باب الملعب . . ما الذي تقوله؟

ــ وكيف لكم ان تهدروا كل هذا الوقت في سبيل لعبة ؟

ــ اقول : لا تنسى .. انا ذاهبون .. الى اللقاء ..

وفي الطريق أعاد سالم على منذر رجاءه، فقال :

ــ اكرر عليك .. ان كنت لا تتمتع بصحة جيدة، فما عليك الا ان تضرب صفحاً عن المجيء .. لاني اظن ان حالك سوف تسوء اكثر

فقال حامد :

ــ اجل يا منذر .

توقف منذر ثم قال :

ــ اظنكما على حق .. علي ان اتوجه الى المنزل .

ــ هل احملك الى المستوصف ؟

قال ذلك حامد، اجابه منذر :

ــ لا، لدي اقراص في المنزل، يمكنني ان استفيد من بعضها.. الى اللقاء ..

فاشار سالم على حامد :

ــ الحق به واوصله .. وانا سأذهب امامك، وريثما تصل سأكون واقفاً في الطابور .

وفي منتصف الطريق .. كان لمنذر ان يجدد اعتذاره لحامد

الذي انفق من وقته ما يسعه لمصاحبة منذر الى المنزل .. بينما عرض حامد لبعض الحديث عن قراءات منذر وساءله حتى كان من منذر ان يصل الى نقطة انفصال في بعض عباراته المقتضبة، حتى كانت اشبه ما يكون بجمل فقدت تراكيبها بفضل تقاطيع خاصة، ابتليت بها فاستلبتها بريقها اللامع . قال منذر :

ــ ولذلك كله، فانا انكب الان على قراءة الاناجيل كيما اتوصل الى طبيعة عودة عيسى وتخليصنا من هذه المأساة الاجتماعية وهذه المشكلات العالقة بل قل تلك المعضلات المستعصية والعويصة، والتي لا أرى لايما احد حتى ولو انفق الملايين من السنين ان يجد لها ايما حلّ جذري

قال حامد :

ــ أرى ان لا تزحم نفسك بالكلام، ان صحتك لا تساعدك .

ــ لا، على العكس، فاني كلما افضيت بما في قلبي كان ذلك اهون على نفسي .. لانها تكاد تنفجر بما تكلس فيها وران عليها .

ــ ماذا تقصد ؟

ــ اقول، حتى المبشرين أِلفوا الحديث في هذا الباب .. حديث المخلّص والمنقذ للبشرية جمعاء .

ــ من تقصد ؟

ــ عيسى بن مريم !

ــ هل اراك تحصر المهدي بعيسىٰ بن مريم ؟ . . المعذرة منذر .. ان اخوض في هذا الموضوع، فان كنت لا تروم الحديث فيه، فلندعه ...

ــ كلا .. ابداً .. فاني احب ان اسمع رأيك في الموضوع !

ــ كذلك انا !

ــ اما ما اردت قوله، هو لا يتعلق بالكنيسة وكلامها، بل ان ما سمعته وقرأته، هو ان فريقاً من المستشرقين وغيرهم كانوا قد استدلوا على ظهور عيسى في آخر الزمان تحت عنوان منجي البشرية ومهديها ، وذلك بحديث من كتبكم الاسلامية .

راع حامد هذا الخبر، اجابه بهلع :

ــ من كتبنا الاسلامية ؟

ــ اجل ! فها هو محمد بن خالد الجندي الذي صرح بحصر المهدي بنبي الله عيسىٰ عليه السلام،

ــ اووه، اني قد سمعت بهذا، تصورت ان الامر جديداً علي .. وغير هذا .

ــ واذن ؟ !

ــ سألت عن هذا الحديث احدهم .. اقصد ممن يمكن أن

يُشار لهم بالبَنان، فقال لي : لم أجد أحداً تعرض لهذا الحديث من علماء الإسلام إلّا وقد سخر منه وانتقده، فهو مردود بالاتفاق، ولكي لا ينطلي زيفه على أحد . فسألته : وهل يمكنك بيان حقيقة ذلك، فقال : الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه، عن يونس بن عبد الأعلىٰ، عن الشافعي ، عن محمد بن خالد الجندي . . عن . . أووه تذكرت ! عن أبان بن صالح، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك . .

ـ ؟ !

ـ هذه الاسماء ربما تجهلها .. انها خطوط الوصل ما بين الناقل والمعصوم .. حتى قال : عن النبي ﷺ أنه قال : لا يزداد الأمر إلّا شدّة، ولا الدنيا إلّا إدباراً، ولا الناس إلّا شُحّاً، ولا تقوم الساعة إلّا علىٰ شرار الناس، ولا مهدي إلّا عيسىٰ بن مريم[1] .

بينما تابع كلامه، وهو يقول :

ـ وهذا الحديث لا يحتاج في رده وإبطاله إلىٰ عناء، اذ تكفي مخالفته لجميع ما تقدّم من الأحاديث المصرّح بصحّتها وتواترها،

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٤٠ / ٤٠٣٩، وقد أخرج ابن ماجة نفسه حديث : «المهدي حق وهو من ولد فاطمة» ٢ : ١٣٦٨ / ٤٠٨٦. وقد سبق وان ذكرنا من صححه أو من صرح بتواتره من أهل السنة .

ولو صحّ الاستدلال بكل ما يروىٰ علىٰ علّاته، لكان علم الرجال وفن دراية الحديث لغواً يجلّ عنه علماء الإسلام، وكيف لا يكون كذلك ومعناه تصحيح الموضوعات، والحكم علىٰ الكذابين بأنّهم من أعاظم الثقات ، وعلىٰ المجاهيل بأنّهم من مشهوري الرواة، وعلىٰ النواصب بأنّهم من السادات ؟! ولماكان في الإسلام حديث متواتر قط بعد خلط الثقة المأمون بالمجروح والمطعون، ومزج الحابل بالنابل، والسليم بالسقيم .

ــ وعليه ؟

ــ اقول هل لعاقل أن يصدق بدجّال من دجاجلة الرواة اسمه محمد بن خالد الجندي ؟ وهو الذي وضع إلىٰ الجند ـ مسيرة يومين من صنعاء ـ حديث الجند المشهور وضعه ، وهو : تُعمل الرحال إلىٰ أربعة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد الأقصىٰ ، ومسجد الجند» . هذا ما ذكر في احد الكتب الاسلامية، وهو تهذيب التهذيب ٩ : ١٢٥ / ٢٠٢ . فانظر كيف حاول استمالة قلوب الناس إلىٰ زيارة معسكر الجند بعد أن مهّد له بشدّ الرحال إلىٰ المساجد الثلاثة المقدسة عند جميع المسلمين !

ــ وكيف لهذا الذي تذكره .. اقصد .. الاخر ؟

ــ ابن ماجة

ـ اجل،كيف ينقله ويخرجه في .. في سننه، على ما تذكرون؟

ـ انا الاخر اقول هذا وأستنكر عليه . فان العجب كل العجب من الحافظ ابن ماجة،كيف انطلت عليه زيادة محمد بن خالد الجندي عبارة: ولا مهدي إلّا عيسىٰ بن مريم) في هذا الحديث، مع أن نفس هذا الحديث له طرق صحيحة أُخرىٰ لا توجد فيها تلك الزيادة، منها ما أخرجه الطبراني والحاكم ..

ـ الطبراني والحاكم ؟!

ـ أووه، لا يهمك . . بسندهما عن . . (ابتسم حامد وتابع الكلام) عن أبي أُمامة، وبنفس ألفاظ حديث ابن ماجة لكن من غير عبارة ولا مهدي إلّا عيسىٰ بن مريم . وقد صححه الحاكم فقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه[1] .

ـ واذن، فالحديث مزور .. تقصد انه ملفقاً .

ـ ولربماكانت هذه الزيادة فقط فيه موضوعة إن لم نقل انه مزور ! فلقد أورد الحاكم حديث ابن ماجة مع زيادته أيضاً لكنه صرّح بأنّه إنما أورده في مستدركه تعجّباً لا محتجّاً به علىٰ الشيخين : البخاري ومسلم[2] . وقد تناول اخر اسمه ابن القيم في

---

(١) مستدرك الحاكم ٤: ٤٤٠كتاب الفتن والملاحم، وانظر المعجم الكبير للطبراني ٨: ٢١٤ / ٧٧٥٧.

(٢) مستدرك الحاكم ٤ : ٤٤١ ـ ٤٤٢،كتاب الفتن والملاحم.

كتاب له اسمه : المنار المنيف، حديث : ولا مهدي إلّا عيسىٰ بن مريم . ونقل كلمات علماء أهل السنة بشأنه، وأنه مما تفرد به محمد بن خالد الجندي .

ــ من يكون هو هذا .. محمد بن خالد .. الجندي ؟

ــ لقد نقل هذا نفسه .. اقصد ابن القيم عن الآبري المتوفى عام ٣٦٣ هـ ، قوله : محمد بن خالد ـ هذا ـ غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل . ونقل عن اخر اسمه البيهقي ما قوله : تفرد به محمد بن خالد هذا، وقد قال الحاكم أبو عبدالله : مجهول، وقد اختلف عليه في إسناده، فروي عنه، عن أبان بن أبي عياش، عن الحسن ـ مرسلاً ـ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم . قال : فرجع الحديث إلىٰ رواية محمد بن خالد وهو مجهول، عن أبان بن أبي عياش وهو متروك، عن الحسن، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم . وهو منقطع . والأحاديث علىٰ خروج المهدي أصح إسناداً[1]

ــ ؟!

ــ ونقل اخر يدعى بابن حجر قدح أبي عمرو، وأبي الفتح الأزدي بمحمد بن خالد[2] . وقال اخر يقال له الذهبي ماكلامه : قال الأزدي : منكر الحديث، وقال أبو عبدالله الحاكم : مجهول ،

---

(١) المنار المنيف : ١٢٩/ ٣٢٤ و : ١٣٠ / ٣٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٩ : ١٢٥ / ٢٠٢.

قلت : حديث : لا مهدي إلّا عيسىٰ بن مريم، وهو خبر منكر أخرجه ابن ماجة»[١] . وقال القرطبي : فقوله : ولا مهدي إلّا عيسىٰ، يعارض أحاديث هذا الباب ـ ثم نقل كلمات من طعن بمحمد بن خالد وأنكر عليه حديثه ـ إلىٰ أن قال ـ: والأحاديث عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في التنصيص علىٰ خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث ، فالحكم لها دونه[٢] .

ـ ؟!

ـ وقال ابن حجر : وصرح النسائي بأنّه منكر، وجزم غيره من الحفاظ بأنّ الأحاديث التي قبله ـ أي الناصّة علىٰ أنّ المهدي من ولد فاطمة ـ أصح إسناداً[٣] .كما وصف اخر اسمه أبو نعيم في كتابه :الحلية، هذا الحديث بالغرابة، وقال :لم نكتبه إلّا من حديث الشافعي[٤] . وقال ابن تيمية المعروف : والحديث الذي فيه : لا مهدي إلّا عيسىٰ ابن مريم، رواه ابن ماجة، وهو حديث ضعيف رواه عن يونس، عن الشافعي، عن شيخ مجهول من أهل اليمن، لا تقوم باسناده حجّة، وليس هو في مسنده بل مداره علىٰ يونس بن

---

(١) ميزان الاعتدال ٣ : ٥٣٥ / ٧٤٧٩.

(٢) التذكرة ٢ : ٧٠١.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٦٤.

(٤) حلية الاولياء ٩ : ٦١ .

عبد الأعلىٰ، وروي عنه أنّه قال : حُدّثت عن الشافعي، وفي الخَلَعيّات وغيرها : حدثنا يونس، عن الشافعي . لم يقل : حدثنا الشافعي، ثم قال عن حديث محمد بن خالد الجندي : وهذا تدليس يدل علىٰ توهينه، ومن الناس من يقول : ان الشافعي لم يروه[١] .

ــ واذن، فانت تقول ان الحديث مطعون فيه، وان عيسى بن مريم هو ليس مهدي اخر الزمان ؟ !

تطلع اليه حامد بـاريحية بـهيجة، رأى في وجـهه عـلامات الغضب والازدراء، بل المقت والضجر .. فقال له مبتسماً :

ــ انه ولكثرة ما طُعن به محمد بن خالد الجندي حاول بعض أنصار الإمام الشافعي أن يدرأ عن الشافعي روايـة هـذا الحـديث متهماً تلميذ الشافعي بالكذب في رواية هذا الخبر عنه، عن محمد بن خالد الجندي، مدّعيا أنّه رأىٰ الشافعي في المنام وهـو يـقول : كذب عليَّ يونس بن عبد الأعلىٰ ، ليس هذا من حديثي[٢] . وقد فنّد أحدهم يطلق عليه : أبو الفيض الغماري حديث : ولا مهدي إلّا عيسىٰ بن مريم، بثمانية وجوه هي في غاية الجودة والمتانة[٣] .

وعند الوصول الى داره، كان حامد يـفكر فـي ان ثـمة وقت

---

(١) منهاج السنّة / ابن تيمية ٤ : ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) الفتن والملاحم / ابن كثير : ٣٢.

(٣) إبراز الوهم المكنون : ٥٣٨.

طويل وزمان عسير يمكن ان يقضي وطره ويطوى وقره مع منذر وكثيرين غيره ! دعا منذر حامد الى المنزل لضيافته، الا انه اعتذر بضرورة العودة الى الملعب ، فان سالم هو بانتظاره ثمّتَ ! ابتسم الاثنان وودعا بعضهما البعض . فيما حاول حامد ان يجدد اعتذاره لمنذر حول ما بدر منه في تفصيل الحديث .. فقال له منذر :

ــ لا عليك، اني وان اغضب، فلا يتملكني ايما حقد، او بغض، بل اني لأهوى الدراسات المنطقية ولو كان لها ان تنتهي على حساب اهوائنا وآمالنا، فان الرياح لا تجري بما تشتهي السَّفَنُ !

۞ ۞ ۞

(٣٠)

وفي اليوم الثاني، وبعد انتهاء الحصة الاولى، وانقضاء فرصة

الاستراحة، لجأ الطلاب الى الصفوف .. فقال سالم لحامد :

ــ لقد كان بيد المعاون مجلة، طبعت على غلافها صورة احدهم ،كتب تحتها : أنا المهدي .. أنا المنقذ !

ــ ماذا تقول ؟

ــ سألت الاستاذ المعاون عنه ؟

ــ قال : ان هذا احد الذين ادعو المهدوية وللتو .. وقد جوبه بغضب عارم من قبل المحيطين به، والمجلة عرضت تقريراً مفصلا عنه .. ولربما عرض نفسه للمحاكمة !كتبوا يقولون : ان القاضي يقول : إن لم يثبت لي انه مهدي هذه الامة، فسأزجّه في السجن حتى يتوب ويرجع عما يقول !

عندها كان استاذ مادة الحصة الاتية قد حضر .. فكفّا عن الحديث ولاذا بالصمت .

وبعد انتهاء الدرس قال حامد لسالم :

ــ كيف يحتج المهدويون ؟ وبماذا يحتجون ؟

ــ يحتج اللامهدويون بدعاوىٰ المهدوية في إنكار عقيدة ظهور الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان . .

ــ في إنكار عقيدة ظهور الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان؟!

ــ نعم !كادعاء الحسنيين مهدوية محمد بن عبدالله بن الحسن، والعباسيين مهدوية المهدي العباسي، ونحو ذلك من الادعاءات

الأُخرىٰ كادعاء مهدوية ابن تومرت، أو المهدي السوداني، أو محمد بن الحنفية ﷺ .

ــ وعلى ماذا يمكن ان تبتني أسس هذا الاحتجاج ؟

أجابه سالم :

ــ ان هذا الاحتجاج يبتني بالدرجة الاساس علىٰ قياس فكرة ظهور المهدي بتلك الدعاوىٰ المهدوية الباطلة، وليس هناك من ريب في ان هذا الادعاء هو مجرد اصطناع موازنة خادعة بين الباطل من جهة والحق من جهة أُخرىٰ، ثم الخلط بين هذا وذاك .

ــ وكيف يمكن تفصيل ذلك ؟

ــ أما أولاً : فانه لم تحصل أية علامة من علامات ظهور المهدي في حياة فرد واحد من أولئك الذين ادُّعِيَ لهم المهدوية . وأما ثانياً : فلثبوت وفاة هؤلاء جميعاً، ولايوجد أحد من المسلمين يعتقد بحياتهم . وأما ثالثاً : فانهم لم يكونوا في آخر الزمان، وهو شرط ظهور الإمام المهدي ﷺ ، ولايعرف أحد منهم قد ملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وأما رابعاً وأخيراً : وهو الأهم، فانه لو صح هذا الاحتجاج لبطلت العدالة، اذ ادعاها طواغيت الارض كلهم من فرعون مصر إلىٰ فراعين عصرنا ، ولحكمنا علىٰ العلماء بالجهل بدعوىٰ أدعياء العلم من الجهلاء علىٰ طول التاريخ، ولصار الشجاع في نظرنا جباناً والكريم

بخيلاً، والحليم سفيهاً، اذ ما من صفة كريمة إلّا وقد ادّعاها البعض فيه زوراً .

ــ وهل كان لهذه القضية ان تثير جدلا وصدىً سياسياً ؟

ــ ولماذا تقول هذا، فلنقل أنّا وإذا ما عدنا إلىٰ قضية : المهدي، فانا ما كنا لنجدها الا واحدة من أهم القضايا التي دوّخت بصداها ذوي الأطماع السياسية، فلا جرم أن يدّعيها البعض لأنفسهم أو يروجها لهم أتباعهم لتحقيق مآربهم .

بينما أضاف قائلا :

ــ وكما ان العاقل لا ينكر وجود الحق بمجرد ادّعاء من لايستحقه ، فكذلك ينبغي عليه أن لا ينكر ظهور المهدي المبشّر به في آخر الزمان علىٰ لسان أكرم ما خلق الله عزّ وجل، نبينا الاعظم ﷺ، بمجرد دعاوىٰ المهدوية الباطلة، هذا مع تصريح علماء الإسلام بصحة الكثير من أحاديث المهدي المروية بطرق شتىٰ بما يفيد مجموعها التواتر، كما اطلق بعضهم تواترها اطلاق المسلّمات كما تقدم في هذا البحث .

ــ أسألك، فهل كان طول عمر الإمام يثير شبهة ما في هذا الخصوص ؟

ــ أووه ! فانه وبعد أن انكشف واقع هذه الشبهات، وأصبح ساقها هشيماً، وعودها حطاماً، وبناؤها ركاماً، بقيت شبهة أُخرىٰ،

خلاصتها معارضة طول عمر الإمام المهدي للعقل والعلم . وهذه الشبهة هي من أهم ما تمسک بها غير العقلاء في المقام، لانها وبنظرهم مخالفة لمنطق العقل والعلم، مؤكدين على ان للعقل حدوداً تستقل عن رغبات الفرد وأهوائه الشخصية وميوله واتجاهاته، واحكاماً يستسيغها جميع العقلاء ولا يقتصر قبولها على عقل زيد أو عمر . وعلى الفرق الكبير جداً بين ما هو ممتنع الوقوع في نفسه، بحيث لا يمكن ان يقع في أي حال من الاحوال حتىٰ علىٰ أيدي الانبياء والاوصياء ﷺ، كاجتماع النقيضين، وبين ما هو ممكن الوقوع في نفسه وان لم تجرِ العادة بوقوعه، مع التأكيد أيضاً علىٰ أنَّ المحال العقلي ليس كالمحال العادي من حيث الوقوع وعدمه ..

ــ واذن ؟ !

ــ ولكن خلط هؤلاء بين المحالين أدىٰ إلىٰ الزعم بأنّ كل ما لم يجرِ في العادة انما هو من المحال العقلي .

ــ اذن، فالامر كذلك !

ــ وذلك، لعدم قدرتهم علىٰ التمييز بينهما . علىٰ ان ما تمسكوا به لا يصح حجة، لا في منطق العقل ولا العلم علىٰ حدٍ سواء .

✿ ✿ ✿

(٣١)

مرض ابو حامد، فاضطر حامد الى ان يقضي اغلب اوقاته في ادارة ابيه التجارية . فكان يحاول التوفيق بين المدرسة والاشراف على العمل في شركة أبيه حتى اخذ الجهد كل مأخذه منه، واصبح لا يفد على البيت الا في ساعة متأخرة من الليل . . كانت صحة الاب تسوء اكثر فأكثر .. اضطر معها الى نقله الى المستشفى كيما يلقى العناية الصحية .. كان قلبه تعباً جداً . . منهكاً . ظل حامد يتوجه الى الله بالدعاء لابيه، وكانت امه تسهر الليل الى جانب زوجها، ولذا، فماكان من حامد الا ان يوزع اوقاته بين المدرسة والعمل والمستشفى حتى اشتدت وطأة الحياة عليه ولأكثر من الاول، وارتأى ان يؤجل الدراسة في هذا العام الى العام القادم، ريثما تتحسن صحة الاب، وتزداد تجربة حامد في عمله في الشركة، الا ان الام كانت قد منعته، واشارت اليه انه ليس ممن تترك المشكلات آثارها عليهم .. انه بوسعك الدراسة والعمل، اثبت لابيك ما وعدته به، واجعله يقتنع بما لم يكن يصدقه فيك من قبل !

مع ان حامد الان، كان قد أصبح شديد المراس، سديد الفؤاد، صاحب حذقة في العمل، وربقة في العهد . والكثير قد صار يشير اليه، وجعل ينظر اليه بأنه خليفة أبيه . بل ان المسؤولة عن مكتب ابيه جعلت تثني عليه وتقول : انه قد فاق الاب علماً وجدارة، فلم يشك في كلامها حامد، لانها كانت تكرر ذلك على مرأى ومسمع من الاب في ايام حضوره في ادارة الشركة ! غير انه ماكان ليغتر بمثل هذا الاطراء، لانه كان يدرك كم يحاول المتملقون حوله الاستحواذ على قلبه كيما تعلق في سنّارتهم اطماعهم التي يشتهون الحصول عليها ! وهو الذي قد مرس الحياة، وجعل يختصر الازمنة ، فيتعالى على جراحه، ويتجاوز سني عمره، حتى صار لا ينسى نصائح ووصايا ابيه الارشادية والتربوية في طريقة التعامل الحياتي والاجتماعي فضلا عن تأكيداته المعنوية على حذو سبل البحث المنطقي حتى في القضايا التجارية الى جانب اشاراته المتكررة الى اهمية الاخلاق والمجاملات وسياسة المداراة في التعامل مع الناس لا سيما ذوي الرتب الاجتماعية العالية .. في الوقت نفسه عدم تناسي الناس من ذوي الطبقات المنخفضة وبالذات المنسحقة .. وماكان يرى كل ذلك ـ وان كان للسنين ان تلعب دورها في تغيير سياسة الاب، او ان تترك لمساتها وآثارها على اخلاق الاب العنيفة في بعض الاحيان والبسيطة في احيان اخرى، القاسية في بعض الاوقات، والطيبة في اوقات اخرى ـ فما

كان يرى كل ذلك الا نتيجة لتربية مثالية تغذاها الاب من لدن ابيه هو الاخر (جد حامد) كذلك جد . فكان يدرك مدى تأثير المحيط العائلي والبيئة الاجتماعية على الانسان في ترعرعه ونشأته .

بينما زاره في اخر مرة، التقى بأبيه في المستشفى، سأله الاخير عن احواله الدراسية وعمله في الشركة، قال ان كل شيء يسير على ما يرام ، فانا ما زلت متقدماً على اقراني في الفصل، بل ما زلت انا صاحب الدرجات العالية .. كما كنت تراني من قبل . كما ان الشركة ما تزال تدور رحاها حول قطبها وكأن ابا حامد هو الذي يديرها .. هذه شهادات اقرب الناس اليك في محيط العمل .. انهم يسلمون عليك ويرغبون في زيارتك كذلك .

بينما قال له الاب :

ــ ولدي، طيّبت خاطري، وارحت بالي، انك عظيم، ما كنت لأتوقع فيك كل هذه الجسارة والبسالة، تتمكن من دراستك، وتشرف على ادارة العمل، وتقوى على زيارتي، وتقوم بالسهر على المنزل وشؤونه .. انك لم تخيّب أملي فيك، بل زدتني اعجاباً بنفسك الطيبة، وروحك الأبية، وضميرك الحي، بل فؤادك النابض بالصدق !

٥ ٥ ٥

(٣٢)

انكب حامد على مطالعات عديدة، كلها تتحدث حول قضية المهدي وما يدور في اطارها من ملابسات وشبهات، واسئلة ومطارحات، وآراء ونظرات داعمة وناقضة، مؤيدة ومنكرة .. وما الى ذلك . حتى جاء اليوم الذي كان لاحد العملاء من الزبائن بضاعة لدى حامد، كان على الاخير ان يقوم بتوريدها له من الخارج .. ولما توطدت العلاقات بينهما، شاءت الظروف ان يدعو العميل حامد الى مائدة عشاء على شرفه، وذلك في احد المطاعم الراقية في المدينة .. بينما كان يترقب الزبون الفرصة كيما يفتتح أبواب الحديث حول المهدي، ذلك انه كان يدرك مدى اهتمام حامد بهذه المسألة لشدة مناقشاته التي يجريها في الشركة، وذلك في اوقات استراحته، وفي بعض الفرص الترفيهية التي يمكن أن تنسل خلال عقد بعض الجلسات ، او حتى في خضم العديد من الاجتماعات العملية .

فما إن ألقى العميل الطُعم (وكان ذكياً جداً) حتى كان حامد

أذكى منه ، بحيث شعر بالمقلب وطريقة استمالة العميل لدراسة شخصية حامد، كيما يتسنى له من خلال هذه المناقشات ان يطّلع على خباياه وبالتالي يحدد لنفسه في المستقبل الطريقة التي يمكنه ان يلعب بها مع رئيس الشركة المستقبلي، فكان يفحص فيه المبادىء، ترى هل يمكنه التخلي عنها، وهل يمكنه ان يؤمن بالعلم على حساب المذهب والدين، او انه يجري المعادلة بالعكس ! او انه يحاول التوفيق بينهما قدر ما استطاع الى ذلك سبيلا، كل هذا كان يدور في مخيلة العميل الزبون الذي كان يتمتع بشيء من الذلاقة، شخصية ممزوجة بنكهة، يضرب عليها دائماً طوقاً من التشذيب، ممعناً في الاعراب عن نفسه بكلام معسول، فماكان من حامد الا ان قال ـ وذلك بعد شيء من الحديث حول بعض المسائل المتعلقة بهذا الصدد (بعد ان كانا قد تناولا طعام العشاء وعبّا قدحين من الشاي) :

ـ إنَّ المنكرين للامام المهدي بالتشخيص الذي حددناه ـ أي بكونه محمداً نجل الإمام الحسن العسكري ﷺ ـ ينطلقون من دوافع ومنطلقات بعيدة عن منهج الإسلام في الدعوة الىٰ الايمان بالعقائد؛ فمنهج الإسلام كما يقوم علىٰ العقل والمنطق، فإنه يعتمد علىٰ الفطرة ويستند الىٰ الغيب .

ـ اجل ! كل هذا صحيح، الا ان الايمان بالغيب يتطلب

ضرورات واستعدادات خاصة .. وهذه لا تتوفر لدى الجميع ؟

قال حامد :

ـ هذا ايضاً صحيح، والإسلام ماكلف الانسان فوق طاقته، ولا دعاه للتخلي عن اسس الاعتقاد بالله بذريعة تناهي قدرة الانسان العقلية ! ذلك ان الايمان بالغيب ماكان الا جزءً من عقيدة المسلم. إذ تكررت الدعوة قرآناً وسنّةً الىٰ ذلك قال تعالىٰ : ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب..[1] . وقال تعالىٰ : تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك . .[2] وفي السنّة النبوية مئات الروايات المؤكدة علىٰ الايمان بالغيب والتصديق بما يُخبر به الرُسل والأنبياء . وهذا الايمان بالغيب لا تصحُ عقيدة المسلم بإنكاره . .

سواء تعقّله وأدرك أسراره وتفصيلاته، أم لم يستطع الىٰ ذلك سبيلاً؟

ـ بالضبط، فانه لا يصح للمرء انكاره . كما هو الامر مثلاً بالنسبة الىٰ الكهرباء التي ما آمن بها الناس الا من حيث آمنوا بآثارها المترتبة على وجودها، كذلك الايمان بالملائكة وبالجنّ وبعذاب القبر، وسؤال الملكين في القبر، الىٰ غير ذلك من

(١) سورة البقرة / آية ١ ـ ٣.

(٢) سورة هود / ٤٩.

المغيّبات التي ذكرها القرآن أو أخبر بها نبينا محمدﷺ ونقلها إلينا الثقاة العدول المؤتمنون ، ومن جملة ذلك بل من أهمها قضية الإمام المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً .

ــ المهدي . .

ــ فالمهدي قد نطقت به الصحاح والمسانيد والسنن فلا يسعُ مسلماً إنكاره، لكثرة الطرق ووثاقة الرواة ودلائل التاريخ والمشاهدة الثابتة لشخصه كما ثبت ذلك .

فقال العميل :

ــ ولعل أهم الشبهات التي تثار هنا هي مسألة صغر سنّ الإمام، وطول عمره ، والفائدة من الغيبة بالنسبة له، ومسألة استفادة الأُمّة المسلمة منه وهو مستور غائب .

ــ والجواب : إن الإمام المهدي عليه السلام خَلَفَ أباه في إمامة المسلمين، وهذا يعني أنّه كان إماماً بكلّ ما في الامامة من محتوىً فكري وروحي في وقتٍ مبكر جداً من حياته الشريفة .

ــ واذن، فنحن امام فلسفة الامامة المبكرة ؟

ــ أما الامامة المبكرة، فهي ظاهرة سَبَقَهُ إليها عدد من آبائه عليهم السلام ، فالامام الجواد محمد بن علي عليه السلام تولّى الامامة وهو في الثامنة من عمره، والإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام تولّى

الامامة وهو في التاسعة من عمره ، والإمام أبو محمد العسكري وهو والد الإمام المهدي المنتظر تـولّىٰ الامـامة وهـو فـي الثـانية والعشرين من عمره، ويلاحظ أن ظاهرة الامامة المبكرة بـلغت ذروتها في الإمام المهدي والإمام الجواد، ونحن نسـمّيها ظـاهرة لأنّهاكانت بالنسبة إلىٰ عدد من آباء المهدي عليهم السلام تشكل مـدلولاً حسيّاً عملياً عاشه المسلمون ، ووعوه فـي تـجربتهم مـع الإمـام بشكل وآخر. ولايمكن أن يُطالب بإثبات ظاهرة من الظواهر هي أوضح وأقوىٰ من تجربة أُمّة .

ـ كيف يمكن ايضاح هذا ؟

ـ يمكنني ان أوضح هذا، وذلك ضمن النقاط الآتية : اولا : لم تكن إمامة الإمام من أهل البيت عليهم السلام مركزاً من مـراكـز السـلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأبِ إلىٰ الابن، ويـدعمها النـظام الحاكم كماكان الحال في الامويين والفاطميين والعباسيّين، وإنّما كانت تكتسب ولاءَ قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحي والاقناع الفكري لتلك القواعد بجدارة هذه الامامة لزعامة الإسلام وقيادته علىٰ أُسس فكرية وروحية .

ـ ؟!

اما الثانية : فإن هذه القواعد الشعبية بُنيت منذُ صدر الإسلام، وازدهرت واتّسـعت عـلىٰ عـهد الامـامين البـاقر والصـادق عليهما السلام

وأصبحت المدرسة التي رعاها هذان الامامان ، في داخل هذه القواعد ، تشكل تياراً فكرياً واسعاً ، في العالم الاسلامي يضمُّ المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والعلماء في مختلف ضروب المعرفة الاسلامية والبشرية المعروفة وقتئذٍ ، حتىٰ قال الحسن بن علي الوشاء : فإنّي أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجدَ الكوفة ـ تسعمائة شيخٍ كلٌّ يقول حدثني جعفر بن محمد[1] .

ـ والثالثة ؟

ـ فإنّ الشروط التي كانت هذه المدرسة، وما تمثله من قواعد شعبية في المجتمع الاسلامي، تؤمن بها، وتتقيد بموجبها في تعيين الإمام والتعرّف علىٰ كفاءته للامامة شروط شديدة، لأنها تؤمن بأن الإمام لايكون إماماً إلاّ إذا كان معصوماً وكان أعلم علماء عصره . هذا فضلا عن ان النقطة الرابعة ماكانت لتنص الا على انّ المدرسة وقواعدها الشعبية كانت تقدّم تضحيات كبيرة في سبيل الصمود علىٰ عقيدتها في الامامة ؛ لأنّها كانت في نظر السلطة المعاصرة لها تشكل خطاً عدائياً، ولو من الناحية الفكرية علىٰ الأقل، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ قيام السلطات وقتئذٍ وباستمرار تقريباً بحملات من التصفية والتعذيب ، فَقُتِل من قُتِل، وسُجنَ من سُجِنَ، ومات في ظلمات المعتقلات والحبس المئات . وهذا يعني أن الاعتقاد

(١) رجال النجاشي : ٤٠ / ٨٠ في ترجمة الحسن بن علي بن زياد الوشاء.

بامامة أئمة أهل البيت عليهم السلام كان يكلفهم غالياً، ولم يكن له من الاغراءات سوىٰ ما يُحسُّ به المُعْتَقِد أو يفترضه من التقرّب إلىٰ الله تعالىٰ والزلفىٰ عنده .

ــ واذن فالثمن يجب ان يكون باهظاً ؟ !

لم يعر حامد اهتماماً لتعليقات الزبون، بل استرسل في كلامه:

إنَّ الأئمة الذين دانت هذه القواعد الشعبية لهم بالامامة، لم يكونوا معزولين عنها، ولامتقوقعين في بروجٍ عاجية عالية شأن السلاطين مع شعوبهم، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلاّ أن تحجبهم السلطة الحاكمة بسجنٍ أو نفي .

ــ وكيف يمكن ان يستشف مثل هذا ؟

ــ وهذا ما يتسنى لنا ان نعرفه من خلال العدد الكبير من الرواة والمحدّثين عن كل واحدٍ من الأئمة الأحدَ عشرَ من آباء المهدي عليه السلام، ومن خلال ما نُقل من المكاتبات التي كانت تحصل بين الإمام ومعاصريه، وماكان يقوم الإمام به من أسفار من ناحيةٍ، وماكان يبثّهُ من وكلاء في مختلف أنحاء العالم الاسلامي من ناحية أُخرىٰ، وماكان قد اعتاده الشيعة من تفقّد أئمتهم وزيارتهم في المدينة المنورة عندما يؤمّون الديار المقدّسة من كلِّ مكان لأداء فريضة الحج، كل ذلك يفرض تفاعلاً مستمراً بدرجة واضحةٍ بين الإمام وبين قواعده الممتدة في أرجاء العالم الاسلامي بمختلف

طبقاتها من العلماء وغيرهم . وهذه هي كانت النقطة الخامسة، أما السادسة . .

ـ أراك ذهبت اكثر مما ينبغي، أليس كذلك .

ـ كيف ؟

ـ انّ السلطات المعاصرة للأئمة ﷺ كانت تنظر إليهم والىٰ زعاماتهم الروحية بوصفها مصدر خطرٍ كبير علىٰ كيانها ومقدّراتها، وعلىٰ هذا الأساس بذلت كلّ جهودها في سبيل تفتيت هذه الزعامة، وتحملت في سبيل ذلك كثيراً من السلبيات، وظهرت أحياناً بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرها تأمين مواقعها إلىٰ ذلك، وكانت حملات المطاردة والاعتقال مستمرة للائمة أنفسهم علىٰ الرغم مما يخلّفه ذلك من شعور بالألم أو الاشمئزاز عند المسلمين، ولا سيما الموالين علىٰ اختلاف درجاتهم . فهل تعتقد ان السلطات محقة ام لا ؟ اقصد في الدفاع عن سلطانها ؟

ـ نعم، فيما لو كان لها الحق في تولي مناصب الدولة وحكومة المسلمين، كما انه لا نمنحها الحق كل الحق ـ فيما لو كانت حكومتها شرعية مستمدة من قبل الله ـ في ان تعاقب وتظلم وتسحق وتكبت المشاعر وتخنق الحريات وذلك اعتقاداً منها ان هذه السبل كفيلة بردع المعارضين لحكومتها .. لان الله ما شاء

للناس ان يؤمنوا قسراً، بل ارادهم ان يدركوا فضله ومقدار نعمه بانفسهم ومن ضمن هذه النعم الولاية والحكومة الاسلامية، لان كل ما اخذ قسراً سوف يسترجع قسراً .. ولو شاء الله لآمن من في السماء والارض، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء بأيدي واختيار الناس انفسهم .

هتف العميل :

ــ احسنت !

لم يكن لينطلي على حامد مثل هذا السياق من الاطراء المقيت والمصطنع . بل كان في سره يضحك من هذا الشخص اشفاقاً على ما يخطط ويمهد له عبر محاولاته لكسب ود حامد وعطفه . بينما عاد حامد الى الحديث، فجعل يقول :

ــ وما ذكرته كان يمثل بالنسبة لي النقطة السادسة، ليس الا !

ــ أووه ! سبحان الله ! ما أجمل توارد مثل هذه الخواطر !

ــ فإذا أخذنا بنظر الاعتبار هذه النقاط الست، وهي حقائق تاريخية لا تقبل الشك، أمكن أن نخرجَ بالنتيجة الآتية :

ــ وهي !

ــ إنَّ ظاهرة الامامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وَهماً من الأوهام؛ لأنَّ الإمام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه إماماً روحياً وفكرياً للمسلمين، ويدينُ له بالولاء

والامامة كل ذلك التيار الواسع لابدَّ أن يكون في أعلىٰ الدرجات والمراتب من العلم والمعرفة وسعة الأُفق والتمكّن من الفقه والتفسير والعقائد، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنعَ تلك القواعد الشعبية بإمامته، مع ما تقدّم من أن الأئمة كانوا في مواقع تتيحُ لقواعدهم التفاعل معهم، وللأضواء المختلفة أن تُسلط علىٰ حياتهم وموازين شخصيتهم، فهل ترىٰ أن صبيّاً يدعو إلىٰ إمامة نفسه وينصب منها علماً للاسلام وهو علىٰ مرأىً ومسمع من جماهير قواعده الشعبية، فتؤمن به وتبذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلّف نفسها اكتشاف حاله، وبدون أن تهزّها ظاهرة هذه الامامة المبكرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقييم هذا الصبيّ الإمام ؟

ـ ؟!

ـ وهَبْ أنَّ الناس لم يتحركوا لاستطلاع الموقف، فهل يمكن أن تمرَّ المسألة أياماً وشهوراً بل أعواماً دون أن تتكشّف الحقيقة علىٰ الرغم من التفاعل الطبيعي المستمر بين الصبيّ الإمام وسائر الناس ؟ وهل من المعقول أن يكون صبيّاً في فكره وعلمه حقاً ثم لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل ؟

ـ بالضبط !

ـ واذا افترضنا أنّ القواعد الشعبية لامامة أهل البيت لم يُتَح

لها أن تكتشف واقع الأمر، فلماذا سكتت السلطة القائمة ولم تعمل علىٰ كشف الحقيقة إذاكانت في صالحها ؟ وماكان أيسر ذلك علىٰ السلطة القائمة لوكان الإمام الصبيّ صبيّاً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان ؟ وماكان أنجحه من أسلوب أن تقدّم الصبي إلىٰ شيعته وغير شيعته علىٰ حقيقته ، وتبرهن علىٰ عدم كفاءته للامامة والزعامة الروحية والفكرية . فلئن كان من الصعب الاقناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين لتسلّم الامامة ، فليس ثمة صعوبة في الاقناع بعدم كفاءة صبي اعتيادي مهماكان ذكياً وفطناً للامامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة الامامية . وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقدة وأساليب القمع والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذٍ .

كان الزبون يصادق على ما يقوله حامد، بينما شعر انه يعدّ له عدّة من الشبهات اخرى، فقال حامد مستطرداً :

ــ ثم إنَّ التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة عن اللعب بهذه الورقة هو أنها أدركت أنَّ الامامة المبكرة ظاهرة حقيقية وليست شيئاً مصطنعاً.

ــ ظاهرة حقيقية . . اجل !

ــ والحقيقة أنها أدركت ذلك بالفعل بعد أن حاولت أن تلعب بتلك الورقة ـ أي تعريضه للاختبار ـ فلم تستطع، والتأريخ يحدّثنا

عن محاولات من هذا القبيل وعن فشلها، بينما لم يحدّثنا إطلاقاً عن موقف تزعزت فيه ظاهرة الامامة المبكّرة أو واجه فيه الصبيّ الإمام إحراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه .

ــ واذن فهذا معنىٰ ما قلتموه جنابكم من أنَّ الامامة المبكّرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت عليهم السلام .

ــ بكل تأكيد، فليست هي مجرّد افتراض، كما أنّ هذه الظاهرة الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتدّ عبر الرسالات والزعامات الربانية، ويكفي مثالاً لظاهرة الامامة المبكّرة في التراث الرباني : النبي يحيىٰ عليه السلام، إذ قال تعالىٰ : يَايَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً..[1] .

ــ فالمطلوب اذن، هو اثبات هذه الظاهرة قلبياً وعقلياً على حد سواء .

ــ فمتىٰ ثبت أن الامامة المبكّرة ظاهرة واقعية وموجودة فعلاً في حياة أهل البيت، لم يَعُدْ هناك اعتراض فيما يخصّ حياة المهدي عليه السلام، وخلافته لأبيه وهو صغير .

اعتدل الزبون في جلسته، ثم تنحنح وقال :

---

(١) سورة مريم : ١٩ / ١٢. وقد مرّ في الفصل الثاني برقم ٥ و ٨ اعتراف أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، وأحمد بن يوسف القرماني الحنفي بان المهدي عليه السلام أُعطي الحكمة وهو صبيٌّ، فراجع.

ـ غير ان أهم ما يثيره البعض بل الكثير في هذا المجال، ويروّجون له باستمرار قديماً وحديثاً ، هو قولهم : إذا كان المهدي يُعتبرُ عن إنسان حيّ عاصرَ الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من أحدَ عشرَ قرناً فكيف تأتّىٰ له هذا العمر الطويل ؟ وكيف نجا من القوانين الطبيعية التي تحتمّ مروره بمرحلة الشيخوخة[1] ؟ !! ومن الجائز أن نطرح الشبهة بصورة سؤالٍ كأن يقال : هل بالامكان أن يعيش الانسانُ قروناً متطاولة ؟ !

فقال حامد :

ـ وللاجابة عن هذا السؤال لا بدَّ من التمهيد ببحث مسألة الامكان هنا . فهناك ثلاثة أنواع متصورة للامكان .

ـ كيف يمكن التعبير عنها ؟

ـ الأول : هو ما يصطلح عليه بالامكان العملي ، ويُراد به ما هو ممكن فعلاً وواقعاً . أي له تحقق ووجود ظاهر ومتعين .

ـ والثاني ؟

ـ هو ما يصطلح عليه بالامكان العلمي ، ويُراد به ما هو غير ممتنعٍ من الناحية العلمية الصِرفة ، أي أنَّ العلم لا يمنع وقوعه وتحققه ووجوده فعلاً .

---

(١) هذه الشبهة مطروحة في كتب العقائد منذ القرون البعيدة، وقد ذكرها وتصدى للاجابة عنها كبار علماء الامامية، بوجوهٍ جديدة ومن أبعاد مختلفة، ونحن نتعرض لبعضها فقط.

والثالث ؟

ـ أما الثالث، فهو ما يصطلح عليه بالامكان المنطقي ، ويُراد به ما ليس مستحيلاً عقلاً ، أي أنَّ العقل لايمنع وقوعه وتحققه.

كان الزبون وفي قرارة نفسه، يسائل نفسه : « تُرى كيف سوّلت لنفس هذا الشاب اليافع ان يعلمني انا وامثالي الذين حنكتهم تجارب الحياة .. ومرسوا على فنون المعاملات والمناقصات فضلا عن المزايدات، وخبروا ضروب المهن والمضاربات التجارية، ترى كيف سوّلت له نفسه ذلك » الا انه عاد بعدها يقول لنفسه : « غير اني لا استطيع ان اتكلم مثلما يتكلم هو، هذا صحيح، وهاهي الحياة تجزل له العطاء، وتمنحه ملاءة التجربة كيما ينشرها على مدى الاثير .. هه ! » . بينما كان حامد يلقي كلامه الذي كان يحسب لكل جملة من جمله كل حساب وحساب، فقال مستدركاً :

ـ واستناداً الى هذا نعرض المسألة كالآتي مبتدئين بالامكان المنطقي فنقول : هل إنَّ امتداد عمر الانسان مئات السنين ممكن منطقياً، أي ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية ؟

ـ لا اعلم .. حقاً .. لا ادري ما اقول ؟

ـ والجواب : نعم بكل تأكيد !

ـ كيف هذا ؟

ـ فقضية امتداد العمر فوق الحدّ الطبيعي أضعافاً مضاعفةً ليست في دائرة المستحيل، كما هو واضح بأدنىٰ تأمل . نعم هو ليس مألوفاً ومشاهداً، ولكن هناك حالات، نقلها أهل التواريخ ، وتناقلتها بعض النشرات العلمية، تجعل الانسان لا يستغرب ولا يُنكر . .

ـ وكيف لا يستغرب ولا ينكر ؟

ـ ذلك أنّ الغرابة ترتفع تماماً عندما يقرع سمعَ المسلم صوتُ الوحي ومنطوق القرآن في النبي نوح ﷺ : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً[1] .

ـ كيف يمكن تقريب مسألة الامكان ؟

ـ ولتقريب مسألة الامكان بهذا المعنىٰ نضربُ مثالاً كالآتي: لو أنَّ أحداً قال لجماعةٍ إني أستطيع أن أعبرَ النهر ماشياً، أو أجتاز النارَ دون أن أُصابَ بسوء، فلا بدَّ أن يستغربوا وينكروا، لكنه لو حقّق ما قاله بالفعل فعبر النهر ماشياً أو اجتاز النار بسلام ؛ فإنَّ انكارهم واستغرابهم سيزول عند ذلك . فلو جاء آخر وقال مثلَ مقالة الأول، فإنَّ درجة الاستغراب ستقلُّ، وهكذا لو جاء ثالث ورابع وخامس، فإنَّ ما وقع منهم من الاستغراب أوّل مرّة سوف لايكون علىٰ حالته وقوّته في المرة الخامسة، بل يضعف جداً الىٰ

(١) العنكبوت : ٢٩ / ١٤.

أنْ يزول .

ـ ؟!

ـ وهكذا نقول في مسألتنا، فإنَّ القرآن قد أخبر : أن نوحاً عليه السلام لبثَ في قومه ألف سنةٍ إلّا خمسين عاماً، وهذا غير عمره قبل النبوّة ! وأن عيسىٰ عليه السلام لم يمت وإنما رفعه الله إليه كما في قوله تعالىٰ : وَقَوْلِهِمْ إنَّا قَتَلْنَا المسيحَ عيسىٰ ابنَ مريمَ رسولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وما صَلَبُوه وَلَكِنْ شُبِّه لَهُمْ وإنّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفي شَك مِنْهُ مَالَهُم بِهِ من عِلْمٍ إلّا اتباع الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً، بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وَ كانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً[١] . وأيضاً فقد جاء في روايات الصحيحين (البخاري ومسلم) أنّه سينزل إلىٰ الأرض، وكذلك جاء فيهما أن الدجال موجود حي[٢] .

فهمهم العميل في نفسه :

ـ الدجال موجود حي !

ـ وعليه فعندما تتحدث الروايات الصحيحة ويشهد الشهود، وتتوالىٰ الاعترافات بوجود (المهدي) من عترة الرسول الأكرم،

---

(١) النساء : ٤ / ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) فصلنا الحديث عن أحاديث نزول عيسىٰ وأحاديث خروج الدجال في الصحيحين (البخاري ومسلم) وذكرنا من اعتبرها عقيدة ثابتة لأهل السنة مع تصريحهم ببقاء الدجال حياً إلىٰ آخر الزمان وان عيسىٰ عليه السلام سينزل في آخر الزمان ليساعد الإمام المهدي عليه السلام علىٰ قتله، راجع الفصل الثالث (التذرع بخلو الصحيحين من أحاديث المهدي).

من ولد فاطمة ، نجل الحسن العسكري الذي ولد سنة ٢٥٥ هـ سوف لايبقىٰ عند ذلك وجهُ للاستغراب والانكار إلا عناداً واستكباراً . وقد جاء في تفسير الرازي : «قال بعض الأطباء : العمر الانساني لايزيد علىٰ مائة وعشرين سنة، والآية تدلّ علىٰ خلاف قولهم، والعقل يوافقها ، فإنَّ البقاء علىٰ التركيب الذي في الانسان ممكن لذاته وإلاّ لما بقىٰ، ودوام تأثير المؤثر فيه ممكن ؛ لأنَّ المؤثر فيه إنْ كان واجب الوجود فظاهر الدوام ، وإن كان غيره فله مؤثر، وينتهي الىٰ الواجب وهو دائم ، فتأثيره يجوز أن يكون دائماً . فإذن البقاء ممكن في ذاته، فإن لم يكن فلعارض، لكن العارض ممكن العدم، وإلّا لما بقي هذا المقدار لوجوب وجود العارض المانع. فظهر أنَّ كلامهم علىٰ خلاف العقل والنقل»[1] .

ـ واذن، هكذا برهن الرازى على جواز طول عمر الانسان

ـ اجل، وذلك بخلاف المعتاد كما هو الثابت في طول عمر عيسىٰ ﷺ، والبرهان نفسه يصح الاستدلال به علىٰ طول عمر المهدي ﷺ، ويقرّب هذا الاستدلال اتفاق الصحاح وغيرها علىٰ نزول عيسىٰ في آخر الزمان لمساعدة المهدي علىٰ قتل الدجال .

ـ والامكان العملي ؟

---

(١) التفسير الكبير / الرازي ٢٥ : ٤٢.

ـ اما الامكان العملي . .

قاطعه الزبون قائلا :

ـ لنتساءل : هل إنَّ الامكان العملي بالنسبة الىٰ نوع الانسان متاحٌ الآن ، وتساعد عليه التجربة أم لا ؟

ـ والجواب : هو انّ التجارب المعاصرة في ضوء الامكانات المتاحة والظروف الموجودة لم تنجح لحد الآن في تحقيق مثل هذه الحالة، أي اطالة عمر الانسان إلىٰ حدٍّ أكثر من ضعفٍ أو ضعفي العمر الطبيعي، وهذا أمرٌ مشهود لا يحتاج إلىٰ برهان .

ـ وهل لهذا ان يدل علىٰ عدم طول عمر الانسان

ـ لا ! ليس لهذا ذلك، لان الامكان العملي ينحصر بمحاولات اطالة العمر الطبيعي للانسان بيد الانسان نفسه، إلاّ أن الاعمار بيد الله عزّ وجل .

ـ واذن ؟ !

ـ إذن، فإن تدخل الانسان في إطالة العمر علىٰ خلاف التقدير غير ممكن .

ـ ولكن الله يوفر الاسباب . .

ـ نعم انه سبحانه يوفر الأسباب الكفيلة . .

وفجأة، طلع عليهما نادل المطعم، يسائلهما :

ـ هل يرغب السادة بتناول شيئاً من المرطبات أو

الحلويات؟

امتنع كلاهما عن تلبية هذه الدعوة، فأقفل النادل راجعاً، وغاب عنهما . بينما عاد حامد الى كلامه، ليقول :

ـ . . نعم ان الله يوفر كافة الاسباب الكفيلة بادامة حياة المعمرين إلىٰ حين أجلهم ، ودور العلم هنا اكتشاف تلك الأسباب لا أكثر إذ ليس بمقدوره إبداع الأسباب لانحصارها بيده عزوجل بلا خلاف

ـ وعليه، فان دور العلم هنا اكتشاف تلك الأسباب لا أكثر ؟!

ـ اجل ! لاني قلت لك، فانه ليس بمقدور العلم خلق وإبداع الأسباب ، وذلك لانحصارها بيد الخالق : خالق العلم والحياة وكل شيء.

قال العميل :

ـ وهل لنا ان نتساءل هنا، فنقول : هل إنَّ زيادة عمر إنسان أكثر من الحدّ الطبيعي المعتاد ممكن علمياً أم لا ؟!

ـ نعم يمكن التساؤل والجواب عليه كذلك :

ابتسم كلاهما، بينما عاد حامد يجيب على سؤال الزبون، وهو يقول :

ـ فأولاً : نعم هي في دائرة الامكان العلمي، ولدينا شواهد وأرقام كثيرة تؤكد إمكانها علمياً .

ـ منها ؟

ـ منها اولا : إنَّ التجارب العلمية آخذةٌ بالازدياد لاطالة عمر الانسان أكثر من المعتاد ، وهذه التجارب حثيثة وجادة لتعطيل قانون الشيخوخة، فقد جاء في مجلة المقتطف المصرية، (. . دس حامد يده في جيبه، اخرج منها محفظة، فتح الاخيرة، كشف عن عدة اوراق، استل بعضاً منها ، نشر احداها، ثم اخذ يعاين ما فيها بينما أعاد المحفظة الى جيبه، واحتفظ ببقية الاوراق على المنضدة) . . نعم : الجزء الثاني من المجلد ٥٩ ، الصادرة في آب (اغسطس) ١٩٢١م، الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٣٩هـ ص ٢٠٦ تحت عنوان «خلود الانسان علىٰ الارض» ما هذا لفظه:

ـ ؟!

قال الاستاذ (ريمند بول) أحد أساتذة جامعة جونس هبكنس بأمريكا : إنه يظهر من بعض التجارب العلمية أنَّ أجزاء جسم الانسان يمكن أن تحيا الىٰ أيّ وقتٍ أُريد، وعليه فمن المحتمل أن تطول حياة الانسان الىٰ مائة سنة، وقد لا يوجد مانع يمنع من إطالتها الىٰ ألف سنة .

وذكرت هذه المجلة في العدد الثالث لسنة ٥٩ ص ٢٣٩، «إنه في الامكان أن يبقىٰ الانسان حيّاً أُلوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبلَ حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن، بل

نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان» .

ــ جميل حقاً هذا، ترى كيف تكون الحياة لو أمكن للبعض مثل هذا ؟

ــ . . أكتفي بهذا القدر في تأييد ماذكرناه من الامكان العلمي ، الذي يسعىٰ العلماء جاهدين لتحويله الىٰ إمكان عملي واقعي فعلي .

في حين التقط حامد ورقة اخرى وعاد يقرأ فيها :

ــ ثانياً : وفي كتاب صدر حديثاً بعنوان حقائق أغرب من الخيال الجزء الأوّل ص : ٢٤ نشر مؤسسة الايمان ـ بيروت، ودار الرشيد / دمشق .

جاء فيه : توفي (بيريرا) في عام ١٩٥٥م في وطنه الأُم مونتريا في سن ١٦٦ عاماً، وقد شهد علىٰ عمره أصدقاؤه، وسجلّات مجلس البلدية ، وبيريرا نفسه الذي استطاع أن يتذكر بوضوح كبير معركة كاراجينا (حدثت في عام ١٨١٥م) ! وفي نهاية حياته أُحضر الىٰ نيويورك حيث فحصه جمع من الأطباء المختصين، ومع أنهم وجدوه محتفظاً بضغط دم رجل شاب، ونبض شرياني صحيح وقلب جيد، وعقل شاب، فقد قرروا أنه رجل عجوز جداً أكثر من ١٥٠ عاماً . وجاء في ص ٢٣، أن توماس بار عاش ١٥٢ عاماً .

ـ ١٥٢ عاماً ؟!

ـ علىٰ أنّ السجستاني صاحب السنن قد ألّف كتاباً باسم (المعمّرون) ذكر فيه الكثير من المعمرين، وفيهم من تجاوزت أعمارهم خمسمائة سنة .

ـ خمسمائة سنة ؟!

ـ أجل أما الشاهد الثالث فهو إنّ مجرد إجراء التجارب من قبل الأطباء للتعرف علىٰ مرض الشيخوخة، وأسباب الموت، والمحاولات الدائبة من قِبَلهم ونجاحها ولو بقدر محدود لاطالة عمر الانسان، لهو دليل علىٰ الامكان، وإلاّ لكان تصرفهم عبثاً، خلاف العقل .

ـ وفي ضوء ذلك كله ؟!

ـ وفي ضوء ذلك كله، فانه سوف لا يبقىٰ أي مبرر منطقي للاستغراب والانكار بخصوص (قضية المهدي) اللهمّ إلا أن يسبق (المهدي) العلمَ نفسه ، فيتحول الامكان النظري (العلمي) الىٰ امكان عملي في شخصه ، قبل أن يصلَ العلمُ في تطوره الىٰ مستوىٰ القدرة الفعلية. وهذا أيضاً لا يوجد مبررٌ عقليٌّ لاستبعاده وإنكاره ؛ إذ هو نظير من يسبق العلمَ في اكتشاف دواءٍ للسرطان مثلاً . ومثل هذا السِبق في الفكر الاسلامي قد حصل في أكثر من مفردةٍ وعنوانٍ ، فقد سجّلَ القرآن الكريم نظائر ذلك حين أوردَ

وأشارَ الىٰ حقائق علمية تتعلق بالكونِ وبالطبيعةِ وبـالانسانِ، ثـم جاءت التجارب العلمية الحديثة لتزيحَ عنها الستار أخيراً .

ـ . . .

ـ ثم لماذا نـذهب بـعيداً وأمـامنا القـرآن الكـريم يـصرّح (بالامكان العملي) فيما يتعلق بعمر نوحٍ ﷺ»[1] ؟

ـ والاثار النبوية ؟

ـ وكذلك صرّحت الآثار النبوية، بوجود أشخاص أحياء منذ قرون متطاولةٍ ؛كالخضرِ، والنبي عيسىٰ ﷺ، والدجّال علىٰ ما نقله مسلمٌ في صحيحه من حديث الجساسة . فلماذا نؤمن بـمثل هـذه الوجودات المشخصة ، مع انّهم ليس لهم من دورٍ أو أهميةٍ فيما يتعلق بمستقبل الإسلام إلّا المسيح الذي سيكون وزيراً ومساعداً للمهدي وقائداً لجيوشه كما في الكثير من روايات الظهور .

ـ حقاً، سيكون الامر كـذلك، فـلو عـلم المسـيحيون بـذلك، فبرأيك، ماذا تراهم سيصنعون ؟ !

ـ سوف لا يقبلون به قطعاً، لان المسيح عندهم هو الله !

ـ ؟ !

ـ اقول : فلماذا ينكر البعض حياة المهدي الذي سيكون له ذلك الدور الأعظم ، «يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً..» وينزل عيسىٰ

---

(١) راجع بحث حول المهدي/ الشهيد محمدباقر الصدر.

ليصلي خلفه [١] ؟!!

كان الزبون ساكتاً، فتابع كلامه حامد :

ـ ولو افترضنا قانون الشيخوخة قانوناً صارماً، وإطالة عمر الانسان أكثر من الحد الطبيعي والمعتاد هو خلاف القوانين الطبيعية التي دلّنا عليها الاستقراء ؛ فالأمرُ بالنسبةِ للمهدي ﷺ يكون حينئذٍ من قبيل المعجزة ، وهي ليست حالة فريدة في التاريخ .

بينما استدرك كلامه قائلا :

ـ ثم إنَّ الأمرَ بالنسبة للمسلم الذي يستمد عقيدتَه من القرآن الكريم والسُّنة المشرفة ليس منكراً أو مستغرباً، إذ هو يجدُ أن القانون الطبيعي الذي هو أكثر صرامةً قد عُطِّلَ، كالذي حَدَثَ بالنسبةِ للنبي إبراهيم ﷺ عندما أُلقي في النار العظيمة فأنجاه الله تعالىٰ بالمعجزة، كما صرَّح القرآن قائلاً : قلنا يا نارُ كوني بَرْدَاً وسلاماً علىٰ إبراهيم[٢] .

ـ ان للمعجزات النبوية فهماً خاصاً ؟

ـ لا ادري ماذا تعني، الا انه يمكنني القول ان هذه المعجزة

---

(١) اعترف بهذا خمسه من شارحي صحيح البخاري كما مرّ مفصلاً في أول الفصل الثالث، فراجع.

(٢) سورة الانبياء / آية : ٢١ / ٦٩.

وأمثالها من معاجز الانبياء، والكرامات التي أختصَّ الله بها أولياءه ، قد أصبحت بمفهومها الديني أقرب إلىٰ الفهم بدرجةٍ أكبر بكثير في ضوء المعطيات العلمية الحديثة والانجازات الكبيرة التي حققها العلماء بوسائلهم المادية. فلقد بدأنا نشهدُ من الاختراعات والاكتشافات التي لو حُدِّثنا عنها سابقاً لأنكرناها غايةَ الانكار ثم ها هي بأيدينا الآن نستخدمها ونلهو بها أحياناً، فمثلاً (التلفزيون)، فلقد كنّا نقرأ في الروايات في أبواب الملاحم (أنه سيكون في آخر الزمان يَرىٰ ويسمع من في المشرق من هو في المغْرِب..). وربما عَدَّ بعضُهم ذلك ضرباً من اللامعقول ، ثم ها نحن نشهده ونشاهده.

قال العميل :

ــ واستناداً الى كل هذا، ماذا يمكننا القول ؟

ــ واستناداً إلىٰ ذلك نقول : إنَّ استبعاد أمرٍ وإنكاره لمجرد عدم وجودِ حالةٍ مماثلة أو مقاربة نشاهدها، ليس مقبولاً منطقياً وليس مبرِّراً علمياً، إذاكان الأمرُ يقع في دائرة الامكان العلمي والمنطقي، وقامت عليه الشواهد والأدلة .

ــ هل يمكنك ان تحدثنا عن الاعجازات التي لها ان ترافق الظهور؟

ــ فنظير تلك الاخبار المنبئة في تراثنا عن بعض الاكتشافات

العلمية الباهرة، الاخبار الأُخرىٰ المُنبئة باعجاز عن ظهور الإمـام المهدي بما ينطبق تمام الانطباق مع معطيات الحضارة المعاصرة: -

ــ هل يمكنك ان توضح لي اكثر من هذا ؟

ــ فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ انه قال: «إنَّ قائمنا اذا قام مدَّ الله عز وجل لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتىٰ لايكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه في مكانه»[1].

ــ جميل جداً .. غير ان لدي من السؤال اخر !

ــ هات ما عندك ؟

ــ الكلام يدور كثيراً حول الاسباب التي .. أو بالاحرى: لماذا كلّ هذا الحرص علىٰ إطالة عمر المهدي ﷺ إلىٰ هذا الحدّ ، فتعطّل القوانين لأجله، أو نضطر إلىٰ المعجزة ؟!

ــ نعم، ان ..

قاطعه الزبون ليتواصل في عرض استفساراته، فقال:

ــ ولماذا لا نـقبل الافـتراض الآخـر الذي يـقول: إنَّ قـيادة البشرية في اليوم الموعود يمكن أن تترك لشخصٍ آخر يُولد في ذلك الزمان ، ويعيش الظروف المـوضوعية ، ليـنهض بـمهمّته التغييرية ؟!

ــ ان الجواب عن هذا كـله ـ وذلك بـعد الاحـاطة بـالمطالب

---

(۱) روضة الكافي ۸: ۲۰۱ / ۳۲۹.

المذكورة في البحث ـ هو واضح جداً ، فإنّ الله عزّ وجل قد أبقىٰ أشخاصاً في هذا العالم أو غيره أحياءً أطول بكثير مما انقضىٰ من حياة المهدي عليه السلام، وذلك لحكم وأسرار لا نهتدي إليها، أو علمنا ببعضها، وعلىٰ كلّ حالٍ نؤمن بها إيماناً قطعياً ، فليكن الأمر كذلك بالنسبة الىٰ المهدي ؛ لأنا ـ كما أشرنا من قبل ـ بصفتنا مسلمين نؤمن بأنّ الله تعالىٰ لا يفعل عبثاً وأيضاً : نؤمن بمغيّبات كثيرةٍ عنّا قامت عليها البراهين المتينة من العقل والنقل . .

ـ هذا نؤمن به، ولكن . .

ـ فلا يضرنا اذا لم نعلم بالحكمة في معتقدٍ من معتقداتنا، وكذلك الحال في الاحكام الشرعيّة والاعمال العباديّة، فقد لا نهتدي إلىٰ سرّ حكمٍ من الاحكام، وفلسفة قانونٍ من القوانين الالهيّة ، لكنّ التعبّد، هو قائم في محله، ولا يمكن التغاضي او التنازل عنه ابداً، كما في سائر الأديان الالهيّة منها وغير الالهيّة ، بل حتىٰ في القوانين البشريّة والوضعيّة .

ـ وعليه ؟

ـ وعليه، فنقول : إن كانت الأدلّة التي أقمناها في الفصول السابقة علىٰ ضرورة الايمان بالمهدي، مع تلك المواصفات الخاصة، وأنّه الحجة ابن الحسن العسكري، وأنّه ولد وكان إماماً بعد أبيه ـ وفي الخامسة من عمره الشريف ـ وأنّه حي موجود علىٰ

طول عمره المبارك... فإنّ النتيجة الحتمية هي القول بـهذه الغـيبة الطويلة، سواء علمنا ـ مع ذلك بسرٍّ من أسرارها أو لم نعلم... وإنْ كان بالامكان أن نتصوّر لها بعض الاسرار بقدر أفهامنا القـاصرة وعقولنا المحدودة.

ـ ومن لا يطيق من المسلمين الالتزام بالمعجزة في طول عمر الإمام والفوائد المترتبة علىٰ وجوده ـ مع كونه غائباً . ماذا عليه ان يصنع ؟

ـ وجب عليه تصحيح اعتقاده من الاصل، وعلىٰ ضوء الأدلة من العقل والنقل .

ـ واذن لا يمكننا قبول الافتراض الاخر ؟

ـ بكل تأكيد، فعلىٰ هذا الاساس أيضاً، فانه ماكان بامكاننا ان نسلّم بالافتراض الآخر، لأنّ المفروض أن الأدلة قادتنا إلىٰ استحالة « خلو الأرض من حجّةٍ لله ولو آناً واحداً » .

ـ وبعد الايمان بذلك ؟

ـ وبعد الايمان بذلك، سواء علمنا بشيء من الحكم في ذلك، ممّا جاء في الكتب العلمية المفصّلة في البـاب، أو لم نـعلم ـ فـلا مناص من القول بوجود الإمام منذ ولادته، وأنّه لا مجال لفـرض الافتراض الآخر أبداً.

كان الزبون ينظر في ساعته، وكأنه ضاق ذرعاً بصاحبه حامد،

لانه لم يتمكن منه، ولم يستطع ان يفهم منه الا ماكان لا يأمل ابداً ان يجده لديه . فخاب سعيه، وانطوى على نفسه، يقلب اوراق ذهنه ،كيما لا يستشعر حامد بثقل وطأة ما لقيه من منطقه .. فأخذ يقلب الامر كيفما شاء، وانتقى ماكان لديه من اسئلته وصادر عليها بالاخير منها . . حتى اذا استجاب له حامد، سارع الى القاء سؤاله، فقال له :

ــ وأخيراً هناك سؤال ربما يدور في الأذهان، وهو : إذاكان الإمام المهدي كذلك، فما هي الفائدة بالنسبة للأُمة، وهو غائبٌ مستور، متوارٍ عن الأنظار ؟ !

قال حامد :

انه سؤال جميل جداً . والجواب : إنّ الذي يحقق ويدقق في هذهالمسألة، يجب أن يضع في حسابه أولاً الروايات والأخبار الصحيحة التي تتحدث عن ظهوره الذي سيكون بصورةٍ مفاجئة وسريعة، أو علىٰ حدِّ لسان بعض الروايات (بغتةً) . أي : دون تحديد زمن مخصوص أو وقتٍ معّين، وهذا يترتّب عليه ترقب كل جيلٍ من أجيال المسلمين لظهوره المبارك . إنَّ المتأمل لهذه المسألة سوف لا يصعب عليه أن يكتشف فوائد ومزايا جمةً تتعلق بالأُمّة المرحومة،

ــ مثل ماذا ؟

ــ مثل : . . كيف اخبرك به، . . نعم ! فإنَّ ذلك يدعو كلّ مؤمن إلىٰ أن يكون علىٰ حالةٍ من الاستقامة علىٰ الشريعة ، والتقيّد بأوامرها ونواهيها، والابتعاد عن ظلم الآخرين، أو غصب حقوقهم، وذلك لأنَّ ظهور الإمام المهدي ـ الذي سيكون مفاجئاً ـ يعني قيام دولته وهي التي يُنتصف فيها للمظلوم من الظالم، ويُبسَط فيها العدل ويُمحىٰ الظلم من صفحة الوجود .

ــ وهل لأحد ان يقولنَّ أنَّ الشريعة ودستورها القرآن منعت الظلم والتظالم وهذا يكفي ؟

ــ أما جواب هذا الاحد، فهو : إنَّ الشعور والاعتقاد بوجود السلطة وبتمكنها وسلطنتها يعدُّ رادعاً قوياً، وقد جاء في الأثر الصحيح « إنَّ اللهَ ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن . . » .

استطرد حامد في حديثه، فقال :

ــ أما ما يجعلنا نستفيد استفادة أخرى من وجود المهدي وغيبته في الوقت ذاته، هو : انّ ذلك سيدعو كلّ مؤمن إلىٰ أن يكون في حالةِ طوارىء مستمرة من حيث التهيؤ للانضمام إلىٰ جيش الإمام المهدي والاستعداد العالي للتضحية في سبيل فرض هيمنة الإمام الكاملة وبسط سلطته علىٰ الارض، لإقامة شرع الله تعالىٰ . وهذا الشعور يخلق عند المؤمنين حالةً من التآزر والتعاون ورصّ الصفوف والانسجام، لأنهم سيكونون جُنداً للامام عليه السلام .

ـ ؟!

كما ان هذه الغيبة تحفّز المؤمن بها للنهوض بمسؤوليته، وخاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتكون الأُمّة بذلك متحصّنة متحفّزة . إذ لايمكن تقيّد أنصار الإمام المهدي عليه السلام بالانتظار فحسب، دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استعداداً لبناء دولة الإسلام الكبرىٰ وتهيئة قواعدها حتىٰ ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

اضاف حامد، وهو يحاول الايجاز :

ـ إنَّ الأُمّة التي تعيش الاعتقاد بالمهدي الحي الموجود تبقىٰ تعيش حالة الشعور بالعزة والكرامة ، فلا تطأطيء رأسها لأعداء الله تعالىٰ، ولا تذلُّ لجبروتهم وطغيانهم ، إذ هي تترقب وتتطلع لظهوره المظفّر في كلّ ساعة ، ولذلك فهي تأنف من الذلّ والهوان ، وتستصغر قوىٰ الاستكبار ، وتستحقر كلّ مايملكون من عدةٍ وعدد . وإنَّ مثل هذا الشعور سيخلق دافعاً قوياً للمقاومة والصمود والتضحية ، وهذا هو الذي يخوّف أعداء الله وأعداء الإسلام ، بل هذا هو سرّ خوفهم ورعبهم الدائم ، ولذلك حاولوا علىٰ مرّ التاريخ أن يُضعفوا العقيدة بالمهدي ، وأن يُسخّروا الأقلام المأجورة للتشكيك بها ،كماكان الشأن دائماً في خلق وإيجاد الفرق والتيارات الضالّة والهدّامة لاحتواء المسلمين ،

وصرفهم عن التمسك بعقائدهم الصحيحة، والترويج للاعتقادات الفـاسدة مـثلما حـصل فـي نـحلة البـابية والبـهائية والقـاديانية والوهابية .

بعد ذلك نهضا، وانفض المجلس، وفي طريقهما الى الخروج، كان الزبون ينظر الى حامد،كأنه يتوقع منه ان يضيف شـيئاً مـن القول ، وماكان يدري هو نفسه، لماذا حـملت نـفسه مـثل هـذا التوقع ، فقال حامد :

ــ هذا، ويمكن أن نضيف إلىٰ هذه الثمرات والفوائد المهمة فوائد أُخرىٰ يكتسبها المُعتقِد بظهور المهدي ﷺ فـي آخـرته ، ويأتي في مقدمتها تصحيح إعتقاده بعدل الله تعالىٰ ورأفـته بـهذه الأُمّة التي لم يتركها الله سدىً ينتهبها اليأس ويفتك بها القنوط لما تشاهده من إنحراف عن الديـن، دون أن يـمدّ لهـا حـبل الرجـاء بظهور الدين علىٰ كلِّ الأرض بقيادة المهدي ﷺ . ومنها: تحصيل الثواب والأجر علىٰ الانتظار ، فقد ورد فـي الأثـر الصـحيح عـن الصادق ﷺ : المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله . ومنها : الالتزام بقوله تعالىٰ حكايةً عن وصية إبراهيم ﷺ لبنيه : يابَنِيَّ إنَّ اللهِ اصْطَفىٰ لَكُم الدّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتُم مُسْلِمُون[1] ،كـذلك، فانه من مات ولم يعرف إمام زمانه ـ وفي عصرنا هو المهدي ﷺ ـ

(١) البقرة : ٢ / ١٣٢.

مات ميتةً جاهلية . واستناداً إلىٰ كلِّ ماذكرناه يـظهر مـعنىٰ : إنَّ الأرض لا تخلو من حجةٍ لله تعالىٰ .

ـ ؟!

ـ واخيراً، فإنّ مما تسعىٰ إليه بُؤَر النفاق وبشكل دؤوب هو بحثها الحثيث بين صفوف المسلمين، لعلها تجد فيهم من تـتلقفه وتحوطه برعايتها، وتمنحه الالقاب العلمية الكاذبة التي يَشْرَه إليها ؛ لكي تتخذه مطيّة لاغـراضـها وبـوقاً لدعـاياتها عـبر المـجلات والمؤتمرات التي تندد بالاسلام وأُصوله الشامخة، ولن تجد بغيتها إلّا فيمن انحرف عن المحجة البيضاء، ورمىٰ بنفسه كـالطفل فـي أحضان مربية حمقاء تسخّره لكل لعبة قذرة ،كما نلحظه اليوم في تقريب سلمان رشدي ومن علىٰ شاكـلته ، عـلىٰ أمـل أن تـجد سمومهم طريقها إلىٰ كل جسد ضعيف مسلم .

فقال الزبون :

ـ وهل ترى ان التنبيه على هذه المسائل أمر ضروري ؟

ـ نعم ! ولهذاكان من الواجب الاسـلامي التـنبيه عـلىٰ هـذه الوسـيلة الدنـيئة ، وتـوعية المسـلمين بـاهدافـها وغـاياتها واخطارها ، وتـحصينهم بـالايمان الصـحيح الذي أمـر بـه هـرم الإسلام المقدس : (القرآن الكريم ، والسنّة المطهرة، ومدرسة أهل البيت ﷺ) .كما ان الاعتقاد بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان

إنّما هو من مستلزمات الوثوق بصدق رسالة الإسلام الخالدة، وأنّ التكذيب به هو تكذيب برسالة الإسلام التي أخبرت عن ظهوره!

❁ ❁ ❁

(٣٣)

وفـي صـبيحة يـوم مـن أيـام الاسـبوع، جـلس حـامد فـي المستشفى، كان يقعد الى جانب سرير ابيه، كان صامتاً لا يـتكلم، تثقل اجفانه عيون السهر، ويكلم جراحه الغضبى سهادُ اللـيل، مـا كان ليحير جواباً لمن يسائله، ظل ساكتاً. بينما كانت آماقه تنزف من اثر الجرح الغائر في اعماقه، استل نصلا من ادمعه لعلها تبعث على مغادرة آثار القرح في داخله. بل الموت كان يقبع في سويداء قلبه، ها هي نياط قلبه تتمزق، وها هـو الرأس يشـيخ مـن هـول المطلع، وها هي الاذان قد وصمها عار الوقر من غدر الزمان، ولؤم الدهر الخؤون .. نظر اليه، كان صامتاً، كان كل شيء فيه ساكتاً. الا قلبه .. هكذا ظن! ولعل صوته لا يصل الى الاسـماع، الا ان قـلبه الكبير كان له ان يحاكي قلب ولده. فلقد غادر الرجل العظيم، رجل الاعمال الكبير، ابو حامد، ارتحل الى جوار الرفيق الاعلى، وخلف وراءه ولداً اسمه حامد ..

ظل الجميع يقولون :

ــ هذا خليفة ابيه .

قال حامد في نفسه :

ــ لا، بل انا ماكنت لولا هو ان يكون، لانه هو الذي صنع مني خليفة له .. أبتاه ! من انادي واصيح .. لاهتف بصوته، فلقد فقدتك وذهبت .. الى اين تذهب، فلقد مللت الصراخ، لمن تتركنا، وانت لمّا تكبر فينا، وانت ما زلت الاب الحنون . تُرى كيف غادر عنك ابوك يا صاحب الزمان وخلفك مع كل تلك الذئاب العاوية .. مع كل تلك الشياطين الماكرة .. ولم يكن لديك من العمر سوى خمسة اعوام . وانا اليوم يتركني ابي، وكأنه كان قد علم برحيله، فأعدني ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت، ليوم تشيب فيه الولدان . اعدّني لمثل هذا اليوم، كيما استلم المهام الرسمية كاملة، ومن بعد اليوم .. انه كان يعلم بسفره ! وانا ماكنت اعلم به ! أهّلني للعمل في محله، وسمح لي بمواصلة الدراسة كذلك، إن لم يكن منها ما يكون .. ولكن ! انت يا صاحب الزمان، يا مهدي العالمين ومنقذ البشرية، كيف تركك ابوك، وخلّفك انت ومسؤولية كل العالمين في رقبتك، اودعها اياك .. وماكان لك من العمر الا خمسة اعوام .. كيف تحملت فراق ابيك، وغدر عمك، ومطاردة السلطات وازلامهم البائسين .. بينما انا الان كل شيء قد غدا لي ذا قرار، ولا تلاحقني

جلاوزة الحكومات، ولا يغدر بي عم او خال، ولا قريب او بعيد!
وانا لا احتمل ما اراه بأم عيني .. لا اقوى على مقاساته .. ومكابدة
عناءاته .. فكيف تحملت انت يا سيدي ومولاي كل تلك النكبات
المتوالية في آن واحد، تفقد امامك واباك .. تودع اهلك وصحبك
وتغيب .. وترى تراث جدك تتناهبه الاقارب لا سيّما العم .. ومن
كان ينبغي ان يكون لك سلوىً في مثل تلك البلوى! بل تجد الطغام
الغاشمات تذود عن نفسها، ببذل ما يقلّه منزلك، فتراهم يطوفون
في بيتك، من غرفة الى غرفة، يفتشون عنك، وينهبون ما حوته
حجرات منزلك، ويخوّفون أهلك ومن هم في حفظك وصونك، بل
يهرعون كيما يصادرون ما يجدون، فان وجدوا اثاثاً سلبوه، وان
وجدوا اناساً اعتقلوهم ! فلله درّك من عظيم يحب العظام، وكريم
يحب الكرام . فيالك من اسوة كبرى، لي قد صرت روحاً عظمى،
فانت السلوى وأنت القدوة!

تمت الرواية بعونه تعالى وتسديد من رسوله وأهل بيته
عليهم افضل الصلوات وأتم التسليم

